

الدكتور محمد سيد أحمد المسير

دار الوفاء


عبادة الشيطان
في البيان القرآني والتاريخ الإنساني

الطبعة الأولى

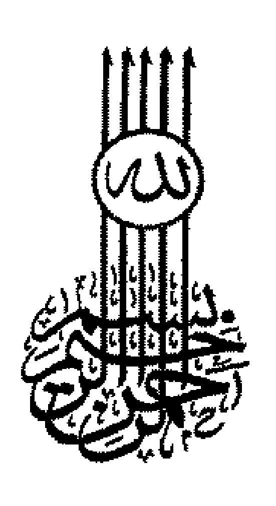
١٤١٩ هـ ـ ١٩٩٨ م



دار الوفاء للطباعة والنشر والتوزيع - ج.م.ع - المنصورة
الإدارة : ش الإمام محمد عبده المواجه لكلية الآداب ص . ب ٢٣٠
ت : ٣٤٢٧٧٢١/ ٣٥٦٢٢٠/ ٣٥٦٢٣٠ فاكس ٣٥٩٧٧٨
المكتبة : أمام كلية الطب ت ٣٤٧٤٢٣



الدكتور محمد سيد أحمد المسير



بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله وسلام على عباده الذين اصطفى .

أما بعد :

إن فكرة هذا الكتاب بدأت مع اكتشاف تنظيم « عبدة الشيطان » بمصر المحروسة ، خلال شهر رمضان سنة ١٤١٧هـ .

لقد فزعت قلوب واقشعرت أبدان ، حين قرأ الناس ملف القضية ، وتعالت أصوات الغيورين تحلّل وتعلّل وتنصح .

وكنت واحداً من هؤلاء ، أعيش في حقل الدعوة إلى الله ، وأتخصص في دراسة العقيدة والفلسفة والأديان ، وأهتم بقضايا أمتنا الإسلامية . فعكفت أربعة أشهر ، أبحث عن عبادة الشيطان ، في نشأتها ، وأشكالها ، وتطورها ، والوقاية منها . وجاء هذا الكتاب ـ بتوفيق الله ـ على مجموعة بحوث يسبقها مدخل ، وتعقبها خاتمة .

المدخل : قراءة في ملف القضية :

أشرت إلى فكر جماعة « عبدة الشيطان » وطقوسها ، وأماكن تجمعها ، ووسائل انتشارها .

المبحث الأول : عقيدتنا في الجن :

بينت مفهوم ألفاظ الجن وإبليس والشيطان . فالجن عالم ، عاقل ، مكلف ، غير منظور ، يتوالد ويتكاثر ، وجد قبل الإنسان ، وكانت مادة خلقه من نار .

وإبليس من الجن ، رفض أمر الله له بالسجود لآدم عليه السلام .

والشيطان هو المتمرد سواء كان من الجن أو الإنس ، وقد تحدث القرآن المجيد عن نموذج من التلاقي بين شياطين الجن والإنس ، في الصد عن دعوة الحق فقال :

﴿ وَكَذَلِكَ جَعَلْنَا لِكُلِّ نَبِيٍّ عَدُوًّا شَيَاطِينَ الإِنسِ وَالْجِنِّ يُوحِي بَعْضُهُمْ إِلَى بَعْضٍ زُخْرُفَ الْقَوْلِ غُرُوراً وَلَوْ شَاءَ رَبُّكَ مَا فَعَلُوهُ فَذَرْهُمْ وَمَا يَفْتَرُونَ ﴾ [الأنعام : ١١٢] .

وقد حذر القرآن كثيراً من عداوة الشيطان ، وخطورة إغوائه فقال :

﴿ يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّ وَعْدَ اللَّهِ حَقٌّ فَلا تَغُرَّنَّكُمُ الْحَيَاةُ الدُّنْيَا وَلا يَغُرَّنَّكُم بِاللَّهِ الْغَرُورُ . إِنَّ الشَّيْطَانَ

لَكُمْ عَدُوٌّ فَاتَّخِذُوهُ عَدُوًّا إِنَّمَا يَدْعُو حِزْبَهُ لِيَكُونُوا مِنْ أَصْحَابِ السَّعِيرِ ﴾ [فاطر ٥ ، ٦] .

المبحث الثانى : مظاهر عبادة الشيطان :

حددنا مفهوم عبادة الشيطان بالمعنى العام ، وهو الوصف الجامع لكل صور الشرك والكفر والفساد .

وقد وقعت هذه العبادة الشيطانية منذ تناست البشرية عهدها مع الله تعالى ، كما قال جل شأنه :

﴿ أَلَمْ أَعْهَدْ إِلَيْكُمْ يَا بَنِي آدَمَ أَن لاَّ تَعْبُدُوا الشَّيْطَانَ إِنَّهُ لَكُمْ عَدُوٌّ مُّبِينٌ . وَأَنِ اعْبُدُونِي هَذَا صِرَاطٌ مُّسْتَقِيمٌ . وَلَقَدْ أَضَلَّ مِنكُمْ جِبِلاًّ كَثِيراً أَفَلَمْ تَكُونُوا تَعْقِلُونَ ﴾ [يس : ٦٠ ـ ٦٢] .

والعبادة الشيطانية بالمعنى الخاص هى اتخاذ الشيطان إلها يعبد من دون الله ، يطاع ويقدس ، وتقدم له طقوس وأشكال يتخيلها العابد مرضاة للشيطان . وهذا المعنى الخاص يكمن فى السحر والتنجيم والكهانة ، كما قال الله تعالى :

﴿ هَلْ أُنَبِّئُكُمْ عَلَىٰ مَن تَنَزَّلُ الشَّيَاطِينُ . تَنَزَّلُ عَلَىٰ كُلِّ أَفَّاكٍ أَثِيمٍ . يُلْقُونَ السَّمْعَ وَأَكْثَرُهُمْ كَاذِبُونَ ﴾ [الشعراء : ٢٢١ ـ ٢٢٣] .

ثم قسمنا مظاهر عبادة الشيطان إلى قسمين :

أ ـ **الانحراف العقدى** : ويشمل الغلو فى الأنبياء والصالحين ، وعبادة الملوك والكهنة ، وعبادة الأصنام ، وعبادة النجوم والكواكب ، والنفاق ، والردة ، والسحر ، والكهانة ، والتنجيم .

ب ـ **الانحراف السلوكى** : ويشمل الزنا والشذوذ ، وأكل الميتة ، وشرب الخمر ، ووأد الأولاد .

المبحث الثالث : صور معاصرة لعبادة الشيطان :

حاولنا تعقب صور عبادة الشيطان فى الحياة المعاصرة فى المجتمعات الغربية ، وعرضنا لها من أربعة جوانب ، هى :

١ ـ الجنس فى الولايات المتحدة الأمريكية .

٢ ـ الانتحار والقتل الجماعى .

٣ ـ تغيير خلق الله باقتحام العابثين من الباحثين للوجود الإنسانى بما يسمى : هندسة الوراثة والاستنساخ .

٤ ـ السياسة العالمية للدول الكبرى ، التى تحاول تصدير مأساتها الأخلاقية وأخلاقها المأساوية إلى العالم الإسلامى .

هذه الصور الشيطانية فى المجتمعات الغربية ، بدأت تسرى فى حياة المسلمين بلا استحياء .

فالنوادى الليلية بمنكراتها فى كل مكان من أرض المسلمين .

وتقوم وزارات الثقافة بتقنين مواصفات الرذيلة المسموح بها قانونا .

وتبث أجهزة الإعلام ما يتنافى مع الدين ويتنافر مع الشرف ، وتحتضن وزارات التعليم فى بنائها التربوى ، معاهد للرقص والباليه والمسرح والغناء .

ومحور الفساد بأجمعه هو التحاكم إلى قوانين وضعية ، اخترعها المستبدون بديلا عن الوحى المنزل .

المبحث الرابع : الجدل الشيطانى :

يقوم الجدل بين العقلاء على الحجة ، ويكون بالحسنى ، ويبتغى الوصول إلى الحق .

وما لم يقم على الحجة فهو باطل ، وما لم يكن بالحسنى فهو عنف ، وما لم يبتغ الحق فهو كبرياء .

والجدل الشيطانى هو جدل يجمع السوءات كلها . . قال تعالى : ﴿ **وَمِنَ النَّاسِ مَن يُجَادِلُ فِي اللَّهِ بِغَيْرِ عِلْمٍ وَيَتَّبِعُ كُلَّ شَيْطَانٍ مَّرِيدٍ . كُتِبَ عَلَيْهِ أَنَّهُ مَن تَوَلَّاهُ فَأَنَّهُ يُضِلُّهُ وَيَهْدِيهِ إِلَىٰ عَذَابِ السَّعِيرِ** ﴾ [الحج : ٣ ، ٤] .

ولقد بدأ الجدل الشيطانى بإبليس اللعين ، الذى استبد بالرأى فى مقابلة النص ، واختار الهوى فى معارضة الأمر ، واستكبر بعنصريته . وانشعب من هذه الشبهة كل ما طرأ على البشرية من مذاهب هدامة ، ونحل فاسدة ، وكانت مقالات الكافرين على مدى عصور التاريخ ـ ومازالت ـ قلبا للحقائق ، واغترارا بالعصبية ، وتقليدا أعمى .

ويدور الآن جدل شيطانى حول التنوير والحريات ، وحقوق الإنسان ، وكرامة المرأة ، يتولى كبره فلول الفكر الماركسى، وعاهرو الكلمة ، يريدون طمس معالم الهوية الإسلامية ، ويتخذون من هذه الشعارات ستارا لمآربهم الدنيئة .

المبحث الخامس : أديان ومذاهب تعبد الشيطان :

إن مظاهر عبادة الشيطان فى فحشها ومنكرها ورجسها وفجورها ، تبنتها فرق وجماعات ، مثل المجوسية القائلين بإله قديم للخير ، وإله محدث للشر هو الشيطان .

والثنوية القائلين بإلهين اثنين قديمين هما : إله النور وإله الظلمة ، ومن طوائفهم : المزدكية الذين أحلوا النساء وأباحوا الأموال ، وجعلوا الناس شركاء فيهما .

وأديان الهند تقوم العبادة فيها على الرقص والغناء ، واتخاذ قلائد وحلى من عظام الموتى .

وأديان العرب فى الجاهلية لها اعتقادات فى تعظيم الجن والاستعاذة بهم ، والتزوج منهم ومخاطبتهم ، وتلقى الشعر عنهم ، حتى إنهم جعلوا لكل شاعر شيطانا يتكلم على لسانه .

ووجدت فرق تنتسب إلى الإسلام لها مقالات شيطانية ، كالغلاة من الشيعة والحلولية ، والمقنعية والبابكية ، وكلها تستبيح المحرمات وتنتهك الحرمات ، وتتعدى حدود الله .

المبحث السادس : الوقاية والعلاج :

إن الشباب المعاصر يقع بين سيفى الإفراط والتفريط ، وكلاهما بتار ، يقضى على الأخضر واليابس .

فهناك جماعات عنيفة القول والسلوك ، عنيدة الفكر ، فاقدة للحكمة .

وهناك حكومات تتأبى على الحق ، وتماطل فى تنفيذ حكم الله .

ويصاحب ذلك غزو فكرى يَفِدُ إلينا مع الهواء السارى .

كل ذلك يضاعف الجهد على المصلحين .

وقد سُقْتُ أفكارا للوقاية من الشيطان ، وللعلاج من وساوسه وخطواته ، تتلخص فى عبارة واحدة هى : « **المقاومة الإسلامية** » ، **تلك المقاومة التى تعنى عقيدة التوحيد وحب الخير والتسابق إلى العمل الصالح .**

وكانت روافد المقاومة الإسلامية هى :

- الاستعاذة بالله من الشيطان الرجيم .
- ذكر الله والصلاة .
- تلاوة القرآن .
- الزواج المبكر .
- بناء الإنسان .
- التعليم ومناهج التربية الإسلامية .

- الدعوة والدعاة .

- إصلاح الإعلام .

- معرفة الأعداء .

الخاتمة :

وكانت الخاتمة دعوة إلى رجم الشيطان ، ويتحقق ذلك فى موقف متكرر كل عام يحمل عبَق التاريخ وصفاء الروح ، ونقاء الفطرة ، وصدق الولاء لله ، وإخلاص التضرع له سبحانه ، وخشوع المناجاة .

إنه موقف رمى الجمرات من الحجاج المسلمين فى أيام الله المباركات ، يوم الأضحى ، وأيام التشريق .

ونردد - أولاً وأخيراً - قول الله تعالى لرسوله المصطفى :

﴿ وَقُل رَّبِّ أَعُوذُ بِكَ مِنْ هَمَزَاتِ الشَّيَاطِينِ . وَأَعُوذُ بِكَ رَبِّ أَن يَحْضُرُونِ ﴾

[المؤمنون : ٩٧ ، ٩٨]

مكة المكرمة

فى غرة صفر سنة ١٤١٨هـ

٦ / ٦ / ١٩٩٧م

أبو حذيفة

د . محمد سيد أحمد المسير

أستاذ العقيدة والفلسفة بجامعة الأزهر بالقاهرة

وجامعة أم القرى بمكة المكرمة

المدخل

قراءة فى ملف القضية

- التهمة
- المتهمون
- فكر الجماعة
- طقوس عبادة الشيطان
- أماكن التجمع
- وسائل النشر العالمى

قراءة فى ملف القضية

كشفت أجهزة الأمـن المصـرية فى شهر رمضان سنة ١٤١٧هـ [يناير سنة ١٩٩٧م] عن جماعة « عبدة الشيطان » ، وألقت القبض على أعضائها تمهيدا لتقديمهم إلى المحاكمة متهمين بثلاث تهم :

١ ـ تحقير وازدراء الأديان السماوية .

٢ ـ تعاطى المخدرات وترويجها .

٣ ـ ممارسة الشذوذ والجنس الجماعى .

ومن خلال البيانات الرسمية التى صدرت ، والتحقيقات التى نشرتها الصحف والمجلات ، نقرأ فى ملف القضية ما يلى :

أولاً : المتهمون :

مجموعة شباب من الجنسين ، تتراوح أعمارهم بين السادسة عشرة والثلاثين .

وهم من أبناء الطبقات المترفة فى المجتمع ، مثل أبناء الموسيقيين والممثلين والمذيعين ، وطلاب الجامعة الأمريكية ، والعائدين من البعثات الخارجية .

ثانياً : فكر الجماعة :

يتلخص فكر هذه الجماعة التى تنتشر فروعها فى دول كثيرة فيما يلى :

١ ـ الانتصار للشيطان الذى ظلم على مدى التاريخ فى زعمهم .

٢ ـ التجرد من القيم الدينية والخروج على تعاليم كافة الرسالات السماوية .

٣ ـ الاعتقاد بأن للشيطان قدرة عجيبة يمنحها لأوليائه .

٤ ـ ممارسة الحرية المطلقة التى يمنحها لهم الشيطان .

ثالثاً : طقوس عبادة الشيطان :

ذكر هؤلاء الشباب فى تحقيقات النيابة معهم ، أن هناك ثلاثة طقوس يقومون بها :

١ ـ طقوس سحرية معينة للتحكم فى أجسام أفراد الجماعة .

٢ ـ طقوس جنسية لإشباع الرغبة الجنسية .

٣ ـ طقوس دموية للتعبير عن الاستياء والغضب .

وفى شريط فيديو سجله رجال المباحث لوقائع الحفل الذى أقاموه بـملاهى « كايرو لاند » بالفسطاط ، ظهر ما يلى :

* مناظر قذرة لممارسة الجنس الجماعى .
* تعاطى المخدرات .
* القيام بحركات هستيرية وخلع الملابس والارتماء بعضهم على بعض .
* وقوف الفتاة بين شابين ، أحدهما من الأمام والآخر من الخلف .
* ارتداء الملابس السوداء ، وإطلاق شعورهم بشكل غير طبيعى [١] .
* الرقص على أصوات الموسيقى الصاخبة .
* الرسم على ملابسهم صورا للجماجم البشرية ، وللشيطان ، والنجمة الخماسية .
* إشعال الشموع السوداء .
* ذبح إحدى القطط لارتشاف دمها وتلطيخ أجسادهم [٢] .
* نبش القبور واستخراج الجثث والعبث بها .

رابعاً : أماكن التجمع فى مصر :

أسس أحدهم فرقة موسيقية سماها : « بلاك رور » أى الوردة السوداء ، وقدم من خلالها حفلات صاخبة ، وغنى فيها للشيطان متحديا الأديان السماوية ، ودعا إلى ممارسة كل ما حرمته الشريعة .

وقامت فرقة أخرى تسمى : « شرخ الألم » نظمت حفلة فى « كايرولاند » ، وغنت إحدى الفتيات فيها أغانى تمجد الشيطان .

وقام عميل آخر بتأسيس فرقة موسيقية باسـم : « ملوك الألم » ، ونظم حفلة فى « النيل جاردن » مجدت الشيطان .

وقامت هذه الفرقة بتأسيس ناد فى القاهرة تحت شعار : « عشاق الموسيقى » باسم « دوب كلوب » .

---

(١) أحيانا يحلقون شعورهم ، ويطيلون أظفارهم ، وتستخدم الفتيات الصبغة السوداء لشفاههن .

(٢) يقوم فكر الجماعة على ارتشاف الدماء مطلقا ، سواء كانت دماء قطط أو كلاب أو فئران أو خنازير ، وأحيانا ذبح الأطفال لهذا الغرض

وزارت مصر عدة فرق موسيقية أجنبية تغنى للشيطان ، مثل فرقة « سيلر » التى صورت أغانيها بجوار الهرم .

خامساً : وسائل النشر العالمى :

هناك مجموعة وسائل للاتصال بين هذه الجماعة فى مصر وباقى الجماعات المشابهة فى العالم ، وذلك عن طرق شتى منها :

استخدام « الفيديو كليب » فى الاستماع للأغانى ومشاهدتها .

الاتصالات تتم فى أرجاء العالم عبر شبكة « الإنترنت » .

وقد نظمت إسرائيل حفلات على الحدود المصرية ، ودعت هذه الجماعة لممارسة الزنا مع الإسرائيليات ، وتمت المخاطبة خلال شبكة « الإنترنت » .

القنوات الفضائية ، والتى تبث الموسيقى الخاصة بعبادة الشيطان ، وخاصة القناة الفضائية M . T . V .

الأشرطة والمطبوعات التى تصدر فى الولايات المتحدة الأمريكية ، وتوزع فى محلات عامة فى مصر والعالم أجمع . وهذه المطبوعات مثل : حانة الشيطان ، والكبش ، والبحر الغاضب ، والشراكة الشيطانية . . . إلخ .

الأفلام السينمائية التى قدمتها هوليود وتركز على قوة الشيطان ، وقد شاركت السينما المصرية فى هذا المجال بأفلام : سفير جهنم ، والمرأة التى غلبت الشيطان . . . إلخ .

المبحث الأول

عقيدتنا فى الجن

- الجن
- إبليس
- الشيطان
- عداوة الشيطان

الجـــن

هناك ثلاثة ألفاظ شرعية ، يحسن أن نتوقف عندها لنتعرف على مفهومها ، ونبين العلاقة بينها .

هذه الألفاظ هي : الجن ، وإبليس ، والشيطان .

فمن حيث اللغة : نرى أن كلمة الجن ومشتقاتها تدور حول الاستتار .

فالجن عالم مستور عن أعين بنى آدم .

والجنين مستور فى بطن أمه .

والجِنة ـ بكسر الجيم ـ : الجنون ؛ لأنه يستر العقل ، كما فى قوله تعالى : ﴿ مَا بِصَاحِبِكُم مِّن جِنَّةٍ ﴾ [سبأ : ٤٦] .

وقد يطلق هذا اللفظ ويراد به الجن ، كما فى قوله تعالى : ﴿ مِنَ الْجِنَّةِ وَالنَّاسِ ﴾ [الناس : ٦] . والجَنة ـ بفتح الجيم ـ : البستان ؛ لأن الأشجار فيه تستر الأرض . والجُنة ـ بضم الجيم ـ : الوقاية والستر، كما فى قوله تعالى: ﴿ اتَّخَذُوا أَيْمَانَهُمْ جُنَّةً ﴾ [المنافقون : ٢] .

والجن فى المصطلح الشرعي :

عالم ، عاقل ، مكلف ، غير منظور ، يتوالد ويتكاثر ، وجد قبل خلق الإنسان ، وكانت مادة خلقه من نار .

وهذا المصطلح دلت عليه نصوص القرآن المجيد .

قال تعالى فى حق الشيطان: ﴿ إِنَّهُ يَرَاكُمْ هُوَ وَقَبِيلُهُ مِنْ حَيْثُ لا تَرَوْنَهُمْ ﴾ [الأعراف: ٢٧] .

والقبيل بمعنى الجنود أو الذرية ، فالشيطان والمراد به هنا إبليس اللعين ، وجنوده وذريته يرون بنى آدم من حيث لا يراهم هؤلاء .

وقد جاء لفظ الذرية صريحا فى نسبته إلى إبليس فى قوله تعالى : ﴿ أَفَتَتَّخِذُونَهُ وَذُرِّيَّتَهُ أَوْلِيَاءَ مِن دُونِي وَهُمْ لَكُمْ عَدُوٌّ بِئْسَ لِلظَّالِمِينَ بَدَلاً ﴾ [الكهف : ٥٠] .

وقدرة الجن على التناسل واضحة فى قوله تعالى حين وصف الحور العين : ﴿ فِيهِنَّ قَاصِرَاتُ الطَّرْفِ لَمْ يَطْمِثْهُنَّ إِنسٌ قَبْلَهُمْ وَلا جَانٌّ ﴾ [الرحمن : ٥٦] . ومعنى ﴿ لَمْ يَطْمِثْهُنَّ ﴾ : لم يمسهن ولم يفتضهن أحد قبل أزواجهن .

وبدء الخلق للجن وطبيعة المادة التى وجد منها ، جاء فى قوله تعالى : ﴿ وَلَقَدْ خَلَقْنَا الإِنسَانَ مِن صَلْصَالٍ مِّنْ حَمَإٍ مَّسْنُونٍ . وَالْجَانَّ خَلَقْنَاهُ مِن قَبْلُ مِن نَّارِ السَّمُومِ ﴾ [الحجر: ٢٦ ، ٢٧] .

وفى قوله جل شأنه : ﴿ وَخَلَقَ الْجَانَّ مِن مَّارِجٍ مِّن نَّارٍ ﴾ [الرحمن : ١٥] .

ونار السموم هى نار لا دخان لها ، وهى تنفذ فى المسام ، حارة شديدة الحرارة . . ويلتقى هذا المعنى مع المارج من نار ؛ لأنه اللهب الصافى لا دخان فيه .

فبدء الخلق للجن هو من هذه النار ثم طرأت عليها تحولات ـ الله أعلم بها ـ حتى صارت هذا المخلوق العجيب ، كما أن الإنسان كان بدء خلقه من طين ثم تحول تحولات شتى ، فكان هذا الكائن الذى كرمه الله تعالى على سائر الخلق .

والتكليف للجن واضح ومحدد وصريح فى الخطاب القرآنى بما لا يدع مجالاً للشك .

فحكمة الخلق حددها الله تعالى فى قوله : ﴿ وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالإِنسَ إِلاَّ لِيَعْبُدُونِ ﴾ [الذاريات : ٥٦]

وهناك سورة فى القرآن تسمى سورة الرحمن ، خاطبت الجن والإنس ، وبينت نعم الله تعالى عليهما ، وحددت معالم الجزاء الأخروى لهما ثوابا وعقابا ، وتكرر فيها هذا التساؤل العجيب ﴿ فَبِأَيِّ آلاءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ ﴾ .وقد أثنى النبى ﷺ على مؤمنى الجن لما قرأ سورة الرحمن على الصحابة فسكتوا فقال :

« إن الجن كانوا أحسن منكم ، ما قرأت عليهم ﴿ فَبِأَيِّ آلاءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ ﴾ إلا قالوا : ولا بشيء من آلائك يارب نكذب فلك الحمد » ، وهناك سورة أخرى تسمى سورة الجن ، بينت كيف استمع الجن إلى القرآن ، وفهموا مقاصده ، وآمنوا به ، وندموا على ما سلف منهم قبل الإسلام ، وفى مفتتحها يقول الله تعالى :

﴿ قُلْ أُوحِيَ إِلَيَّ أَنَّهُ اسْتَمَعَ نَفَرٌ مِّنَ الْجِنِّ فَقَالُوا إِنَّا سَمِعْنَا قُرْآنًا عَجَبًا . يَهْدِي إِلَى الرُّشْدِ فَآمَنَّا بِهِ وَلَن نُّشْرِكَ بِرَبِّنَا أَحَدًا . وَأَنَّهُ تَعَالَىٰ جَدُّ رَبِّنَا مَا اتَّخَذَ صَاحِبَةً وَلا وَلَدًا . وَأَنَّهُ كَانَ يَقُولُ سَفِيهُنَا عَلَى اللَّهِ شَطَطًا . . . ﴾ [الجن : ١ ـ ٤] .

فهذا النص الكريم يدل دلالة صريحة على أن الجن يعيش حولنا ، ومكلف مثلنا ، وأن منهم المؤمن والكافر ، وأنه يفهم لغاتنا ، ويرانا من حيث لا نراه .

وقد عرض القرآن لموقف الجن هذا فى سورة الأحقاف ، وشرح كيفية اللقاء ، وبيّن أن هؤلاء النفر من الجن رجعوا إلى قومهم دعاة مصلحين . . فقال :

﴿ وَإِذْ صَرَفْنَا إِلَيْكَ نَفَرًا مِّنَ الْجِنِّ يَسْتَمِعُونَ الْقُرْآنَ فَلَمَّا حَضَرُوهُ قَالُوا أَنصِتُوا فَلَمَّا قُضِيَ وَلَّوْا

إِلَىٰ قَوْمِهِم مُّنذِرِينَ . قَالُوا يَا قَوْمَنَا إِنَّا سَمِعْنَا كِتَابًا أُنزِلَ مِن بَعْدِ مُوسَىٰ مُصَدِّقًا لِّمَا بَيْنَ يَدَيْهِ يَهْدِي إِلَى الْحَقِّ وَإِلَىٰ طَرِيقٍ مُّسْتَقِيمٍ . يَا قَوْمَنَا أَجِيبُوا دَاعِيَ اللَّهِ وَآمِنُوا بِهِ يَغْفِرْ لَكُم مِّن ذُنُوبِكُمْ وَيُجِرْكُم مِّنْ عَذَابٍ أَلِيمٍ . وَمَن لَّا يُجِبْ دَاعِيَ اللَّهِ فَلَيْسَ بِمُعْجِزٍ فِي الْأَرْضِ وَلَيْسَ لَهُ مِن دُونِهِ أَوْلِيَاءُ أُولَٰئِكَ فِي ضَلَالٍ مُّبِينٍ ﴾ [الأحقاف : ٢٩ ـ ٣٢] .

وفى قولهم : ﴿ مِن بَعْدِ مُوسَىٰ ﴾ دلالة قوية على أنهم كانوا مكلفين بالرسالات السابقة ، وجاء هذا التعبير تأكيدا على فقههم للرسالات ، فإن شريعة موسى ﷺ هى الشريعة التى سادت حتى مجيء شريعة محمد ﷺ ، فليس لعيسى ﷺ شريعة خاصة ، وإنما جاء ليعيد بنى إسرائيل إلى شريعة موسى ولم يغير منها شيئا ذا بال ، كما قال تعالى فى حق عيسى : ﴿ وَمُصَدِّقًا لِّمَا بَيْنَ يَدَيَّ مِنَ التَّوْرَاةِ وَلِأُحِلَّ لَكُم بَعْضَ الَّذِي حُرِّمَ عَلَيْكُمْ ﴾

[آل عمران : ٥٠]

وتحدث القرآن عن الجن على عهد سليمان ﷺ وأنه حكم عليهم ، وتصرف فيهم فقال : ﴿ وَحُشِرَ لِسُلَيْمَانَ جُنُودُهُ مِنَ الْجِنِّ وَالْإِنسِ وَالطَّيْرِ فَهُمْ يُوزَعُونَ ﴾ [النمل : ١٧] .

وقال جل شأنه : ﴿ وَمِنَ الْجِنِّ مَن يَعْمَلُ بَيْنَ يَدَيْهِ بِإِذْنِ رَبِّهِ وَمَن يَزِغْ مِنْهُمْ عَنْ أَمْرِنَا نُذِقْهُ مِنْ عَذَابِ السَّعِيرِ ﴾ [سبأ : ١٢] .

وفى خطاب عام شامل يؤكد القرآن هذا التكليف الإلهى لكلا الفريقين من الجن والإنس ، ويحدد المسؤولية الكاملة ، ويقطع كل عذر لهما فيقول :

﴿ يَا مَعْشَرَ الْجِنِّ وَالْإِنسِ أَلَمْ يَأْتِكُمْ رُسُلٌ مِّنكُمْ يَقُصُّونَ عَلَيْكُمْ آيَاتِي وَيُنذِرُونَكُمْ لِقَاءَ يَوْمِكُمْ هَٰذَا قَالُوا شَهِدْنَا عَلَىٰ أَنفُسِنَا وَغَرَّتْهُمُ الْحَيَاةُ الدُّنْيَا وَشَهِدُوا عَلَىٰ أَنفُسِهِمْ أَنَّهُمْ كَانُوا كَافِرِينَ ﴾

[الأنعام : ١٣٠]

إبليس

فى كتب اللغة :

جاء في كتب اللغة أن « إبليس » اسم أعجمى ؛ ولذلك فهو ممنوع من الصرف للعلمية والعجمة .

ويرى البعض أنه مشتق من « أبلس » بمعنى يئس ، والإبلاس هو الانكسار والحزن ، يقال : أبلس فلان إذا سكت غما ، فيكون لفظ « إبليس » بذلك عربيا ، ولكنه منع من الصرف لشبهه بالعجمة ، حيث لم يسم به أحد .

فى قصة بدء الخلق :

وورد اسم إبليس فى القرآن المجيد فى قصة آدم عليه السلام .

فقد شرف الله تعالى آدم وبنيه بأن ذكرهم فى الملأ الأعلى قبل خلقهم فقال جل شأنه :

﴿ وَإِذْ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلائِكَةِ إِنِّي جَاعِلٌ فِي الأَرْضِ خَلِيفَةً قَالُوا أَتَجْعَلُ فِيهَا مَن يُفْسِدُ فِيهَا وَيَسْفِكُ الدِّمَاءَ وَنَحْنُ نُسَبِّحُ بِحَمْدِكَ وَنُقَدِّسُ لَكَ قَالَ إِنِّي أَعْلَمُ مَا لا تَعْلَمُونَ ﴾ [البقرة : ٣٠] .

ومعنى الخليفة : أنه يخلف بعضهم بعضا ، جيلا بعد جيل ، كما فى قوله تعالى : ﴿ وَهُوَ الَّذِي جَعَلَكُمْ خَلائِفَ الأَرْضِ ﴾ [الأنعام : ١٦٥] .

والمقصود هو آدم وذريته وليس آدم وحده .

وتساؤل الملائكة إنما هو عن حكمة هذا الخلق الجديد ، وليس اعتراضا على فعل الله ، ولا حسداً لآدم ، ولا عجبا بأنفسهم .

واستقبل هذا الإنسان الأول استقبالا عظيما ممن سبقه فى الوجود ، فأمر الله تعالى الملائكة وإبليس - ممثل الجن - بالسجود لآدم سجود تحية وتقدير، لا سجود عبادة وتقديس .

واستجابت الملائكة استجابة فورية : ﴿ فَسَجَدَ الْمَلائِكَةُ كُلُّهُمْ أَجْمَعُونَ ﴾ [ص : ٧٣] . ورفض إبليس أن يكون مع الساجدين ، وقاس قياسا فاسدا فى مقابلة النص فقال : ﴿ أَنَا خَيْرٌ مِّنْهُ خَلَقْتَنِي مِن نَّارٍ وَخَلَقْتَهُ مِن طِينٍ ﴾ .

فليس هناك خيرية ذاتية، وإنما هى مرهونة باختيار الله واصطفائه، كما قال جل شأنه :

﴿ وَرَبُّكَ يَخْلُقُ مَا يَشَاءُ وَيَخْتَارُ مَا كَانَ لَهُمُ الْخِيَرَةُ سُبْحَانَ اللَّهِ وَتَعَالَىٰ عَمَّا يُشْرِكُونَ ﴾ [القصص : ٦٨]

وهناك تحددت العلاقة، وظهرت العداوة من إبليس لآدم ، وأصر إبليس عليها إصرارا ، وتمرد على الأمر تمردا :

﴿ قَالَ أَنظِرْنِي إِلَىٰ يَوْمِ يُبْعَثُونَ . قَالَ إِنَّكَ مِنَ الْمُنظَرِينَ . قَالَ فَبِمَا أَغْوَيْتَنِي لأَقْعُدَنَّ لَهُمْ صِرَاطَكَ الْمُسْتَقِيمَ . ثُمَّ لآتِيَنَّهُم مِّنْ بَيْنِ أَيْدِيهِمْ وَمِنْ خَلْفِهِمْ وَعَنْ أَيْمَانِهِمْ وَعَن شَمَائِلِهِمْ وَلا تَجِدُ أَكْثَرَهُمْ شَاكِرِينَ ﴾ [الأعراف : ١٤ ـ ١٧] .

وحكم الله ـ وهو خير الحاكمين ـ بطرد إبليس من الملأ الأعلى مذموما مدحورا ، وكافأ الله تعالى آدم وزوجه بإسكانهما الجنة ، وإباحته الأكل فيها حيث شاءا ، ونهاهما عن الاقتراب من شجرة فيها :

﴿ وَقُلْنَا يَا آدَمُ اسْكُنْ أَنتَ وَزَوْجُكَ الْجَنَّةَ وَكُلا مِنْهَا رَغَدًا حَيْثُ شِئْتُمَا وَلا تَقْرَبَا هَٰذِهِ الشَّجَرَةَ فَتَكُونَا مِنَ الظَّالِمِينَ ﴾ [البقرة : ٣٥] .

وبعدما تم الفصل بين آدم في الجنة منعما ، وإبليس مطرودا منها مدحورا ، تحايل إبليس أن يوقع آدم في المعصية ، وأكد له بالقسم المغلظ أن لهذه الشجرة المنهى عنها خصوصية تقربه من ربه وتجعله خالدا في النعيم ، قال تعالى: ﴿ فَوَسْوَسَ لَهُمَا الشَّيْطَانُ لِيُبْدِيَ لَهُمَا مَا وُورِيَ عَنْهُمَا مِن سَوْآتِهِمَا وَقَالَ مَا نَهَاكُمَا رَبُّكُمَا عَنْ هَٰذِهِ الشَّجَرَةِ إِلاَّ أَن تَكُونَا مَلَكَيْنِ أَوْ تَكُونَا مِنَ الْخَالِدِينَ . وَقَاسَمَهُمَا إِنِّي لَكُمَا لَمِنَ النَّاصِحِينَ . فَدَلاَّهُمَا بِغُرُورٍ . . . ﴾ [الأعراف : ٢٠ ـ ٢٢] .

وأكل آدم وزوجه من الشجرة ، وبدت لهما سوآتهما ، فأدركا الزلة التى وقعا فيها فالتجأ كل منهما إلى الله فى ضراعة ضارعة :

﴿ رَبَّنَا ظَلَمْنَا أَنفُسَنَا وَإِن لَّمْ تَغْفِرْ لَنَا وَتَرْحَمْنَا لَنَكُونَنَّ مِنَ الْخَاسِرِينَ ﴾ [الأعراف : ٢٣] .

واستجاب الله الدعاء الضارع ، وبدأ آدم رسالته على الأرض فى طهر طاهر ونقاء نقى :

﴿ ثُمَّ اجْتَبَاهُ رَبُّهُ فَتَابَ عَلَيْهِ وَهَدَىٰ ﴾ [طه : ١٢٢] .

تساؤلات :

هذا هو ملخص قصة بدء الخلق الإنسانى ، وهنا تتوارد تساؤلات :

١ ـ هل كان إبليس من الملائكة ؟

والجواب :

إن إبليس من الجن بنص قوله تعالى : ﴿ وَإِذْ قُلْنَا لِلْمَلائِكَةِ اسْجُدُوا لآدَمَ فَسَجَدُوا إِلاَّ

إبليسَ كَانَ مِنَ الْجِنِّ فَفَسَقَ عَنْ أَمْرِ رَبِّهِ أَفَتَتَّخِذُونَهُ وَذُرِّيَّتَهُ أَوْلِيَاءَ مِن دُونِي وَهُمْ لَكُمْ عَدُوٌّ بِئْسَ لِلظَّالِمِينَ بَدَلاً ﴾ [الكهف : ٥٠] .

فالاستثناء منقطع فالمستثنى وهو « إبليس » ليس من جنس المستثنى منه وهو الملائكة .

وقد يكون متصلا على معنى التشبيه ؛ لأن إبليس كان محشورا فى زمرة الملائكة يتعبد معهم ويعيش بينهم .

وتتأكد جنسيته الجنية بأن الملائكة لا يعصون الله ما أمرهم ويفعلون ما يؤمرون ، وهم قد سجدوا جميعا كلهم بنص قوله تعالى : ﴿ فَسَجَدَ الْمَلائِكَةُ كُلُّهُمْ أَجْمَعُونَ ﴾ [ص : ٧٣] وإبليس قد جمع الخطايا كلها ﴿ أَبَىٰ وَاسْتَكْبَرَ وَكَانَ مِنَ الْكَافِرِينَ ﴾ [البقرة : ٣٤] .

ثم إن لإبليس ذرية تتناسل منه وتتوالد ويكون منهم الذكر والأنثى ، أما الملائكة فلا يتوالدون ولا يتناسلون ، ومن وصفهم بالأنوثة فقد كفر لمخالفته صريح قوله تعالى: ﴿ وَجَعَلُوا الْمَلائِكَةَ الَّذِينَ هُمْ عِبَادُ الرَّحْمَٰنِ إِنَاثًا أَشَهِدُوا خَلْقَهُمْ سَتُكْتَبُ شَهَادَتُهُمْ وَيُسْأَلُونَ ﴾ [الزخرف: ١٩] .

٢ - كيف وسوس إبليس - وهو الطريد من الجنة - لآدم وهو المقيم فى الجنة ؟

والجواب :

إن هذا التساؤل أصبح غير وارد الآن بعد أن تيسرت سبل الاتصالات السلكية واللاسلكية ، وأضحى الناس يتناجون عبر القارات والمحيطات وأجواء الفضاء .

فلا عجب أن تصل وسوسة إبليس الطريد لآدم وبينهما بعد المشرقين أو أكثر .

٣ - هل خلق آدم ابتداءً ليعيش فى الجنة ويخلد فيها ؟

والجواب :

إن فى صدر قصة آدم فى سورة البقرة يؤكد أن آدم خلق للأرض وعمارتها ، ولم يخلق ليقيم فى الجنة ونعيمها ، وما مرحلة السكن فى الجنة إلا استطلاع للملك والملكوت ، وتعرف على الملأ الأعلى بما فيه ومن فيه .

فهى مرحلة تمهد للخلافة فى الأرض ، فقد علَّم الله الأسماء كلها لآدم إشارة إلى مجال عمله وخصائص تكوينه .

قال تعالى : ﴿ وَإِذْ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلائِكَةِ إِنِّي جَاعِلٌ فِي الأَرْضِ خَلِيفَةً قَالُوا أَتَجْعَلُ فِيهَا مَن يُفْسِدُ فِيهَا وَيَسْفِكُ الدِّمَاءَ وَنَحْنُ نُسَبِّحُ بِحَمْدِكَ وَنُقَدِّسُ لَكَ قَالَ إِنِّي أَعْلَمُ مَا لا تَعْلَمُونَ . وَعَلَّمَ آدَمَ الأَسْمَاءَ كُلَّهَا ثُمَّ عَرَضَهُمْ عَلَى الْمَلائِكَةِ فَقَالَ أَنبِئُونِي بِأَسْمَاءِ هَؤُلاءِ إِن كُنتُمْ صَادِقِينَ . قَالُوا سُبْحَانَكَ لا عِلْمَ لَنَا إِلاَّ مَا عَلَّمْتَنَا إِنَّكَ أَنتَ الْعَلِيمُ الْحَكِيمُ . قَالَ يَا آدَمُ أَنبِئْهُم بِأَسْمَائِهِمْ فَلَمَّا أَنبَأَهُم بِأَسْمَائِهِمْ قَالَ أَلَمْ أَقُل

لكُمْ إِنِّي أَعْلَمُ غَيْبَ السَّمَوَاتِ وَالأَرْضِ وَأَعْلَمُ مَا تُبْدُونَ وَمَا كُنتُمْ تَكْتُمُونَ ﴾ [البقرة : ٣٠ ـ ٣٣] .

لقد مرّ آدم فى مرحلة السكن بالجنة ، بتجربة عملية للتكليف الشرعى فى الأمر بالأكل من ثمار الجنة ، والنهى عن شجرة منها ، وما يترتب على ذلك من الطاعة والمعصية ثم الثواب والعقاب .

٤ ـ هل هبط آدم إلى الأرض تطارده الخطيئة وتلاحقه اللعنة ؟

والجواب :

إن المعصية هى مخالفة الأمر بقصد المخالفة ونية التمرد ، وقد رفع الله الخطأ والنسيان والإكراه عن الإنسان فلا يؤاخذه به ولو كان كفرا .

قال تعالى : ﴿ مَن كَفَرَ بِاللَّهِ مِنْ بَعْدِ إِيمَانِهِ إِلاَّ مَنْ أُكْرِهَ وَقَلْبُهُ مُطْمَئِنٌّ بِالإِيمَانِ وَلَكِن مَّن شَرَحَ بِالْكُفْرِ صَدْرًا فَعَلَيْهِمْ غَضَبٌ مِّنَ اللَّهِ وَلَهُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ ﴾ [النحل : ١٠٦] .

فليس مجرد شكل المخالفة يعـد معصية ، فالمفـطر فى رمضان لمرض أو سفر ليس عاصيا ، كما أنه ليس مجرد شكل الاستجابة يعد طاعة ، وإلا فماذا نحن قائلون فى المنافقين والمخادعين والمرائين ؟!

إن القرآن المجيد يؤكد أن معصية آدم كانت نسيانا للعداوة مع إبليس، قال جل شأنه : ﴿ وَلَقَدْ عَهِدْنَا إِلَىٰ آدَمَ مِن قَبْلُ فَنَسِيَ وَلَمْ نَجِدْ لَهُ عَزْمًا ﴾ [طه : ١١٥] .

وهذا النسيان للعداوة جعل آدم يظن أن لا أحد يحلف بالله حانثا ، فتقبل نصيحة إبليس وخدعته عندما قاسمه بالله أن الهدف من الأكل هو مرضاة الله بأن يكون ملكا طائعا لله ، أو يكون من الخالدين فى الطاعة والنعيم .

ولعل آدم عندما قبل هذه النصيحة الخادعة ، تأول النهى على أن الإشارة لشجرة بعينها لا لنوعها .

وأيا ما كان فإن القصد إلى المعصية غير متحقق .

وإنما سمى القرآن فعل آدم معصية فى قوله تعالى : ﴿ وَعَصَىٰ آدَمُ رَبَّهُ فَغَوَىٰ ﴾ [طه : ١٢١] . فهو بالنسبة لعظمة الرب الكبير المتعال ،وعبودية الإنسان الضعيف ، وكما قيل : فإن حسنات الأبرار سيئات المقربين .

وعلى قدر صلة الإنسان بربه يكون لومه لنفسه وحسابه لها ، والرسل أعرف الناس بجلال الله وكماله ؛ ولذا فعندما حدث شكل المعصية من آدم التجأ إلى ربه بالتوبة ، وتضرع مخلصا من قلبه ، فتقبل الله منه وعفا عنه واصطفاه .. قال تعالى : ﴿ فَتَلَقَّىٰ آدَمُ مِن

رَبِّهِ كَلِمَاتٍ فَتَابَ عَلَيْهِ إِنَّهُ هُوَ التَّوَّابُ الرَّحِيمُ ﴾ [البقرة : ٣٧] .

لقد هبط آدم إلى الأرض طاهرا مجتبى ونبيا رسولا ، يتحمل رسالة إلهية إلى بنيه وذريته . . قال تعالى :

﴿ قُلْنَا اهْبِطُوا مِنْهَا جَمِيعًا فَإِمَّا يَأْتِيَنَّكُم مِّنِّي هُدًى فَمَن تَبِعَ هُدَايَ فَلا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلا هُمْ يَحْزَنُونَ . وَالَّذِينَ كَفَرُوا وَكَذَّبُوا بِآيَاتِنَا أُولَئِكَ أَصْحَابُ النَّارِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ ﴾ [البقرة:٣٨ ، ٣٩] .

الشيطان

فى كتب اللغة :

الشيطان فى لغة العرب : كل عات متمرد من الإنس والجن والدواب ، والعرب تسمى الحية شيطانا .

وقال الفراء فى قوله تعالى : ﴿ طَلْعُهَا كَأَنَّهُ رُءُوسُ الشَّيَاطِينِ ﴾ [الصافات : ٦٥] : فيه من العربية ثلاثة أوجه :

أحدهما : أنه يشبه طلعها فى قبحه برؤوس الشياطين ؛ لأنها موصوفة بالقبح .

الثانـــى : أن العرب تسمى بعض الحيات شيطانا ، وهو ذو العرف قبيح الوجه .

الثالـــث : أنه نبت قبيح يسمى برؤوس الشياطين (١) .

* * *

فى البيان القرآنى :

وقد جرى البيان القرآنى على هذا الاستعمال العربى ، فاستخدم لفظ « الشيطان » لكل متمرد عات من الإنس والجن ، كما فى قوله تعالى : ﴿ وَكَذَلِكَ جَعَلْنَا لِكُلِّ نَبِيٍّ عَدُوًّا شَيَاطِينَ الإِنسِ وَالْجِنِّ يُوحِي بَعْضُهُمْ إِلَىٰ بَعْضٍ زُخْرُفَ الْقَوْلِ غُرُورًا وَلَوْ شَاءَ رَبُّكَ مَا فَعَلُوهُ فَذَرْهُمْ وَمَا يَفْتَرُونَ ﴾ [الأنعام : ١١٢] .

فأعداء الأنبياء فى كل زمان ومكان هم الملأ المستكبرون .

وتحدث القرآن عن نموذج من التلاقى بين شياطين الجن والإنس ، فى الصد عن سبيل الله ودعوة الحق فقال :

﴿ وَمَا أَرْسَلْنَا مِن قَبْلِكَ مِن رَّسُولٍ وَلا نَبِيٍّ إِلاَّ إِذَا تَمَنَّىٰ أَلْقَى الشَّيْطَانُ فِي أُمْنِيَّتِهِ فَيَنسَخُ اللَّهُ مَا يُلْقِي الشَّيْطَانُ ثُمَّ يُحْكِمُ اللَّهُ آيَاتِهِ وَاللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ . لِيَجْعَلَ مَا يُلْقِي الشَّيْطَانُ فِتْنَةً لِّلَّذِينَ فِي قُلُوبِهِم مَّرَضٌ وَالْقَاسِيَةِ قُلُوبُهُمْ وَإِنَّ الظَّالِمِينَ لَفِي شِقَاقٍ بَعِيدٍ . وَلِيَعْلَمَ الَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ أَنَّهُ الْحَقُّ مِن رَّبِّكَ فَيُؤْمِنُوا بِهِ فَتُخْبِتَ لَهُ قُلُوبُهُمْ وَإِنَّ اللَّهَ لَهَادِ الَّذِينَ آمَنُوا إِلَىٰ صِرَاطٍ مُّسْتَقِيمٍ ﴾ [الحج : ٥٢ ـ ٥٤] .

---

(١) الصحاح فى اللغة والعلوم ، إعداد وتصنيف : نديم وأسامة مرعشلى ـ المجلد الأول ص ٦٦٧ ، ط دار الحضارة العربية ـ بيروت ، ومختار الصحاح ط الحلبى ص ٣٦٠ .

إن الأنبياء عليهم السلام يرغبون فى هداية أقوامهم ، ويشق عليهم إعراض الناس عن دعوة الحق ، ويودون أن لو استقاموا على الطريقة الصحيحة والمنهج الإلهى القويم .

هذه أمنية كل رسول ونبى .

ولكن الحياة لا تخلو من عقبات ، فشياطين الإنس والجن يقفون بالمرصاد لكل دعوة حق ، يلقون الشبه ، ويثيرون الفتنة ، ويفسدون فى الأرض ، ويصدون عن سبيل الله .

ويظل المؤمنون الصادقون فى جهاد وبلاء وتمحيص حتى يأتى وعد الله ، ويتحقق نصر الدين والملة ، وتكون كلمة الله هى العليا .

وهنا تتخاذل الشياطين ، وتزول مكائدهم ، وتطهر الأرض من رجسهم ، ﴿ فَيَنسَخُ اللَّهُ مَا يُلْقِي الشَّيْطَانُ ثُمَّ يُحْكِمُ اللَّهُ آيَاتِهِ وَاللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ ﴾ [الحج : ٥٢] . والنسخ: هو الإزالة ، والإحكام : هو التثبيت .

وتلك سنة جارية إلى أن يرث الله الأرض ومن عليها ، وعبَّر عنها القرآن فى مثل قوله تعالى : ﴿ يُرِيدُونَ لِيُطْفِئُوا نُورَ اللَّهِ بِأَفْوَاهِهِمْ وَاللَّهُ مُتِمُّ نُورِهِ وَلَوْ كَرِهَ الْكَافِرُونَ ﴾ [الصف : ٨] .

فالعلاقة التى تربط شياطين الإنس والجن علاقة آثمة ومسوقوتة منقطعة عاجلا فى الدنيا ، أو آجلا ، يوم يفر كل فريق من الآخر ، ويقع التلاوم حيث لا ينفع الندم ، وتأتى الحسرة من كل جانب .

قال تعالى : ﴿ وَقَالَ الشَّيْطَانُ لَمَّا قُضِيَ الأَمْرُ إِنَّ اللَّهَ وَعَدَكُمْ وَعْدَ الْحَقِّ وَوَعَدتُّكُمْ فَأَخْلَفْتُكُمْ وَمَا كَانَ لِيَ عَلَيْكُم مِّن سُلْطَانٍ إِلاَّ أَن دَعَوْتُكُمْ فَاسْتَجَبْتُمْ لِي فَلا تَلُومُونِي وَلُومُوا أَنفُسَكُم مَّا أَنَا بِمُصْرِخِكُمْ وَمَا أَنتُم بِمُصْرِخِيَّ إِنِّي كَفَرْتُ بِمَا أَشْرَكْتُمُونِي مِن قَبْلُ إِنَّ الظَّالِمِينَ لَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴾ [إبراهيم : ٢٢]

إن الشيطان يقف خطيبا يوم الحسرة ، حين يستقر أهل الجنة فى النعيم خالدين ، وأهل النار فى السعير خالدين ، فينادى أتباعه وأولياءه وحزبه .

إن الله وعدكم وعد الحق ، فأرسل الرسل ، وأنزل الكتب ، وأقام آيات الأنفس والآفاق شاهدة بوحدانيته ، ناطقة بحكمته ، مسبحة بحمده ، ودعاكم إلى عبادته وحده ، وحكم برجعتكم إليه للحساب والجزاء .

ولكن إبليس فتن الناس ، وصرفهم عن الولاء لله ورسله ، وزين لهم سوء أعمالهم .

فانساق الناس وراءه ، وغرتهم الحياة الدنيا ، وحسبوا أن الخلق عبث ، وتناسوا الجزاء الإلهى .

ويتنصل إبليس من المسؤولية ، وينتحل لنفسه عذرا ، فالناس هم الذين طمسو عقولهم ، وصموا آذانهم ، وحطموا مراكز الوعى .

وحينئذ لا ينفع التلاوم ، ولا يغيث أحـد أحـدا ، ويقف الجميع فى ساحة العدل الإلهى ، وحقت كلمة العذاب على الشيطان ومن اتبعه من الغاوين .

عداوة الشيطان :

حذر القرآن كثيرا من عداوة الشيطان ، وبيّن خطورة إغوائه ، وأن نهايتها هى الشقاء السرمدى .

وتوجه القرآن بالنداء إلى الناس كافة ، وإلى بنى آدم عامة ، يحذرهم هذه العداوة ، وينبههم إلى عاقبتها الوخيمة .

قال جل شأنه : ﴿ يَا بَنِي آدَمَ لا يَفْتِنَنَّكُمُ الشَّيْطَانُ كَمَا أَخْرَجَ أَبَوَيْكُم مِّنَ الْجَنَّةِ يَنزِعُ عَنْهُمَا لِبَاسَهُمَا لِيُرِيَهُمَا سَوْءَاتِهِمَا إِنَّهُ يَرَاكُمْ هُوَ وَقَبِيلُهُ مِنْ حَيْثُ لا تَرَوْنَهُمْ إِنَّا جَعَلْنَا الشَّيَاطِينَ أَوْلِيَاءَ لِلَّذِينَ لا يُؤْمِنُونَ ﴾ [الأعراف : ٢٧] .

وقال سبحانه: ﴿ يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّ وَعْدَ اللَّهِ حَقٌّ فَلا تَغُرَّنَّكُمُ الْحَيَاةُ الدُّنْيَا وَلا يَغُرَّنَّكُم بِاللَّهِ الْغَرُورُ . إِنَّ الشَّيْطَانَ لَكُمْ عَدُوٌّ فَاتَّخِذُوهُ عَدُوًّا إِنَّمَا يَدْعُو حِزْبَهُ لِيَكُونُوا مِنْ أَصْحَابِ السَّعِيرِ ﴾
[فاطر : ٥ ، ٦]

والشيطان هنا مراد به إبليس اللعين، فهو الشيطان الأول، والشياطين بعده عيال عليه .

وقد لحق إبليس وصف الشيطنة منذ تمرده على الأمر الإلهى ، ورفضه السجود لآدم .

قال تعالى : ﴿ فَأَزَلَّهُمَا الشَّيْطَانُ عَنْهَا فَأَخْرَجَهُمَا مِمَّا كَانَا فِيهِ وَقُلْنَا اهْبِطُوا بَعْضُكُمْ لِبَعْضٍ عَدُوٌّ وَلَكُمْ فِي الأَرْضِ مُسْتَقَرٌّ وَمَتَاعٌ إِلَىٰ حِينٍ ﴾ [البقرة : ٣٦] .

وقد أصر إبليس إصرارا على إبائه واستكباره وكفره ، وطلب من الله تعالى إمهاله إلى يوم القيامة ، وأخذ على نفسه العهد أن يكون بالمرصاد لآدم وبنيه ، يوسوس لهم ، ويصرفهم عن الحق ، وينأى بهم عن الخير ، ويدفعهم إلى الشر والكفر ، ويهوى بهم إلى جهنم .

قال تعالى : ﴿ قَالَ أَنظِرْنِي إِلَىٰ يَوْمِ يُبْعَثُونَ . قَالَ إِنَّكَ مِنَ الْمُنظَرِينَ . قَالَ فَبِمَا أَغْوَيْتَنِي لأَقْعُدَنَّ لَهُمْ صِرَاطَكَ الْمُسْتَقِيمَ . ثُمَّ لآتِيَنَّهُم مِّنْ بَيْنِ أَيْدِيهِمْ وَمِنْ خَلْفِهِمْ وَعَنْ أَيْمَانِهِمْ وَعَن شَمَائِلِهِمْ وَلا تَجِدُ أَكْثَرَهُمْ شَاكِرِينَ . قَالَ اخْرُجْ مِنْهَا مَذْءُومًا مَّدْحُورًا لَّمَن تَبِعَكَ مِنْهُمْ لأَمْلأَنَّ جَهَنَّمَ مِنكُمْ أَجْمَعِينَ ﴾
[الأعراف ١٤ ـ ١٨]

ولقد عصم الله المخلصين الصادقين من أن يفترسهم الشيطان ، أو يتمكن من

عقيدتهم ، وقد اعترف بذلك إبليس اللعين فقال : ﴿ وَلأُغْوِيَنَّهُمْ أَجْمَعِينَ . إِلاَّ عِبَادَكَ مِنْهُمُ الْمُخْلَصِينَ ﴾ (١) [الحجر : ٣٩ ، ٤٠] .

وأكد الله تعالى حفظه لأوليائه ورعايته لأصفيائه فقال :

﴿ إِنَّ عِبَادِي لَيْسَ لَكَ عَلَيْهِمْ سُلْطَانٌ إِلاَّ مَنِ اتَّبَعَكَ مِنَ الْغَاوِينَ ﴾ [الحجر : ٤٢] .

وقال :

﴿ فَإِذَا قَرَأْتَ الْقُرْآنَ فَاسْتَعِذْ بِاللَّهِ مِنَ الشَّيْطَانِ الرَّجِيمِ . إِنَّهُ لَيْسَ لَهُ سُلْطَانٌ عَلَى الَّذِينَ آمَنُوا وَعَلَىٰ رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ . إِنَّمَا سُلْطَانُهُ عَلَى الَّذِينَ يَتَوَلَّوْنَهُ وَالَّذِينَ هُم بِهِ مُشْرِكُونَ ﴾ [النحل : ٩٨ ـ ١٠٠] .

وساق القرآن هذه المسألة فى أسلوب التهكم بالشيطان والتصغير لشأنه والتهديد له هكذا :

﴿ قَالَ اذْهَبْ فَمَن تَبِعَكَ مِنْهُمْ فَإِنَّ جَهَنَّمَ جَزَاؤُكُمْ جَزَاءً مَّوْفُورًا . وَاسْتَفْزِزْ مَنِ اسْتَطَعْتَ مِنْهُم بِصَوْتِكَ وَأَجْلِبْ عَلَيْهِم بِخَيْلِكَ وَرَجِلِكَ وَشَارِكْهُمْ فِي الأَمْوَالِ وَالأَوْلادِ وَعِدْهُمْ وَمَا يَعِدُهُمُ الشَّيْطَانُ إِلاَّ غُرُورًا . إِنَّ عِبَادِي لَيْسَ لَكَ عَلَيْهِمْ سُلْطَانٌ وَكَفَىٰ بِرَبِّكَ وَكِيلاً ﴾ [الإسراء : ٦٣ ـ ٦٥] .

وقد جعل الله قلوب عباده المخلصين موصولة بالملأ الأعلى ، قريبة التذكر لجلال الله وكماله ، سريعة الوقوف بباب عزه وسلطانه . الأمر الذى يجعل الشيطان يتصاغر أمام ذكر الله ، وتضعف وسوسته ، ويتضاءل كيده .

قال الله تعالى : ﴿ إِنَّ الَّذِينَ اتَّقَوْا إِذَا مَسَّهُمْ طَائِفٌ مِّنَ الشَّيْطَانِ تَذَكَّرُوا فَإِذَا هُم مُّبْصِرُونَ ﴾ [الأعراف : ٢٠١]

ونخلص من كل ما تقدم ، إلى ما يلى :

ـ إبليس أبو الجن وأصلهم ، كما أن آدم ﷺ أبو البشر وأصلهم .

ـ الجن مكلف كالبشر ، منهم المؤمنون وأكثرهم الفاسقون .

ـ الشيطان هو كل مستكبر فاسد مفسد ، سواء كان من الجن أو الإنس .

ـ أعتى المستكبرين هو إبليس اللعين ، فهو الشيطان الأول والأكبر .

---

(١) جاءت الآيتان فى سورة ص بحذف الواو : الآيتان ٨٢ ، ٨٣ .

المبحث الثانى

مظاهر عبادة الشيطان

- مفهوم عبادة الشيطان
- الانحراف العقدى
- الانحراف السلوكى

تمهيد

كشفت أجهزة الأمن المصرية عن أمور مذهلة لفكر جماعة عبدة الشيطان وطقوسهم الشيطانية .

إنهم يقيمون حفلات صاخبة ، يجتمعون فيها حفاة عراة ، يمارسون الجنس والشذوذ بصورة جماعية ، ويحتسون الخمور ، ويشربون الدماء ، ويأكلون الميتة والخبائث ، ويعبثون بجثث الموتى والجماجم ، ويستهزئون بالدين وقيمه .

ومن عقائدهم : أن قمة العبادة الشيطانية هي التخلص من الحياة والانتحار الجماعى .

هذه الصورة البشعة هى تجميع لصور شتى،بثها الشيطان بين البشر فى عصور سحيقة ، وتناقلتها أجيال على مدى التاريخ .

وإذا تتبعنا حديث القرآن عن عبادة الشيطان ، فإننا نجد أن مظاهر هذه العبادة بمفهومها العام يتمثل فى جانبين :

أ ـ الانحراف العقدى .

ب ـ الانحراف السلوكى والأخلاقى .

* وقد اتخذ الانحراف العقدى أشكالاً عدة منها :

١ ـ الغلو فى الأنبياء والصالحين .

٢ ـ عبادة الملوك والكهنة .

٣ ـ عبادة الأصنام .

٤ ـ عبادة النجوم والكواكب .

٥ ـ النفاق .

٦ ـ الردة .

* واتخذ الانحراف السلوكى أنماطا متعددة يجمعها شعبتان :

الشعبة الأولى : كشف العورة .

الشعبة الثانية : شرب الخمر .

أما مظاهر عبادة الشيطان بمفهومها الخاص ، فقد تحدث عنها القرآن فى جوانب السحر

والكهانة والتنجيم . وهذه الأمور تتصل بالانحراف العقدي ؛ لأن فيها إسناد الأمر لغير الله ، واعتقاد النفع والضر من دون الله ، وادعاء معرفة الغيب .

وإلى تفصيل ذلك - بتوفيق الله تعالى .

مفهوم عبادة الشيطان

أ- بالمعنى العام :

قامت البشرية في عهدها الأول على عقيدة التوحيد الخالص لله تعالى ، في إطار الأسرة الواحدة التي نشأت منها ، قال سبحانه : ﴿ يَا أَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُوا رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُم مِّن نَّفْسٍ وَاحِدَةٍ وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَبَثَّ مِنْهُمَا رِجَالاً كَثِيراً وَنِسَاءً وَاتَّقُوا اللَّهَ الَّذِي تَسَاءَلُونَ بِهِ وَالأَرْحَامَ إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلَيْكُمْ رَقِيباً ﴾ [النساء : ١] .

ومع كثرة التناسل وانتشار الذرية ، والتباعد عن الأصل ، والتفرق في الأرض ، طرأ الشرك والكفر،وقام إبليس اللعين بتنفيذ خطته التي أعلنها بلا استحياء أمام الله عز وجل :

﴿ لأَقْعُدَنَّ لَهُمْ صِرَاطَكَ الْمُسْتَقِيمَ . ثُمَّ لآتِيَنَّهُم مِّنْ بَيْنِ أَيْدِيهِمْ وَمِنْ خَلْفِهِمْ وَعَنْ أَيْمَانِهِمْ وَعَن شَمَائِلِهِمْ وَلا تَجِدُ أَكْثَرَهُمْ شَاكِرِينَ ﴾ [الأعراف : ١٦ ، ١٧] . ﴿ قَالَ أَرَأَيْتَكَ هَذَا الَّذِي كَرَّمْتَ عَلَيَّ لَئِنْ أَخَّرْتَنِ إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ لأَحْتَنِكَنَّ(١) ذُرِّيَّتَهُ إِلاَّ قَلِيلاً ﴾ [الإسراء : ٦٢] .

فتمزقت البشرية كل ممزق ، وتفرقت شيعا وأحزابا ، فكانت الحاجة ماسة إلى بعثة الرسل ، وإنزال الكتب ، هداية للناس ورحمة بهم ، وحكما فيما شجر بينهم ، ونصبا لدلائل الحق ، ودحضا لشبهات الباطل ، وقطعا لمكائد الشيطان .

قال تعالى : ﴿ كَانَ النَّاسُ أُمَّةً وَاحِدَةً فَبَعَثَ اللَّهُ النَّبِيِّينَ مُبَشِّرِينَ وَمُنذِرِينَ وَأَنزَلَ مَعَهُمُ الْكِتَابَ بِالْحَقِّ لِيَحْكُمَ بَيْنَ النَّاسِ فِيمَا اخْتَلَفُوا فِيهِ . . . ﴾ [البقرة . ٢١٣] .

والمعنى أن الناس كانوا أمة واحدة على دين الحق ، فاختلفوا فترتب على ذلك بعثة الأنبياء والرسل لإصلاح ما أفسد الناس ، كما في قوله تعالى : ﴿ وَمَا كَانَ النَّاسُ إِلاَّ أُمَّةً وَاحِدَةً فَاخْتَلَفُوا ﴾ [يونس : ١٩] .

وقد وصف الله هذا الاختلاف الطارئ بأنه عبادة للطاغوت ، فقال : ﴿ وَلَقَدْ بَعَثْنَا فِي كُلِّ أُمَّةٍ رَّسُولاً أَنِ اعْبُدُوا اللَّهَ وَاجْتَنِبُوا الطَّاغُوتَ فَمِنْهُم مَّنْ هَدَى اللَّهُ وَمِنْهُم مَّنْ حَقَّتْ عَلَيْهِ الضَّلالَةُ فَسِيرُوا فِي الأَرْضِ فَانظُرُوا كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الْمُكَذِّبِينَ ﴾ [النحل : ٣٦] .

والطاغوت هو مجاوزة الحد في الطغيان ، والشرك بالله هو الظلم العظيم ، والشيطان

---

(١) الاحتناك : هو الاستيلاء

هو أعتى الطغاة ، فتكون عبادة الشيطان هى المقابل لعبادة الله وعلى النقيض منها ، وهى الوصف الجامع لكل صور الشرك والكفر والفساد .

ويوم تناست البشرية عهدها الأول مع الله تعالى، بدأت عبادة الشيطان ، قال تعالى :

﴿ أَلَمْ أَعْهَدْ إِلَيْكُمْ يَا بَنِي آدَمَ أَن لاَّ تَعْبُدُوا الشَّيْطَانَ إِنَّهُ لَكُمْ عَدُوٌّ مُّبِينٌ . وَأَنِ اعْبُدُونِي هَذَا صِرَاطٌ مُّسْتَقِيمٌ . وَلَقَدْ أَضَلَّ مِنكُمْ جِبِلاًّ (١) كَثِيراً أَفَلَمْ تَكُونُوا تَعْقِلُونَ ﴾ [يس : ٦٠ - ٦٢] .

ولذلك خاطب إبراهيم عليه السلام أباه يدعوه إلى عبادة الله ، وترك عبادة الشيطان ، مع أن أباه كان يتخذ أصناما آلهة ، قال تعالى :

﴿ وَاذْكُرْ فِي الْكِتَابِ إِبْرَاهِيمَ إِنَّهُ كَانَ صِدِّيقًا نَّبِيًّا . إِذْ قَالَ لأَبِيهِ يَا أَبَتِ لِمَ تَعْبُدُ مَا لا يَسْمَعُ وَلا يُبْصِرُ وَلا يُغْنِي عَنكَ شَيْئًا . يَا أَبَتِ إِنِّي قَدْ جَاءَنِي مِنَ الْعِلْمِ مَا لَمْ يَأْتِكَ فَاتَّبِعْنِي أَهْدِكَ صِرَاطًا سَوِيًّا . يَا أَبَتِ لا تَعْبُدِ الشَّيْطَانَ إِنَّ الشَّيْطَانَ كَانَ لِلرَّحْمَنِ عَصِيًّا . يَا أَبَتِ إِنِّي أَخَافُ أَن يَمَسَّكَ عَذَابٌ مِّنَ الرَّحْمَنِ فَتَكُونَ لِلشَّيْطَانِ وَلِيًّا ﴾ [مريم : ٤١ - ٤٥] .

وحين أعرض أهل سبأ عن شكر الله وكفروا بأنعمه ، وصفهم الله تعالى باتباع إبليس فقال :

﴿ وَلَقَدْ صَدَّقَ عَلَيْهِمْ إِبْلِيسُ ظَنَّهُ فَاتَّبَعُوهُ إِلاَّ فَرِيقًا مِّنَ الْمُؤْمِنِينَ ﴾ [سبأ : ٢٠] .

وحين فسق اليهود عن الدين الصحيح ، وعاثوا فى الأرض فسادا ، أطلق عليهم القرآن أنهم عبدة الطاغوت فقال :

﴿ قُلْ هَلْ أُنَبِّئُكُم بِشَرٍّ مِّن ذَلِكَ مَثُوبَةً عِندَ اللَّهِ مَن لَّعَنَهُ اللَّهُ وَغَضِبَ عَلَيْهِ وَجَعَلَ مِنْهُمُ الْقِرَدَةَ وَالْخَنَازِيرَ وَعَبَدَ الطَّاغُوتَ أُوْلَئِكَ شَرٌّ مَّكَانًا وَأَضَلُّ عَن سَوَاءِ السَّبِيلِ ﴾ [المائدة : ٦٠] .

وستشهد الملائكة يوم الحشر الأكبر أن الكافرين والمشركين عبدوا الجن والشياطين حين تركوا عبادة الله وحده ، قال تعالى :

﴿ وَيَوْمَ يَحْشُرُهُمْ جَمِيعًا ثُمَّ يَقُولُ لِلْمَلائِكَةِ أَهَؤُلاءِ إِيَّاكُمْ كَانُوا يَعْبُدُونَ . قَالُوا سُبْحَانَكَ أَنتَ وَلِيُّنَا مِن دُونِهِم بَلْ كَانُوا يَعْبُدُونَ الْجِنَّ أَكْثَرُهُم بِهِم مُّؤْمِنُونَ ﴾ [سبأ : ٤٠ ، ٤١] .

هذا ، ويعد سيدنا نوح عليه السلام أول رسول ذكره القرآن المجيد ، يواجه عبادة الأصنام فى البشرية ، ويقال : إن هذه الأصنام كانت فى بدء أمرها تماثيل لرجال صالحين ، صنعها الناس تخليدا لذكراها ، فلما تقادم العهد عبدوها من دون الله .

قال تعالى : ﴿ قَالَ نُوحٌ رَّبِّ إِنَّهُمْ عَصَوْنِي وَاتَّبَعُوا مَن لَّمْ يَزِدْهُ مَالُهُ وَوَلَدُهُ إِلاَّ خَسَارًا . وَمَكَرُوا

---

(١) الجبلّ : الخلق والجماعة العظيمة .

﴿ مَكْرًا كُبَّارًا . وَقَالُوا لا تَذَرُنَّ آلِهَتَكُمْ وَلا تَذَرُنَّ وَدًّا وَلا سُوَاعًا وَلا يَغُوثَ وَيَعُوقَ وَنَسْرًا . . . ﴾
[نوح : ٢١ ـ ٢٣]

وقد انتشرت الوثنية فى أماكن عدة وبلاد شتى ، فى مصر القديمة ، وبلاد الرافدين ، والشام والهند والصين وفارس واليونان والرومان ، والجزيرة العربية .

ب ـ بالمعنى الخاص :

عبادة الشيطان بالمعنى الخاص : هى اتخاذ الشيطان نفسه إلها يُعبد من دون الله ، ويطاع ويقدس ، وتقدم له طقوس وأشكال معينة يتخيلها العابد مرضاة للشيطان .

وهذا المعنى الخاص ذكره القرآن المجيد فى مثل قوله تعالى : ﴿ وَأَنَّهُ كَانَ رِجَالٌ مِّنَ الإِنسِ يَعُوذُونَ بِرِجَالٍ مِّنَ الْجِنِّ فَزَادُوهُمْ رَهَقًا ﴾ [الجن : ٦] .

فقد كان العرب فى الجاهلية إذا نزلوا واديا من أرض فلاة وأمسى عليهم الليل قالوا : نعوذ بعظيم أو عزيز هذا الوادى من الجن ، ويظنون أن لكل كبير فى الجن حمى يقع تحت سلطانه ويذود عنه ، وهذا الصنيع زاد كلا الفريقين طغيانا وإثما ، فازداد الجن كبرا وعلوا وفسادا ، وازداد الإنس كفرا وشركا وضلالا .

ومن عبادة الشيطان بالمعنى الخاص : السحر والتنجيم والكهانة .

ولا يفعل ذلك إلا كل كافر زنديق ، وقد وصفه القرآن بالإفك والإثم ، فقال : ﴿ هَلْ أُنَبِّئُكُمْ عَلَىٰ مَن تَنَزَّلُ الشَّيَاطِينُ . تَنَزَّلُ عَلَىٰ كُلِّ أَفَّاكٍ أَثِيمٍ . يُلْقُونَ السَّمْعَ وَأَكْثَرُهُمْ كَاذِبُونَ ﴾ [الشعراء : ٢٢١ ـ ٢٢٣] . والإفك : أقبح الكذب وأفحشه .

وهذه العبادة بالمعنى الخاص ، جعلت كلا من الجن والإنس يستمتع بعضهم ببعض ، فكان استمتاع الجن بالتعظيم والتقديس الذى قدمه الإنس لهم ، وكان استمتاع الإنس بخداع الناس، والتمويه عليهم وادعاء كشف الضر وجلب النفع بما يقوم به الساحر والمنجم والكاهن .

قال تعالى : ﴿ وَيَوْمَ يَحْشُرُهُمْ جَمِيعًا يَا مَعْشَرَ الْجِنِّ قَدِ اسْتَكْثَرْتُم مِّنَ الإِنسِ وَقَالَ أَوْلِيَاؤُهُم مِّنَ الإِنسِ رَبَّنَا اسْتَمْتَعَ بَعْضُنَا بِبَعْضٍ وَبَلَغْنَا أَجَلَنَا الَّذِي أَجَّلْتَ لَنَا قَالَ النَّارُ مَثْوَاكُمْ خَالِدِينَ فِيهَا إِلاَّ مَا شَاءَ اللَّهُ إِنَّ رَبَّكَ حَكِيمٌ عَلِيمٌ ﴾ [الأنعام : ١٢٨] .

والسحر قديم فى البشرية ، وقد انتشر فى مدائن مصر القديمة ، وتبناه فرعون ، وجعل السحرة من جنوده ، قال تعالى :

﴿ قَالُوا أَرْجِهْ وَأَخَاهُ وَأَرْسِلْ فِي الْمَدَائِنِ حَاشِرِينَ . يَأْتُوكَ بِكُلِّ سَاحِرٍ عَلِيمٍ . وَجَاءَ السَّحَرَةُ

فِرْعَوْنَ قَالُوا إِنَّ لَنَا لأَجْراً إِن كُنَّا نَحْنُ الْغَالِبِينَ . قَالَ نَعَمْ وَإِنَّكُمْ لَمِنَ الْمُقَرَّبِينَ ﴾

[الأعراف : ١١١ ـ ١١٤]

وتحدث القرآن عن السحر على عهد سليمان بن داود ـ عليهما السلام ـ وربطه باليهود ، ووصفهم بالشياطين الكفرة ، ونزه سليمان عن السحر ، وجعل ما حدث له من تسخير الجن لونا من معجزاته الدالة على تأييد الله له وفضله عليه ، وذكر موطن السحر فى بابل القديمة ، ونفى أن تكون للملائكة دور فيه .

قال تعالى : ﴿ وَاتَّبَعُوا مَا تَتْلُو الشَّيَاطِينُ عَلَىٰ مُلْكِ سُلَيْمَانَ وَمَا كَفَرَ سُلَيْمَانُ وَلَكِنَّ الشَّيَاطِينَ كَفَرُوا يُعَلِّمُونَ النَّاسَ السِّحْرَ وَمَا أُنزِلَ عَلَى الْمَلَكَيْنِ بِبَابِلَ هَارُوتَ وَمَارُوتَ . . . ﴾ [البقرة : ١٠٢] .

وقال جل شأنه : ﴿ وَلِسُلَيْمَانَ الرِّيحَ غُدُوُّهَا شَهْرٌ وَرَوَاحُهَا شَهْرٌ وَأَسَلْنَا لَهُ عَيْنَ الْقِطْرِ وَمِنَ الْجِنِّ مَن يَعْمَلُ بَيْنَ يَدَيْهِ بِإِذْنِ رَبِّهِ وَمَن يَزِغْ مِنْهُمْ عَنْ أَمْرِنَا نُذِقْهُ مِنْ عَذَابِ السَّعِيرِ . يَعْمَلُونَ لَهُ مَا يَشَاءُ مِن مَّحَارِيبَ وَتَمَاثِيلَ وَجِفَانٍ كَالْجَوَابِ وَقُدُورٍ رَّاسِيَاتٍ اعْمَلُوا آلَ دَاوُودَ شُكْرًا وَقَلِيلٌ مِّنْ عِبَادِيَ الشَّكُورُ ﴾ [سبأ : ١٢ ، ١٣] .

الانحراف العقدى

١ ـ الغلو فى الأنبياء والصالحين :

التوحيد الخالص لله تعالى هو صوت الفطرة والعقل ، فقد بدأت البشرية بآدم ﷺ وهو نبى مصطفى ، تحمل أمانة التبليغ عن الله إلى ذريته . قال تعالى : ﴿ إِنَّ اللَّهَ اصْطَفَىٰ آدَمَ وَنُوحًا وَآلَ إِبْرَاهِيمَ وَآلَ عِمْرَانَ عَلَى الْعَالَمِينَ ﴾ [آل عمران : ٣٣] .

ويولد الإنسان على الفطرة قبل أن تلوثها البيئة بتقاليدها البالية وعاداتها القبيحة ، قال الرسول ﷺ كما فى صحيح البخارى :

« كل مولود يولد على الفطرة فأبواه يهودانه أو ينصرانه أو يمجسانه » .

وعندما يتقادم العهد ويتطاول الزمن ، يتناسى البشر هذه الفطرة وينحرفون عنها ، لكنها تظل تراجع الإنسان فى حال الخوف والاضطراب وانقطاع الأسباب المادية ، قال تعالى :

﴿ هُوَ الَّذِي يُسَيِّرُكُمْ فِي الْبَرِّ وَالْبَحْرِ حَتَّىٰ إِذَا كُنتُمْ فِي الْفُلْكِ وَجَرَيْنَ بِهِم بِرِيحٍ طَيِّبَةٍ وَفَرِحُوا بِهَا جَاءَتْهَا رِيحٌ عَاصِفٌ وَجَاءَهُمُ الْمَوْجُ مِن كُلِّ مَكَانٍ وَظَنُّوا أَنَّهُمْ أُحِيطَ بِهِمْ دَعَوُا اللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ لَئِنْ أَنجَيْتَنَا مِنْ هَٰذِهِ لَنَكُونَنَّ مِنَ الشَّاكِرِينَ . فَلَمَّا أَنجَاهُمْ إِذَا هُمْ يَبْغُونَ فِي الْأَرْضِ بِغَيْرِ الْحَقِّ يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّمَا بَغْيُكُمْ عَلَىٰ أَنفُسِكُم مَّتَاعَ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا ثُمَّ إِلَيْنَا مَرْجِعُكُمْ فَنُنَبِّئُكُم بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ ﴾

[يونس : ٢٢ ، ٢٣]

وجاء التذكير الإلهى لبنى البشر على لسان الأنبياء والمرسلين فى كل أمة وزمان ، كما قال تعالى :

﴿ وَلَقَدْ بَعَثْنَا فِي كُلِّ أُمَّةٍ رَّسُولًا أَنِ اعْبُدُوا اللَّهَ وَاجْتَنِبُوا الطَّاغُوتَ فَمِنْهُم مَّنْ هَدَى اللَّهُ وَمِنْهُم مَّنْ حَقَّتْ عَلَيْهِ الضَّلَالَةُ فَسِيرُوا فِي الْأَرْضِ فَانظُرُوا كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الْمُكَذِّبِينَ ﴾ [النحل : ٣٦] .

ولكن الذين حملوا أمانة الدعوة بعد الرسل ، خانوها وحرفوا فيها ، وكتبت أيديهم ما لم ينزله الله ، فنشأت اليهودية المادية ، والنصرانية الضالة وانقلبت عقيدة التوحيد شركا على أيدى الأحبار والرهبان .

فذهب اليهود إلى أن عزيرا ابن الله ، وقتلوا الأنبياء والمصلحين ، وذهبت النصارى إلى أن المسيح عيسى ابن الله ، واخترعوا أساطير لا تفهم ، وقالوا بأقانيم لا تعقل ، وجعلوا الآلهة ثلاثة فى واحد ، أو واحدا فى ثلاثة ، باسم الأب والابن وروح القدس إله واحد .

قال تعالى : ﴿ يَا أَهْلَ الْكِتَابِ لا تَغْلُوا فِي دِينِكُمْ وَلا تَقُولُوا عَلَى اللَّهِ إِلاَّ الْحَقَّ إِنَّمَا الْمَسِيحُ عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ رَسُولُ اللَّهِ وَكَلِمَتُهُ أَلْقَاهَا إِلَى مَرْيَمَ وَرُوحٌ مِّنْهُ فَآمِنُوا بِاللَّهِ وَرُسُلِهِ وَلا تَقُولُوا ثَلاثَةٌ انتَهُوا خَيْرًا لَّكُمْ إِنَّمَا اللَّهُ إِلَهٌ وَاحِدٌ سُبْحَانَهُ أَن يَكُونَ لَهُ وَلَدٌ لَّهُ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَمَا فِي الأَرْضِ وَكَفَى بِاللَّهِ وَكِيلا ﴾ [النساء : ١٧١] .

وفى الصحيح عن عائشة رضي الله عنها أن أم سلمة ذكرت لرسول الله ﷺ كنيسة رأتها بأرض الحبشة وما فيها من الصور ، فقال : « أولئك إذا مات فيهم الرجل الصالح أو العبد الصالح بنوا على قبره مسجدا ، وصوروا فيه تلك الصور ، أولئك شرار الخلق عند الله » .

وروى مالك في الموطأ ؛ أن رسول الله ﷺ قال :

« اللهم لا تجعل قبرى وثنا يعبد ، اشتد غضب الله على قوم اتخذوا قبور أنبيائهم مساجد » .

وقد وصف القرآن أهل الكتاب بأنهم عبدة الطاغوت فقال :

﴿ أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ أُوتُوا نَصِيبًا مِّنَ الْكِتَابِ يُؤْمِنُونَ بِالْجِبْتِ وَالطَّاغُوتِ وَيَقُولُونَ لِلَّذِينَ كَفَرُوا هَؤُلاءِ أَهْدَى مِنَ الَّذِينَ آمَنُوا سَبِيلاً . أُوْلَئِكَ الَّذِينَ لَعَنَهُمُ اللَّهُ وَمَن يَلْعَنِ اللَّهُ فَلَن تَجِدَ لَهُ نَصِيرًا ﴾ [النساء : ٥١ ، ٥٢]

وهذه الآية تتحدث عن اليهود ، فقد قالوا للمشركين: أنتم أهدى من محمد ، ودينكم خير من دينه ، ففضلوا الوثنية على التوحيد ، وأعلوا شأن المشركين على خير الأنبياء ، وهذا الحكم هو أظلم الظلم ، فاليهود عليهم لعائن الله ، وهم أهل الجبت والطاغوت .

والجبت فيه معنى الخضوع لغير الله ، والطاغوت : مجاوزة الحد فى الطغيان ، وفى آية أخرى يقول الله تعالى :

﴿ قُلْ هَلْ أُنَبِّئُكُم بِشَرٍّ مِّن ذَلِكَ مَثُوبَةً عِندَ اللَّهِ مَن لَّعَنَهُ اللَّهُ وَغَضِبَ عَلَيْهِ وَجَعَلَ مِنْهُمُ الْقِرَدَةَ وَالْخَنَازِيرَ وَعَبَدَ الطَّاغُوتَ أُوْلَئِكَ شَرٌّ مَّكَانًا وَأَضَلُّ عَن سَوَاءِ السَّبِيلِ ﴾ [المائدة : ٦٠] .

فقد جعل الله اليهود فى هذه الآية أكثر الناس عقوبة ، وأشدهم عذابا فى الآخرة ، بعد أن كانوا فى الدنيا ملعونين قد مسخهم الله قردة وخنازير ، وجعلهم عبيدا أذلاء للشياطين من الإنس والجن .

٢ ـ عبادة الملوك والكهنة :

تسلط الملوك على شعوبهم وأذاقوهم الهوان فى عصور كثيرة ، واستكبروا فى الأرض بغير الحق ، وخلعوا على أنفسهم ألقاب الربوبية والألوهية ، واستعبدوا الناس وخدعوهم

فى عقيدتهم .

وأسوأ مثال لذلك هو فرعون موسى فهو القائل :

﴿ أَنَا رَبُّكُمُ الْأَعْلَى ﴾ [النازعات : ٢٤] ، ﴿ يَا أَيُّهَا الْمَلَأُ مَا عَلِمْتُ لَكُم مِّنْ إِلَٰهٍ غَيْرِي ﴾ [القصص : ٣٨]

واجترأ فرعون على موسى فوسمه بالكذب والسحر والفساد ، وخدع قومه فقال :

﴿ إِنِّي أَخَافُ أَن يُبَدِّلَ دِينَكُمْ أَوْ أَن يُظْهِرَ فِي الْأَرْضِ الْفَسَادَ ﴾ [غافر : ٢٦] .

ورغم دعوى الألوهية الكاذبة فإن مصير فرعون كان عبرة للأولين والآخرين ، فقد غرق فى اليم وأطبق الماء عليه هو وجنوده ، ثم لفظه البحر جثة هامدة ؛ لتراه الأعين وتسخر منه النفوس . قال تعالى :

﴿ وَجَاوَزْنَا بِبَنِي إِسْرَائِيلَ الْبَحْرَ فَأَتْبَعَهُمْ فِرْعَوْنُ وَجُنُودُهُ بَغْيًا وَعَدْوًا حَتَّىٰ إِذَا أَدْرَكَهُ الْغَرَقُ قَالَ آمَنتُ أَنَّهُ لَا إِلَٰهَ إِلَّا الَّذِي آمَنَتْ بِهِ بَنُو إِسْرَائِيلَ وَأَنَا مِنَ الْمُسْلِمِينَ . آلْآنَ وَقَدْ عَصَيْتَ قَبْلُ وَكُنتَ مِنَ الْمُفْسِدِينَ . فَالْيَوْمَ نُنَجِّيكَ بِبَدَنِكَ لِتَكُونَ لِمَنْ خَلْفَكَ آيَةً وَإِنَّ كَثِيرًا مِّنَ النَّاسِ عَنْ آيَاتِنَا لَغَافِلُونَ ﴾ [يونس : ٩٠ ـ ٩٢]

وقد سبق إلى هذا الفساد النمروذ على عهد إبراهيم الخليل ﷺ فقد ادعى لنفسه الربوبية ، وواجه إبراهيم بدعوى كاذبة أنه يحيى ويميت ، وأتى بشخصين محكوم عليهما بالإعدام ، فعفا عن أحدهما وأعدم الآخر ، وظن ذلك خلقا للحياة والموت .

ولو كان هذا الشقى صادقا فأين هو الآن ؟! لماذا لم يمنح نفسه الحياة الأبدية ؟! ولماذا لم يخلص نفسه من سلطان الموت القاهر ؟!

قال تعالى : ﴿ أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِي حَاجَّ إِبْرَاهِيمَ فِي رَبِّهِ أَنْ آتَاهُ اللَّهُ الْمُلْكَ إِذْ قَالَ إِبْرَاهِيمُ رَبِّيَ الَّذِي يُحْيِي وَيُمِيتُ قَالَ أَنَا أُحْيِي وَأُمِيتُ قَالَ إِبْرَاهِيمُ فَإِنَّ اللَّهَ يَأْتِي بِالشَّمْسِ مِنَ الْمَشْرِقِ فَأْتِ بِهَا مِنَ الْمَغْرِبِ فَبُهِتَ الَّذِي كَفَرَ وَاللَّهُ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ ﴾ [البقرة : ٢٥٨] .

وإنما انتقل إبراهيم إلى الشمس والقمر ، ولم يناقش معه مسألة الحياة والموت ؛ لأن الحوار كان أمام الجماهير الغوغاء ، وليس من شأنها التأمل والتروى ، وتحتاج إلى اللقطة السريعة والفكرة الخاطفة ، فانتقل إبراهيم إلى موقف آخر صريح لا يجرأ معه هذا الشقى على الدعوى الكاذبة .

وقد شارك الملوك فى استعبادهم للشعوب الكهنة ورؤساء الأديان الباطلة ، حين خلعوا على أنفسهم صفات الرب تبارك وتقدس ، ومنحوها حق التحليل والتحريم بغير سند شرعى

وبلا أصول صحيحة ، قال تعالى : ﴿ اتَّخَذُوا أَحْبَارَهُمْ وَرُهْبَانَهُمْ أَرْبَابًا مِّن دُونِ اللَّهِ وَالْمَسِيحَ ابْنَ مَرْيَمَ وَمَا أُمِرُوا إِلَّا لِيَعْبُدُوا إِلَٰهًا وَاحِدًا لَّا إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ سُبْحَانَهُ عَمَّا يُشْرِكُونَ ﴾ [التوبة : ٣١] .

وفى حديث رواه أحمد والترمذي وحسنه ، عن عدى بن حاتم الطائى ؛ أنه سمع النبى ﷺ يقرأ هذه الآية : ﴿ اتَّخَذُوا أَحْبَارَهُمْ وَرُهْبَانَهُمْ أَرْبَابًا مِّن دُونِ اللَّهِ . . . ﴾ الآية . فقال : «إنا لسنا نعبدهم » ، قال عليه الصلاة والسلام : « أليس يحرمون ما أحل الله فتحرمونه ، ويحلون ما حرم الله فتحلونه ؟ !» .

قال : بلى ، قال عليه الصلاة والسلام : « فتلك عبادتهم » .

ولا ريب أن ملكا يستعبد قومه ، ويستعلى عليهم ، ويسومهم سوء العذاب ، أو أن كاهنا يطاع فى المعصية ، ويقدس فى كل حركاته وسكناته ، هو شيطان إنسى يستنزله شيطان جنى .

﴿ كَمَثَلِ الشَّيْطَانِ إِذْ قَالَ لِلْإِنسَانِ اكْفُرْ فَلَمَّا كَفَرَ قَالَ إِنِّي بَرِيءٌ مِّنكَ إِنِّي أَخَافُ اللَّهَ رَبَّ الْعَالَمِينَ . فَكَانَ عَاقِبَتَهُمَا أَنَّهُمَا فِي النَّارِ خَالِدَيْنِ فِيهَا وَذَٰلِكَ جَزَاءُ الظَّالِمِينَ ﴾ [الحشر : ١٦ ، ١٧] .

ولقد شاع فى أوربا وصف الكهنة بأوصاف الشياطين ، نظرا لما قاموا به من تقتيل العلماء وسفك دماء الأبرياء وفواحش السلوك .

وقد نقل المؤرخ العالمى « ول ـ ديورانت » عجائب من الرسوم الكنسية التى تمثل :

ـ الراهبات يعشن مع الشياطين .

ـ الشيطان يجر رجالا آثمين إلى الجحيم ، يتقدمهم أسقف على رأسه تاج الأسقفية .

كما ذكر أن « ماستشيو » وصف الرهبان بأنهم خدم الشياطين . وكتب « مارتن لوثر » فى عام ١٥٤٥ م خطابا مقذعا بعنوان : « ضد البابوية فى روما التى أسسها الشيطان » .

ورسم المصور « لوكاس كراناش » صورة الغلاف لهذا الخطاب ، على شكل الحبر الأعظم وهو جالس فوق عرشه تحيط به الشياطين ، ويتوج رأسه دلو لجامع القمامة .

وقال « مارتن لوثر » عن الكرادلة :

إنهم أولاد الشياطين الضالون [(١)] .

٣ ـ عبادة الأصنام :

اقام الناس فى أزمان كثيرة تماثيل لعظماء أو ملوك أو صالحين ، وأحيانا لبعض

---

(١) راجع قصة الحضارة ١٦ / ١١٠ ، ٢١ / ٨٣ ، ٢٤ / ١٩١ .

الحيوان الأعجم ، وأضفوا عليها صفة التقديس ، وقدموا لها القرابين ، وتضرعوا لها رغبة ورهبة .

كان ذلك في عهد نوح ﷺ :

﴿ وَقَالُوا لا تَذَرُنَّ آلِهَتَكُمْ وَلا تَذَرُنَّ وَدًّا وَلا سُوَاعًا وَلا يَغُوثَ وَيَعُوقَ وَنَسْرًا ﴾ [نوح : ٢٣] .

واستمر إلى عهد إبرهيم الخليل ﷺ :

﴿ إِذْ قَالَ لأَبِيهِ وَقَوْمِهِ مَا تَعْبُدُونَ . قَالُوا نَعْبُدُ أَصْنَامًا فَنَظَلُّ لَهَا عَاكِفِينَ . قَالَ هَلْ يَسْمَعُونَكُمْ إِذْ تَدْعُونَ . أَوْ يَنفَعُونَكُمْ أَوْ يَضُرُّونَ . قَالُوا بَلْ وَجَدْنَا آبَاءَنَا كَذَلِكَ يَفْعَلُونَ ﴾ [الشعراء : ٧٠ ـ ٧٤] .

ولما عبّر موسى ﷺ ببني إسرائيل البحر ، وأنقذهم من بطش فرعون وجبروته ، لم يلبثوا إلا قليلا ، وعاد إليهم الحنين إلى عبادة الأصنام التي تركوها في مصر .

﴿ قَالُوا يَا مُوسَى اجْعَل لَّنَا إِلَهًا كَمَا لَهُمْ آلِهَةٌ قَالَ إِنَّكُمْ قَوْمٌ تَجْهَلُونَ . إِنَّ هَؤُلاءِ مُتَبَّرٌ مَّا هُمْ فِيهِ وَبَاطِلٌ مَّا كَانُوا يَعْمَلُونَ . قَالَ أَغَيْرَ اللَّهِ أَبْغِيكُمْ إِلَهًا وَهُوَ فَضَّلَكُمْ عَلَى الْعَالَمِينَ ﴾

[الأعراف : ١٣٨ ـ ١٤٠]

وعاش العرب في الجاهلية يقدسون الحجارة ، ويقيمون الأصنام في جوف الكعبة ، حتى بلغت ستين وثلاثمائة .

فلما بعث الله محمدا ـ عليه الصلاة والسلام ـ بالتوحيد الخالص تعجبوا، وقالوا: ﴿ أَجَعَلَ الآلِهَةَ إِلَهًا وَاحِدًا إِنَّ هَذَا لَشَيْءٌ عُجَابٌ . وَانطَلَقَ الْمَلأُ مِنْهُمْ أَنِ امْشُوا وَاصْبِرُوا عَلَى آلِهَتِكُمْ إِنَّ هَذَا لَشَيْءٌ يُرَادُ . مَا سَمِعْنَا بِهَذَا فِي الْمِلَّةِ الآخِرَةِ (١) إِنْ هَذَا إِلاَّ اخْتِلاقٌ ﴾ [ص : ٥ ـ ٧] .

ولا يزال الناس إلى اليوم في أماكن كثيرة يعبدون الأصنام ، وهي لون من عبادة الشيطان ، ذلكم الخبيث الذي اتخذ على نفسه عهدا أن يسعى لتغيير الفطرة ، وتبديل الدين الحق ، ودفع الناس إلى اتخاذ الأنداد لله والشركاء .

وقد ضرب الله مثلا لهؤلاء المشركين ، وموقفهم من دعوة الحق في قوله تعالى :

﴿ قُلْ أَنَدْعُو مِن دُونِ اللَّهِ مَا لا يَنفَعُنَا وَلا يَضُرُّنَا وَنُرَدُّ عَلَى أَعْقَابِنَا بَعْدَ إِذْ هَدَانَا اللَّهُ كَالَّذِي اسْتَهْوَتْهُ الشَّيَاطِينُ فِي الأَرْضِ حَيْرَانَ لَهُ أَصْحَابٌ يَدْعُونَهُ إِلَى الْهُدَى ائْتِنَا قُلْ إِنَّ هُدَى اللَّهِ هُوَ الْهُدَى وَأُمِرْنَا لِنُسْلِمَ لِرَبِّ الْعَالَمِينَ ﴾ [الأنعام : ٧١] .

فهذا مثل ضربه الله تعالى لمن يعبد الأصنام ويزعم لها الشفاعة ، ويؤمل فيها المنفعة ،

---

(١) المراد بالملة الآخرة : دين آبائهم الذي ورثوه .

والناس حوله يدعونه إلى الله وحده ، ويبصرونه الطريق ويبينون له الحق ، فيأبى عليهم وينفر منهم .

فهو كالذى ضل فى الأرض ، وتاه عن الطريق ، ونأى عن الصحبة ، فتلقفته الغيلان من الجن، فألقت به فى هلكة يموت جوعا وعطشا ، وله رفقة تنادى عليه : هلم يا فلان . . ها هو الطريق . . فلا يستمع ولا يستجيب ، ويظن أنه ناج ، فإذا به يهوى إلى مكان سحيق .

وكل من انحرف عن الحق فى العقيدة أو السلوك فقرينه الشيطان ، يزين له سوء معتقده وسلوكه ، فيرى الأمور على غير حقائقها .. قال تعالى : ﴿ وَمَن يَعْشُ عَن ذِكْرِ الرَّحْمَنِ نُقَيِّضْ لَهُ شَيْطَانًا فَهُوَ لَهُ قَرِينٌ . وَإِنَّهُمْ لَيَصُدُّونَهُمْ عَنِ السَّبِيلِ وَيَحْسَبُونَ أَنَّهُم مُّهْتَدُونَ ﴾ [الزخرف : ٣٦ ، ٣٧]

٤ ـ عبادة الكواكب والنجوم :

انخدع الناس فى مظاهر الكون التى أبدعها الله لخدمة الإنسان وسخرها لمنفعته ، فظنوا أن لها تأثيرا ذاتيا فى أحداث الكون والكائنات ، وعميت عليهم الأنباء ، فاعتقدوا ألوهية الشمس والقمر والنجوم ، وقدسوها وقدموا لها القرابين ، وبنوا لها الهياكل ، وأقاموا لها الصلوات .

وكان فى قوم إبراهيم الخليل ﷺ جماعة من الصابئة الذين يعبدون النجوم ، فدخل معهم فى حوار وتدرج معهم فى الدليل ، وألزمهم الحجة ، قال تعالى : ﴿ وَكَذَلِكَ نُرِي إِبْرَاهِيمَ مَلَكُوتَ السَّمَوَاتِ وَالأَرْضِ وَلِيَكُونَ مِنَ الْمُوقِنِينَ . فَلَمَّا جَنَّ عَلَيْهِ اللَّيْلُ رَأَى كَوْكَبًا قَالَ هَذَا رَبِّي فَلَمَّا أَفَلَ قَالَ لا أُحِبُّ الآفِلِينَ . فَلَمَّا رَأَى الْقَمَرَ بَازِغًا قَالَ هَذَا رَبِّي فَلَمَّا أَفَلَ قَالَ لَئِن لَّمْ يَهْدِنِي رَبِّي لأَكُونَنَّ مِنَ الْقَوْمِ الضَّالِّينَ . فَلَمَّا رَأَى الشَّمْسَ بَازِغَةً قَالَ هَذَا رَبِّي هَذَا أَكْبَرُ فَلَمَّا أَفَلَتْ قَالَ يَا قَوْمِ إِنِّي بَرِيءٌ مِّمَّا تُشْرِكُونَ . إِنِّي وَجَّهْتُ وَجْهِيَ لِلَّذِي فَطَرَ السَّمَوَاتِ وَالأَرْضَ حَنِيفًا وَمَا أَنَا مِنَ الْمُشْرِكِينَ ﴾ [الأنعام : ٧٥ ـ ٧٩]

لقد تقلب عقل إبراهيم فى آيات الأنفس والآفاق وتأمل فيها وفكر ، فازداد إيمانا على إيمان ، ويقينا فوق يقين ، بوحدانية الله وتفرده فى ملكه وملكوته،وأنه وحده المعبود بحق .

وقد اختلفت كلمة المفسرين هنا : هل كان إبراهيم فى مقام النظر والتأمل الذاتى ؟ أو مقام المناظرة لعبدة هذه النجوم ؟ والحق هو الثانى ، أى أن إبراهيم ﷺ كان فى موطن جدال ومناظرة مع قومه ، سواء منهم من عبد الأصنام أو عبد النجوم .

ولقد ظل حياته كلها مجاهدا من أجل توحيد الله وعبادته،وقد آتاه الله الرشد والحجة ،

وجعله حنيفا مسلما ، يعدل أمة بأسرها ، فكيف يكون فى مقام نظر أو شك ؟!

لقد ناقش إبراهيم فريقين من الناس :

١ ـ عبدة الأصنام .

٢ ـ عبدة النجوم .

والآيات التي معنا تبين مناقشة إبراهيم للفريق الثانى وهم الصابئة ، وقد استدل إبراهيم بأفول الكواكب والقمر والشمس على بطلان إلهية هذه الأشياء .

والأفول : هو الذهاب والمغيب والتغير .

فهذه النجوم مسخرة تسير بنواميس ثابتة لاتستطيع التحويل عنها ولا تملك تغييرها ، فهى تشرق وتغرب ، وتظهر وتختفى ، وتجرى فى فلك معين ، وتسبح في مدار خاص ، فلا تستحق العبادة ولا تصلح للتقديس ، وإنما يجب إفراد العبادة والتقديس للخالق الأعظم ، والمدبر الحكيم ، الذى أعطى كل شىء خلقه ثم هدى ، وأبدع الوجود على غير مثال سبق ، وأودع ظاهره وباطنه أسراراً وحكما تنادى صباح مساء بأنه لا إله إلا الله [1] .

وعلى عهد سليمان بن داود ـ عليهما السلام ـ استطاع الهدهد أن يكتشف أمر ملكة سبأ ، التى كانت هى وقومها يعبدون الشمس من دون الله ، وتعجب الهدهد من هذا الانحراف العقدى ، قال تعالي علي لسان الهدهد :

﴿ إِنِّي وَجَدتُّ امْرَأَةً تَمْلِكُهُمْ وَأُوتِيَتْ مِن كُلِّ شَيْءٍ وَلَهَا عَرْشٌ عَظِيمٌ . وَجَدتُّهَا وَقَوْمَهَا يَسْجُدُونَ لِلشَّمْسِ مِن دُونِ اللَّهِ وَزَيَّنَ لَهُمُ الشَّيْطَانُ أَعْمَالَهُمْ فَصَدَّهُمْ عَنِ السَّبِيلِ فَهُمْ لَا يَهْتَدُونَ . أَلَّا يَسْجُدُوا لِلَّهِ الَّذِي يُخْرِجُ الْخَبْءَ فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَيَعْلَمُ مَا تُخْفُونَ وَمَا تُعْلِنُونَ . اللَّهُ لَا إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ رَبُّ الْعَرْشِ الْعَظِيمِ ﴾ [النمل : ٢٣ ـ ٢٦] .

إن الله وحده هو المستحق للعبادة ، له القدرة المطلقة والعلم الشامل والسلطان القاهر .

والشمس والقمر وسائر الكائنات مسخرة بأمر الله ، مسيرة بقدرة الله ، تظهر وتختفي، ويعتريها الخسوف والكسوف ، والنقص والتغير ، فلا تصلح للتقديس ولا يليق بالإنسان أن يسجد لها ويعبدها .

وأراد نبى الله سليمان أن يتأكد من صدق الخبر ، فبعث رسالة مع الهدهد وأمره بإلقائها إليهم .

فامتثل الهدهد وقام بإلقاء الكتاب إلي الملكة في مخدعها ومكان خلوتها ، وكانت

---

(١) راجع تفسير ابن كثير ٢ / ١٥٢ .

رشيدة حكيمة تحسن القيادة ، فجمعت مجلس الشورى :

﴿ قَالَتْ يَا أَيُّهَا الْمَلأُ إِنِّي أُلْقِيَ إِلَيَّ كِتَابٌ كَرِيمٌ . إِنَّهُ مِن سُلَيْمَانَ وَإِنَّهُ بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ . أَلاَّ تَعْلُوا عَلَيَّ وَأْتُونِي مُسْلِمِينَ . قَالَتْ يَا أَيُّهَا الْمَلأُ أَفْتُونِي فِي أَمْرِي مَا كُنتُ قَاطِعَةً أَمْرًا حَتَّىٰ تَشْهَدُونِ ﴾
[النمل : ٢٩ ـ ٣٢]

وقد ذكر الإمام الرازى في تفسير هذه الآيات أبحاثا مهمة منها :

١ ـ لم قدم سليمان اسمه على قوله : ﴿ بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ ﴾ ؟

والجواب :

حاشاه من ذلك ، بل ابتدأ هو ببسم الله الرحمن الرحيم ، وإنما ذكرت بلقيس أن هذا الكتاب من سليمان ثم حكت ما فى الكتاب ، والله تعالى حكى ذلك ، فالتقديم واقع فى الحكاية لا فى الكتابة .

كأنها لما قالت: ﴿ إِنِّي أُلْقِيَ إِلَيَّ كِتَابٌ كَرِيمٌ ﴾ ، قيل لها : ممن هو ؟ وما هو ؟ فقالت : ﴿ إِنَّهُ مِن سُلَيْمَانَ ﴾ وإنه كيت وكيت .

٢ ـ هل هذا الكتاب واف بالغرض ؟

الجواب :

إن الأنبياء ـ عليهم السلام ـ لا يطيلون ،بل يقتصرون على المقصود ، وهذا الكتاب مشتمل على تمام المقصود ، وذلك لأن المطلوب من الخلق إما العلم أو العمل ، والعلم مقدم على العمل .

فقوله : ﴿ بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ ﴾ : مشتمل على إثبات الصانع سبحانه وتعالى ، وإثبات كونه عالما ، قادرا ، حيا ، مريدا ، حكيما ، رحيما .

وأما قوله: ﴿ أَلاَّ تَعْلُوا عَلَيَّ ﴾ ، فهو نهى عن الانقياد لطاعة النفس والهوى ، والتكبر .

وأما قوله : ﴿ وَأْتُونِي مُسْلِمِينَ ﴾ ، فالمراد بالمسلم إما المنقاد أو المؤمن ، « يعنى : الانقياد للحق والعمل بالتنزيل والوحى » .

فثبت أن هذا الكتاب على وجازته يحوى كل ما لابد منه فى الدين والدنيا .

٣ ـ فإن قيل : النهى عن الاستعلاء ، والأمر بالانقياد قبل إقامة الدلالة على كونه رسولا حقا يدل على الاكتفاء بالتقليد . . فهل هذا صحيح ؟

والجواب :

معاذ الله أن يكون هناك تقليد ؛ وذلك لأن رسول سليمان إلى بلقيس كان الهدهد ،

ورسالة الهدهد معجز ، والمعجز يدل على وجود الصانع وعلى صفاته ، ويدل على صدق المدعى .

فلما كانت تلك الرسالة دلالة تامة على التوحيد والنبوة لا جرم ، لم يذكر فى الكتاب دليلا آخر . . . » (١) .

إن عبادة الكواكب والنجوم مظهر من مظاهر عبادة الشيطان ، ولقد نسبها الهدهد إلى الشيطان فى قصة ملكة سبأ ، وجعلها من خداع الشيطان لهم فقال : ﴿ وَزَيَّنَ لَهُمُ الشَّيْطَانُ أَعْمَالَهُمْ فَصَدَّهُمْ عَنِ السَّبِيلِ فَهُمْ لا يَهْتَدُونَ ﴾ [النمل : ٢٤] .

٥ ـ النفاق :

النفاق هو إبطان الكفر وإظهار الإسلام ، وهو ينتشر فى وقت قوة الحق وسلطان الدين ، حين لا يستطيع الكفر وأهله مواجهة الحق وأوليائه ، فيستترون بالإسلام خداعا للمسلمين وخيانة للمؤمنين .

وقد ظهر النفاق وشاع فى العهد المدنى للإسلام ، وكان المنافقون يأتون إلى الرسول ﷺ ينطقون بكلمة التوحيد والرسالة ، ويضمرون أشد أنواع العداوة للرسول والمسلمين . . قال تعالى : ﴿ إِذَا جَاءَكَ الْمُنَافِقُونَ قَالُوا نَشْهَدُ إِنَّكَ لَرَسُولُ اللَّهِ وَاللَّهُ يَعْلَمُ إِنَّكَ لَرَسُولُهُ وَاللَّهُ يَشْهَدُ إِنَّ الْمُنَافِقِينَ لَكَاذِبُونَ . اتَّخَذُوا أَيْمَانَهُمْ جُنَّةً فَصَدُّوا عَن سَبِيلِ اللَّهِ إِنَّهُمْ سَاءَ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ ﴾ [المنافقون : ١ ، ٢]

وللمنافقين مواقف على عهد رسول الله ﷺ ، سجلها القرآن عليهم تنبئ عن حقدهم الدفين ومكرهم السيئ .

ففى غزوة أحد فى العام الثالث للهجرة : ظن المنافقون ظن الجاهلية ، وشمتوا فى قتلى المسلمين يومئذ ، وقالوا : ﴿ لَوْ كَانَ لَنَا مِنَ الأَمْرِ شَيْءٌ مَّا قُتِلْنَا هَا هُنَا ﴾ ، قال تعالى : ﴿ وَطَائِفَةٌ قَدْ أَهَمَّتْهُمْ أَنفُسُهُمْ يَظُنُّونَ بِاللَّهِ غَيْرَ الْحَقِّ ظَنَّ الْجَاهِلِيَّةِ يَقُولُونَ هَل لَّنَا مِنَ الأَمْرِ مِن شَيْءٍ قُلْ إِنَّ الأَمْرَ كُلَّهُ لِلَّهِ يُخْفُونَ فِي أَنفُسِهِم مَّا لا يُبْدُونَ لَكَ يَقُولُونَ لَوْ كَانَ لَنَا مِنَ الأَمْرِ شَيْءٌ مَّا قُتِلْنَا هَا هُنَا قُل لَّوْ كُنتُمْ فِي بُيُوتِكُمْ لَبَرَزَ الَّذِينَ كُتِبَ عَلَيْهِمُ الْقَتْلُ إِلَىٰ مَضَاجِعِهِمْ وَلِيَبْتَلِيَ اللَّهُ مَا فِي صُدُورِكُمْ وَلِيُمَحِّصَ مَا فِي قُلُوبِكُمْ وَاللَّهُ عَلِيمٌ بِذَاتِ الصُّدُورِ ﴾ [آل عمران : ١٥٤] .

وذلك أن المنافقين عرضوا على الرسول أن يظل الجيش داخل المدينة ولا يخرج لملاقاة المشركين ، ولكن أمر المشورة استقر على أن يذهب المسلمون إلى جبل أحد خارج المدينة

---

(١) تفسير الفخر الرازى ٢٤ / ١٩٤ ، ط دار الفكر ـ بيروت .

لملاقاة العدو هناك ؛ وأسرَّها عبد الله بن أبى بن سلول فى نفسه ، وعندما خرج الرسول إلى أحد فى ألف من أهل المدينة ، انحاز عنه عبد الله بن أبى بثلث الناس وقال : خرج وعصانى ، والله ما ندرى علام نقتل أنفسنا ههنا أيها الناس ، فرجع معه أهل النفاق والريب وخذلوا المسلمين .

وقد صدق الله وعده للمؤمنين فجاءهم النصر أول النهار ، وامتلأت ساحة المعركة بالغنائم ، فترك الرماة مواقعهم التى أوصاهم بها الرسول ﷺ ، ونزلوا أرض المعركة يجمعون الغنائم ، فانكشفت ظهور المسلمين لخيل الأعداء ، وتحولت رياح المعركة إلى هزيمة للمسلمين ، وشاع أن محمدا ﷺ قد قتل .

وحينئذ فرح المنافقون بمقعدهم خلاف المسلمين ، وشمتوا فيهم ، وتقوّلوا عليهم ، وطعنوا فى دينهم .

وفى غزوة الأحزاب وقف المنافقون نفس الموقف ، وخذلوا المسلمين داخل المدينة ، وزعموا أن بيوتهم عورة ، ولا يستطيعون مغادرتها كى يحموا النساء والذرية وكذبوا . قال تعالى : ﴿ وَإِذْ يَقُولُ الْمُنَافِقُونَ وَالَّذِينَ فِي قُلُوبِهِم مَّرَضٌ مَّا وَعَدَنَا اللَّهُ وَرَسُولُهُ إِلاَّ غُرُورًا . وَإِذْ قَالَت طَّائِفَةٌ مِّنْهُمْ يَا أَهْلَ يَثْرِبَ لا مُقَامَ لَكُمْ فَارْجِعُوا وَيَسْتَأْذِنُ فَرِيقٌ مِّنْهُمُ النَّبِيَّ يَقُولُونَ إِنَّ بُيُوتَنَا عَوْرَةٌ وَمَا هِيَ بِعَوْرَةٍ إِن يُرِيدُونَ إِلاَّ فِرَارًا . وَلَوْ دُخِلَتْ عَلَيْهِم مِّنْ أَقْطَارِهَا ثُمَّ سُئِلُوا الْفِتْنَةَ لآتَوْهَا وَمَا تَلَبَّثُوا بِهَا إِلاَّ يَسِيرًا ﴾ [الأحزاب : ١٢ - ١٤] .

إن المنافقين اتهموا الرسول ﷺ بالكذب ، وقالوا : إنه وعدنا النصر وخزائن الأرض ، واليوم قد أحدقت الأخطار بالمدينة من كل جانب ، وظنوا أنها النهاية للمسلمين ، واللحظة الأخيرة لدولة الإسلام .

وبدؤوا يشيعون الهزيمة ،ويدعون الناس إلى الرجوع من الميدان ، والفرار من الجهاد ، وانتحلوا الأعذار لأنفسهم ، ورفضوا المشاركة فى المواجهة .

وقد أكد القرآن أنهم أهل الفتنة ، تحترق صدورهم همّا وغمّا على المسلمين .

وفى غزوة بنى المصطلق من العام السادس للهجرة، وعند ماء يقال له : « المريسيع » ، تزاحم أحد المهاجرين وأحد الأنصار ، ووقع بينهما ما أثار الفريقين ، فنادى المهاجرى : يا للمهاجرين ، ونادى الأنصارى : يا للأنصار .

فخرج عليهم رسول الله ﷺ وقال : « ما بال دعوى الجاهلية ، دعوها فإنها منتنة » .

فأراد زعيم المنافقين عبد الله بن أبى بن سلول أن يشعلها فتنة فقال : ما مثلنا وجلابيب قريش إلا كما قال القائل : سمن كلبك يأكلك . والله ، لئن رجعنا إلى المدينة

ليخرجن الأعز منها الأذل . . !! ثم توجه بالنداء إلى بعض الأنصار قائلا :

هذا ما فعلتم بأنفسكم ، أحللتموهم بلادكم ، وقاسمتوهم أموالكم ، وأما والله لو أمسكتم عنهم ما بأيديكم لتحولوا إلى غير داركم .

فسمع هذا الكلام غلام من المسلمين هو زيد بن أرقم ، فنقله إلى الرسول ﷺ ، فلما علم بذلك ابن أبى سارع إلى نفى الخبر وحلف ما قال ، واتهم الغلام بالتخليط والكذب .

ونزل الوحى يكشف الحقيقة :

﴿ هُمُ الَّذِينَ يَقُولُونَ لا تُنفِقُوا عَلَىٰ مَنْ عِندَ رَسُولِ اللَّهِ حَتَّىٰ يَنفَضُّوا وَلِلَّهِ خَزَائِنُ السَّمَوَاتِ وَالأَرْضِ وَلَٰكِنَّ الْمُنَافِقِينَ لا يَفْقَهُونَ . يَقُولُونَ لَئِن رَّجَعْنَا إِلَى الْمَدِينَةِ لَيُخْرِجَنَّ الأَعَزُّ مِنْهَا الأَذَلَّ وَلِلَّهِ الْعِزَّةُ وَلِرَسُولِهِ وَلِلْمُؤْمِنِينَ وَلَٰكِنَّ الْمُنَافِقِينَ لا يَعْلَمُونَ ﴾ [المنافقون : ٧ ، ٨] ، فأخذ الرسول ﷺ بأذن زيد بن أرقم ، وقال : « هذا الذى أوفى لله بأذنه . . . » .

وترفق الرسول بعبد الله بن أبى وقال : « نحسن صحبته ما بقى معنا » . ولكن الرجل لم يع الدرس ، فما لبث إلا قليلا ، وأشاع حديث الإفك حول السيدة عائشة رضي الله عنها ونزل الوحى فاصلا فى القضية :

﴿ إِنَّ الَّذِينَ جَاءُوا بِالإِفْكِ عُصْبَةٌ مِّنكُمْ لا تَحْسَبُوهُ شَرًّا لَّكُم بَلْ هُوَ خَيْرٌ لَّكُمْ لِكُلِّ امْرِئٍ مِّنْهُم مَّا اكْتَسَبَ مِنَ الإِثْمِ وَالَّذِي تَوَلَّىٰ كِبْرَهُ مِنْهُمْ لَهُ عَذَابٌ عَظِيمٌ ﴾ [النور : ١١] .

وفى العام التاسع للهجرة ، قبيل غزوة تبوك حاول اثنا عشر رجلا من المنافقين بناء معقل للفتنة ، وتجميع السلاح تحت ستار إقامة مسجد لشعائر الصلاة .

ولمزيد من الخداع تقدموا بالتماس إلى الرسول ﷺ أن يفتتحه للصلاة ، حتى يتخذوا من ذلك ذريعة لاجتماع المسلمين فيه ، فيردوهم عن دينهم إن استطاعوا .

فاعتذر الرسول ﷺ بانشغاله بتجهيز جيش العسرة ، ووعدهم أن يصلى فيه عقب العودة .

ولكن الوحى الإلهى لم يمهل هؤلاء ، فكشف أغراضهم الدنيئة وخفايا صدورهم المحترقة ، ونزل قوله تعالى :

﴿ وَالَّذِينَ اتَّخَذُوا مَسْجِدًا ضِرَارًا وَكُفْرًا وَتَفْرِيقًا بَيْنَ الْمُؤْمِنِينَ وَإِرْصَادًا لِّمَنْ حَارَبَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ مِن قَبْلُ وَلَيَحْلِفُنَّ إِنْ أَرَدْنَا إِلاَّ الْحُسْنَىٰ وَاللَّهُ يَشْهَدُ إِنَّهُمْ لَكَاذِبُونَ . لا تَقُمْ فِيهِ أَبَدًا ﴾

[التوبة : ١٠٧ ، ١٠٨]

عندئذ بعث الرسول ﷺ إلى هذا المكان مَنْ هدمه وأحرقه .

وهكذا فإن النفاق من أشد ألوان الكفر ، وأكبر مكائد الشيطان .

وفي صدر سورة البقرة تحدث القرآن عن المؤمنين في أربع آيات ، وعن الكافرين في آيتين ، وعن المنافقين في ثلاث عشرة آية ، بدأت بقوله تعالى : ﴿ وَمِنَ النَّاسِ مَن يَقُولُ آمَنَّا بِاللَّهِ وَبِالْيَوْمِ الآخِرِ وَمَا هُم بِمُؤْمِنِينَ ﴾ وانتهت بقوله تعالى : ﴿ وَلَوْ شَاءَ اللَّهُ لَذَهَبَ بِسَمْعِهِمْ وَأَبْصَارِهِمْ إِنَّ اللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ﴾ [البقرة : ٨ - ٢٠] .

وقد وصفهم القرآن بأنهم شياطين فقال : ﴿ وَإِذَا خَلَوْا إِلَىٰ شَيَاطِينِهِمْ قَالُوا إِنَّا مَعَكُمْ إِنَّمَا نَحْنُ مُسْتَهْزِئُونَ ﴾ [البقرة : ١٤] ، والمراد رؤساؤهم في النفاق والضلال .

٦ - الردة :

من مظاهر الانحراف العقدي الرجوع إلى الكفر بعد الإيمان ، أو إنكار ما علم من الدين بالضرورة بحيث يعرفه العام والخاص ، ولا يحتاج في وضوحه إلى كبير بحث واستدلال ، كوجوب الصلاة والصيام والزكاة والحج ،وحرمة الزنا والربا والخمر ... إلخ

والردة حال دنيئة ، تنبئ عن مستوى عقلي رديء ، وظلمة قلبية حالكة ، وتدل على فقد الوعي وضياع الكرامة ، فإن الهداية إلى الحق هي غاية الغايات لدى العقلاء ، فيكون الرجوع عن الحق خسارة كبرى وضلالا بليغا .

قال تعالى : ﴿ وَمَن يَرْتَدِدْ مِنكُمْ عَن دِينِهِ فَيَمُتْ وَهُوَ كَافِرٌ فَأُولَٰئِكَ حَبِطَتْ أَعْمَالُهُمْ فِي الدُّنْيَا وَالآخِرَةِ وَأُولَٰئِكَ أَصْحَابُ النَّارِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ ﴾ [البقرة : ٢١٧] .

وقد استثنى الله تعالى المكره الذى نطق بكلمة الكفر ، إنقاذا لحياته من عدو يحمل عليه السلاح ولا يستطيع مقاومته فقال :

﴿ مَن كَفَرَ بِاللَّهِ مِن بَعْدِ إِيمَانِهِ إِلاَّ مَنْ أُكْرِهَ وَقَلْبُهُ مُطْمَئِنٌّ بِالإِيمَانِ وَلَٰكِن مَّن شَرَحَ بِالْكُفْرِ صَدْرًا فَعَلَيْهِمْ غَضَبٌ مِّنَ اللَّهِ وَلَهُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ . ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمُ اسْتَحَبُّوا الْحَيَاةَ الدُّنْيَا عَلَى الآخِرَةِ وَأَنَّ اللَّهَ لا يَهْدِي الْقَوْمَ الْكَافِرِينَ ﴾ [النحل : ١٠٦ ، ١٠٧] .

وقد كان لليهود دور في إشاعة الردة في مجتمع المسلمين ، فقد أوعزوا إلى بعض منهم أن يتظاهروا بالإسلام وينخرطوا في سلك المسلمين ، ثم بعد فترة يرتدون عنه ليشيعوا بين الناس أن أصحاب محمد ينفرون منه ، ويرجعون عن دينه ، فنزل القرآن يكشف حقدهم الدفين ، ويحذر من أساليبهم الخبيثة ، قال تعالى : ﴿ وَقَالَت طَّائِفَةٌ مِّنْ أَهْلِ الْكِتَابِ آمِنُوا بِالَّذِي أُنزِلَ عَلَى الَّذِينَ آمَنُوا وَجْهَ النَّهَارِ وَاكْفُرُوا آخِرَهُ لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ ﴾ [آل عمران : ٧٢] .

وقد وصف القرآن الردة بأنها من خداع الشيطان وتزيينه القبيح فقال : ﴿ إِنَّ الَّذِينَ

ارْتَدُّوا عَلَىٰ أَدْبَارِهِم مِّن بَعْدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُمُ الْهُدَى الشَّيْطَانُ سَوَّلَ لَهُمْ وَأَمْلَىٰ لَهُمْ ﴾ [محمد : ٢٥] .

٧ ـ السحر :

السحر في اللغة : ما لطف وخفي سببه .

ومنه قوله ﷺ : « إن من البيان لسحرا » أي : شيئا لطيفا خفيا يشد السامع ، ويأخذ بقلبه ويحرك أشجانه .

والسَّحَر ـ بفتح الأول والثاني ـ : آخر الليل ، وهو وقت خفي يغفل الناس عنه وينامون فيه .

والسَّحْر ـ بفتح فسكون ـ : الرئة ؛ لوقوعها داخل التجويف الصدرى قالت عائشة ﵂ : توفي رسول الله ﷺ بين سحري ونحري .

أنواع السحر :

نقل الإمام ابن كثير في تفسيره عن أبي عبد الله الرازي أن أنواع السحر ثمانية ، ونحن نوجزها فيما يلي :

١ ـ سحر عبدة الكواكب الذين يعتقدون أنها المدبرة للعالم، وأنها تأتي بالخير والشر ، ولهم طرق في مخاطبة هذه الكواكب ، وعبادات يتقربون بها إليها .

٢ ـ سحر أصحاب الأوهام والنفوس القوية ، فإن للوهم تأثيرا على الإنسان ، فيمكن للمرء العادى أن يمشي على الجسر الموضوع على وجه الأرض ولا يمكنه المشي عليه إذا كان ممدودا على نهر أو نحوه ، لكن صاحب النفس القوية يمشي على الجسر سواء كان ممدودا على الأرض أو على النهر .

والنفس إذا كانت مستعلية على البدن ، شديدة الانجذاب إلى عالم السموات صارت قوية على التأثير في مواد هذا العالم الأرضى .

وتصل النفس إلى هذه المرتبة بتقليل الغذاء ، والانقطاع عن الناس والرياضة الروحية ، وقد سمى ابن كثير هذا النوع : « التصرف بالحال » ، وقسمه إلى قسمين :

أ ـ حال صحيحة شرعية قائمة على التزام أمر الله ورسوله ، وترك ما نهى الله تعالى عنه ورسوله ، وهذه هي مواهب الله للصالحين وكراماته لهم ، ولا يسمى هذا سحرا في الشرع .

ب ـ حال فاسدة قائمة على مخالفة الشريعة ، وهذه هي خوارق العادات المندرجة تحت الاستدراج المشار إليه في قوله تعالى : ﴿ سَنَسْتَدْرِجُهُم مِّنْ حَيْثُ لَا يَعْلَمُونَ . وَأُمْلِي لَهُمْ إِنَّ كَيْدِي

متين ﴾ [القلم : ٤٤ ، ٤٥] .

٣ ـ سحر الاستعانة بالأرواح الأرضية وهم الجن ، وهو المسمى بالعزائم وعمل التسخير ، ويحصل برقى شيطانية ودخان وأدوية .

وقد أنكر هذا النوع الفلاسفة والمعتزلة .

٤ ـ سحر التخيلات والأخذ بالعيون والشعبذة ، ومبناه على أن البصر قد يخطئ ويشتغل بالشيء المعين دون غيره .

ألا ترى ذا الشعبذة الحاذق يظهر عمل شيء يذهل أذهان الناظرين به ، ويأخذ عيونهم إليه ، حتى إذا استفرغهم الشغل بذلك الشيء بالتحديق ونحوه ، عمل شيئا آخر عملا بسرعة شديدة ،وحينئذ يظهر لهم شيء آخر غير ما انتظروه فيتعجبون منه جدا .

وذهب بعض المفسرين إلى أن سحر سحرة فرعون كان من هذا الباب ، استدلالا بقوله تعالى : ﴿ فَلَمَّا أَلْقَوْا سَحَرُوا أَعْيُنَ النَّاسِ وَاسْتَرْهَبُوهُمْ وَجَاءُوا بِسِحْرٍ عَظِيمٍ ﴾ [الأعراف : ١١٦] ، وقوله : ﴿ يُخَيَّلُ إِلَيْهِ مِن سِحْرِهِمْ أَنَّهَا تَسْعَىٰ ﴾ [طه : ٦٦] .

٥ ـ الأعمال العجيبة التي تظهر من تركيب آلات مركبة على النسب الهندسية ، وحملوا عليها ما قاله بعض المفسرين من أن سحرة فرعون عمدوا إلى حبالهم وعصيهم فحشوها زئبقا فصارت تتلوى بسبب ما فيها من ذلك الزئبق ، فيخيل إلى الرائى أنها تسعى باختيارها .

ويلحق بذلك ما يفعله النصارى فى كنائسهم ، من حيل توهم الناس أنها كرامات القديسين وأضرحتهم .

٦ ـ الاستعانة بخواص الأدوية والعناصر كتأثير المغناطيس ، ومخالطة النيران ، وإمساك الحيات . . . إلخ ، فإن لهم طرقا خاصة كدهن الجسم بما يمنع إشعال النار فيه ، أو إمساك الحية بأسلوب معين يمكنهم به السيطرة عليها .

٧ ـ سحر التنبلة ،أو التعليق للقلب : وهو أن يدعى الساحر أنه عرف الاسم الأعظم ، وأن الجن تطيعه ، فإذا كان السامع ضعيف العقل قليل التمييز ، انقاد له وحصل فى نفسه نوع من الرعب والخوف فتضعف القوى الحاسة عنده ، فحينئذ يتمكن الساحر أن يفعل ما يشاء ، وهذا النوع يعتمد على علم الفراسة .

٨ ـ سحر النميمة : وهو نقل الكلام بين الناس على سبيل الإفساد أو الإصلاح ، فيدفع إلى التفريق أو إلى التقريب .

وقد صح أن النبى ﷺ قال : « ليس الكذاب الذى يصلح بين الناس فينمى خيرا أو

يقول خيرا ؟ .

واستطاع نعيم بن مسعود أن يفرق كلمة الأحزاب ، فجاء إلى المشركين فنمى إليهم عن بنى قريظة كلاما ، ونقل من هؤلاء إلى أولئك شيئا آخر ، فتناكرت النفوس وافترقت .

وهذا النوع يحتاج إلى ذكاء وبصيرة نافذة .

هذه الأنواع الثمانية إنما هى أقسام للسحر بمفهومه اللغوى : ما لطف وخفى سببه .

السحر المنهى عنه وحكمه :

أما السحر الذى هو انحراف عقدى ومن عبادة الشيطان ، فهو ما كان مرتبطا بالنجوم والكواكب والجن ، واعتقاد أن لهذه الأشياء تأثيرا ذاتيا فى الكون والكائنات وأنها تملك أهلية النفع والضر دون الله عز وجل .

والسحر بهذا المعنى كفر ومن أكبر الكبائر . قال تعالى : ﴿ وَلَكِنَّ الشَّيَاطِينَ كَفَرُوا يُعَلِّمُونَ النَّاسَ السِّحْرَ ﴾ [البقرة : ١٠٢] .

وقال ﷺ فى صحيح البخارى :

« اجتنبوا السبع الموبقات »، قالوا : يا رسول الله ، وما هن ؟ قال : « الشرك بالله ، والسحر ، وقتل النفس التى حرم الله إلا بالحق ، وأكل الربا ، وأكل مال اليتيم ، والتولى يوم الزحف ، وقذف المحصنات الغافلات المؤمنات » .

ويرى الإمام مالك والإمام أحمد : أن الساحر يقتل بمجرد فعله السحر واستعماله ، ولا تقبل له توبة فى إسقاط الحد عنه .

وأخرج البخارى : أن عمر رضي الله عنه كتب أن اقتلوا كل ساحر وساحرة ، فقتلوا ثلاث سواحر .

وصح أيضا أن حفصة أم المؤمنين سحرتها جارية لها ، فأمرت بها فقتلت .

وروى من طرق عدة : أن الوليد بن عقبة كان عنده ساحر يلعب بين يديه ، فكان يضرب رأس الرجل ثم يصيح به فيرد إليه رأسه ، فقال الناس : سبحان الله ، يحيى الموتى . . !!

ورآه رجل من صالحى المهاجرين ، فلما كان الغد جاء مشتملا على سيفه ، وذهب يلعب لعبه ذلك ، فاخترط الرجل سيفه فضرب عنق الساحر وقال : إن كان صادقا فليحيى نفسه ، وتلا قوله تعالى : ﴿ أَفَتَأْتُونَ السِّحْرَ وَأَنتُمْ تُبْصِرُونَ ﴾ [الأنبياء : ٣] .

حل السحر :

وساق الإمام ابن كثير هذه المسألة :

هل يسأل الساحر حلا لسحره ؟!

أجاز سعيد بن المسيب فيما نقله عنه البخاري .

وقال عامر الشعبي : لا بأس بالنشرة (١) .

وفي الصحيح عن عائشة أنها قالت : يا رسول الله ، هلا تنشرت ؟ فقال : « أما والله فقد شفاني وخشيت أن أفتح على الناس شرا » .

وحكى القرطبي عن وهب أنه قال :

« يؤخذ سبع ورقات من سدر ، فتدق بين حجرين ، ثم تضرب بالماء ويقرأ عليها آية الكرسي ، ويشرب منها المسحور ثلاث حسوات ثم يغتسل بباقيه ، فإنه يذهب ما به » ، وهو جيد للرجل الذي يؤخذ عن امرأته .

وأنفع ما يستعمل لإذهاب السحر ما أنزل الله على رسوله في إذهاب ذلك وهما المعوذتان ، وفي الحديث : « لم يتعوذ المتعوذ بمثلهما » ، وكذلك قراءة آية الكرسي فإنها مطردة للشيطان » (٢) أ . هـ .

والذي نراه أقرب إلى روح الشرع ونصوصه ؛ أنه لا يجوز الذهاب إلى السحرة والكهنة والمنجمين ؛ لأنه ركون إلى الظالمين وإعانة لهم على الباطل ، وقد قال الله تعالى : ﴿ وَلَا تَرْكَنُوا إِلَى الَّذِينَ ظَلَمُوا فَتَمَسَّكُمُ النَّارُ ﴾ [هود : ١١٣] .

وهناك وعيد من رسول الله ﷺ لمن يذهب إلى هؤلاء الأشرار ، فقد روى مسلم في صحيحه أن النبي ﷺ قال : **« من أتى عرافا فسأله عن شيء لم تقبل له صلاة أربعين يوما » .**

وروى أبو داود :

« من أتى كاهنا فصدقه بما يقول فقد كفر بما أنزل على محمد » .

والحل الصحيح هو اللجوء إلى الله والضراعة له سبحانه فهو الأقرب إلى عباده ، وهو جل شأنه الذي يجيب المضطر إلى دعاه ، وهذا هو الذي فعله الرسول الكريم فقد دعا .. ودعا .. ثم نزل عليه سورتا المعوذتين ،وبهما تكون الرقية الشرعية مع ما تيسر من القرآن .

---

(١) النشرة ـ بالضم ـ : حل السحر بالسحر .

(٢) راجع هذه التفصيلات كلها في تفسير القرآن العظيم لابن كثير ١ / ١٤٥ ـ ١٤٩ .

وفى شأن سورتى المعوذتين قال النبى ﷺ ـ كما رواه مسلم :

« ألم تر آيات أنزلت هذه الليلة ، لم يُر مثلهن قط : ﴿ قُلْ أَعُوذُ بِرَبِّ الْفَلَقِ ﴾ ، ﴿ قُلْ أَعُوذُ بِرَبِّ النَّاسِ ﴾ » .

وكلتا السورتين تدعوان المسلم إلى الاعتصام بالله والالتجاء إليه سبحانه ؛ لأنه رب الفلق ورب الناس ، فهو سبحانه خالق الكون والكائنات ، ورب كل شيء ومليكه ، فالله فالق الحب والنوى وفالق الإصباح ، ويفلق كل شيء من ضده ، فالوجود من العدم ، والحياة من الموت وهكذا .

فالمسلم يستعيذ بالله من شر كل ذى شر إنسيا كان أو جنيا ، بالليل أو النهار ، وخص بعض جوانب الشر بالاستعاذة منها وهى :

١ ـ شر الليل حين يدخل فى قوله : ﴿ وَمِن شَرِّ غَاسِقٍ إِذَا وَقَبَ ﴾ ؛ لأن الظلمة لها فى نفوس الناس خيفة وتوجس .

٢ ـ شر السواحر فى قوله : ﴿ وَمِن شَرِّ النَّفَّاثَاتِ فِي الْعُقَدِ ﴾ ، أى : السواحر اللاتى ينفثن فى عقد الخيط حين يسحرون .

٣ ـ شر الحاسدين الذين يتمنون زوال نعمة الله عند الآخرين ، وتحترق قلوبهم غيظا وكمدا من فضل الله على الناس .

٤ ـ شر الوسواس الخناس ، الذى يوحى بالوسوسة الخفية فى قلوب الناس ، ويفسد علاقتهم ويقوض المحبة بينهم .

وتكون الرقية الشرعية كذلك بفاتحة الكتاب فهى أعظم سورة فى القرآن ، وقد جاء فى صحيح البخارى قول النبى ﷺ لأبى سعيد ـ رافع بن المعلى : « ألا أعلمك أعظم سورة فى القرآن قبل أن تخرج من المسجد » .

قال أبو سعيد : فأخذ بيدى ، فلما أردنا أن نخرج قلت : يا رسول الله ، إنك قلت لأعلمنك أعظم سورة فى القرآن .

قال : « الحمد لله رب العالمين ، هى السبع المثانى والقرآن العظيم الذى أوتيته » .

وتكون الرقية أيضا بآية الكرسى ، فهى أعظم آية فى القرآن ، وورد بشأنها ما رواه مسلم بسنده عن أبى بن كعب قال : قال رسول الله ﷺ : « يا أبا المنذر ، أتدرى أى آية من كتاب الله معك أعظم ؟ » .

قلت : ﴿ اللَّهُ لَا إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ الْحَيُّ الْقَيُّومُ ﴾ فضرب فى صدرى وقال : « ليَهْنكَ العلم يا أبا المنذر » ، أى هنيئا لك العلم .

وفي فضل أواخر سورة البقرة قال عليه الصلاة والسلام ـ كما رواه البخارى ومسلم : « **من قرأ بالآيتين من آخر سورة البقرة فى ليلة كفتاه** » .

وفي معنى الكفاية هنا قولان للعلماء :

ـ كفتاه المكروه والشر هذه الليلة .

ـ كفتاه قيام الليل وثبت له الأجر والثواب .

وقراءة سورة البقرة بأجمعها مطردة للشيطان ، وحصن للبيت المسلم من همزاته ووسوسته ، ففى حديث رواه مسلم ، قال عليه الصلاة والسلام : « **لا تجعلوا بيوتكم مقابر ، إن الشيطان ينفر من البيت الذى تقرأ فيه سورة البقرة** » .

العلاج بالقرآن :

إن الرقية الشرعية لا علاقة لها بما يسمى الآن « العلاج بالقرآن » ، فهذه بدعة يتولاها محترفون فى النصب والاحتيال ، يخدعون الناس عن دينهم وأعراضهم .

فما مؤهلات شخص يتفرغ للعلاج القرآني ، وهو لا يجيد تلاوته ولا يحفظ آياته ، ويقعد عن طلب الرزق ، ويتخذ عيادات خاصة ، ويعطى للناس مواقيت ، ويصطنع أشرطة وكتبا يجتنى من ورائها ثروات طائلة ، ويفترى الكذب حين يقول : إنه يخاطب الجن ، ويتحكم فيهم ويأمرهم فيأتمرون ، وقد يدعي أنه يحرق الجن وينسفهم فى اليم نسفا ، ثم هو يتحسس جسد المرأة ويسيطر على وعيها فتقع منها حركات هستيرية تتنافى مع الأدب وتخرج عن الحياء .

إن الرقية الشرعية يتولاها المريض نفسه أو يؤديها عائدوه من أقربائه والصالحين من عباد الله ، دون تخصيص لشخص بعينه ، أو انتظار لموعد ، أو ارتباط بسماع .

ففى الحديث المتفق عليه أن النبى ﷺ كان يعود بعض أهله ، يمسح بيده اليمنى ويقول : « **اللهم رب الناس ، أذهب الباس ، واشف أنت الشافى لا شفاء إلا شفاؤك ، شفاء لا يغادر سقما** » .

وفى حديث رواه مسلم بسنده عن أبى عبد الله عثمان بن العاص رضي الله عنه أنه شكا إلى رسول الله ﷺ وجعا يجده فى جسده ، فقال له رسول الله ﷺ :

« **ضع يدك على الذى يألم من جسدك وقل : بسم الله ـ ثلاثا ـ وقل سبع مرات : أعوذ بعزة الله وقدرته من شر ما أجد وأحاذر** » .

وفى حديث رواه الترمذى وأبو داود وصححه الحاكم بسنده عن ابن عباس رضي الله عنهما عن النبى ﷺ قال :

« من عاد مريضا لم يحضره أجله فقال عنده سبع مرات : أسأل الله العظيم رب العرش العظيم أن يشفيك ، إلا عافاه الله من ذلك المرض » .

تفسير آية السحر :

وقف المفسرون طويلا عند قوله تعالى : ﴿ وَاتَّبَعُوا مَا تَتْلُو الشَّيَاطِينُ عَلَىٰ مُلْكِ سُلَيْمَانَ وَمَا كَفَرَ سُلَيْمَانُ وَلَٰكِنَّ الشَّيَاطِينَ كَفَرُوا يُعَلِّمُونَ النَّاسَ السِّحْرَ وَمَا أُنزِلَ عَلَى الْمَلَكَيْنِ بِبَابِلَ هَارُوتَ وَمَارُوتَ وَمَا يُعَلِّمَانِ مِنْ أَحَدٍ حَتَّىٰ يَقُولَا إِنَّمَا نَحْنُ فِتْنَةٌ فَلَا تَكْفُرْ فَيَتَعَلَّمُونَ مِنْهُمَا مَا يُفَرِّقُونَ بِهِ بَيْنَ الْمَرْءِ وَزَوْجِهِ وَمَا هُم بِضَارِّينَ بِهِ مِنْ أَحَدٍ إِلَّا بِإِذْنِ اللَّهِ وَيَتَعَلَّمُونَ مَا يَضُرُّهُمْ وَلَا يَنفَعُهُمْ وَلَقَدْ عَلِمُوا لَمَنِ اشْتَرَاهُ مَا لَهُ فِي الْآخِرَةِ مِنْ خَلَاقٍ وَلَبِئْسَ مَا شَرَوْا بِهِ أَنفُسَهُمْ لَوْ كَانُوا يَعْلَمُونَ ﴾ [البقرة : ١٠٢] .

لقد زعمت طائفة أن الملائكة تعجبت من عصيان بنى آدم وصبر الله عليهم ، فامتحن الله الملائكة بأن ركب فى اثنين منهم الشهوة ، وهما هاروت وماروت وأنزلهما إلى الأرض لينظر كيف يعملون .

فتمثلت لهم الزهرة امرأة من أحسن البشر ، فجاءتهما فسألاها نفسها ، فقالت لهما : لا ، والله حتى تشركا بالله ، فأبيا ، فذهبت عنهما ثم رجعت بصبى تحمله ، وعرضت نفسها عليهما مقابل أن يقتلا الصبى ، فرفضا ، فذهبت عنهما ثم عادت بقدح خمر ، وعرضت نفسها مقابل أن يشربا الخمر ، فقبلا شرب الخمر وقالا : إنه أهون الثلاثة .

فما كادا يشربان الخمر حتى أشركا بالله ، وقتلا الصبى ،وزنيا .

فلما أفاقا أدركا عظم الخطايا التى وقعوا فيها، فخيرا بين عذاب الدنيا وعذاب الآخرة ، فاختارا عذاب الدنيا ، فهما معلقان ببابل العراق بين السماء والأرض .

تتعدد الروايات فى تفاصيل الأحداث ، ولو حولت إلى فيلم سينمائى لكان من أكثر الأفلام إثارة وإغراء .

وهذه الروايات من كتب بنى إسرائيل التى لا تعرف لله وقارا ، ولا للملائكة عصمة ، ولا للأنبياء أخلاقا ـ فقد نقلها عبد الله بن عمر عن كعب الأحبار المشهور بترويج أساطير اليهود ، وهى تتصادم مع نصوص الدين ومسلمات العقل وبديهيات العلم .

فالملائكة لا يعصون الله ما أمرهم .

وحقائق الأشياء ثابتة وطبائع المخلوقات من سنة الله التى لاتتبدل ، وكوكب الزهرة لا يتمثل امرأة ، والمرأة لاتمسخ كوكبا .

وقد قال الإمام الألوسى فى تفسيره :

« من قال بصحة هذه القصة ، وحملها على ظاهرها فقد ركب شططا ، وقال غلطا ، وفتح بابا من السحر يضحك الموتى ويبكى الأحياء ، وينكس راية الإسلام ، ويرفع رؤوس الكفرة ... » .

* * *

وسياق الآية مع اليهود ، فهم شياطين الإنس ، وقد افتروا على سليمان وزعموا أنه ساحر ، وما كان سليمان ساحرا ولا كافرا ، وإنما هم الذين كفروا باشتغالهم بالسحر .. فاليهود أكثر الناس ارتباطا بالسحر ، والملكان قد يراد بهما شخصان من الملائكة ، وقد يراد بهما رجلان صالحان فإن الرجل الصالح يسمى ملكا ، وقد قال نسوة المدينة عن يوسف ﷺ : ﴿ مَا هَٰذَا بَشَرًا إِنْ هَٰذَا إِلَّا مَلَكٌ كَرِيمٌ ﴾ [يوسف : ٣١] .

وقد يراد بالملكين داود وسليمان ـ عليهما السلام ـ فكل منهما نبى ملك .

وكلمة « ما » قد تكون نافية ، وقد تكون موصولة .

ومعنى الآية على أحد هذه الاحتمالات :

١ ـ إذا جعلنا « ما » نافية ، فالمعنى : أن هذه الروايات الإسرائيلية كلها منفية فى الواقع ونفس الأمر ، فلم يحدث أن نزل ملكان ، ولم يحدث أنهما علما الناس السحر .

٢ ـ إذا جعلنا « ما » موصولة ، فقد تعطف على « ملك سليمان » والمعنى : أن اليهود اتبعوا ما قالوه كذبا على ملك سليمان وما قالوه كذبا على ما أنزل على الملكين ـ فالسحر لم ينزل على الملكين .

وهناك اتجاه بعطف « ما » على « السحر » ، أى يعلمون الناس السحر ، ويعلمونهم ما أنزل على الملكين ، فالملكان سواء كانا من الملائكة أو من البشر ، كانا يعلمان الناس السحر ليتجنبوه ، ويبتعدوا عنه ويقولان لهم : ﴿ إِنَّمَا نَحْنُ فِتْنَةٌ فَلَا تَكْفُرْ ﴾ .

وهذا لون من الابتلاء الإلهى ليميز الخبيث من الطيب ، كما ابتلى قوم طالوت بالنهر ﴿ فَمَن شَرِبَ مِنْهُ فَلَيْسَ مِنِّي وَمَن لَّمْ يَطْعَمْهُ فَإِنَّهُ مِنِّي ... ﴾ [البقرة : ٢٤٩] .

فالناس انحرفوا بهذا التعليم وذهبوا يستخدمونه فى التفريق بين المرء وزوجه .

٣ ـ هناك من يرى أن قوله تعالى : ﴿ وَمَا أُنزِلَ عَلَى الْمَلَكَيْنِ ﴾ جملة معترضة بين قوله : ﴿ يُعَلِّمُونَ النَّاسَ السِّحْرَ ﴾ ، وقوله : ﴿ بِبَابِلَ هَارُوتَ وَمَارُوتَ ﴾ ، أى أن النص فى معناه المراد : ولكن الشياطين كفروا يعلمون الناس السحر ببابل هاروت وماروت ، وما أنزل على الملكين .

فمكان التعليم هو : بابل العراق ، والمعلمون رجلان هما : هاروت وماروت ، فهو من المؤخر الذى معناه المقدم . وهاروت وماروت بدل من الشياطين ، وصح إبدال المثنى من الجمع ؛ لأن الجمع قد يطلق على مافوق الواحد .

والمعنى : أن هاروت وماروت يعلمان الناس السحر ببابل ، ولم ينزل ذلك على الملكين نفيا لدعوى اليهود أن الله أنزل السحر على جبريل وميكائيل .

أو المراد بالملكين : داود وسليمان ، فهما لم يتعلما السحر ولم ينشراه بين الناس ولم يمارساه .

فالسحر كفر ، يتنافى مع النبوة التى ثبتت لداود وسليمان ـ عليهما السلام .

وقد أكدت الآية كفر الساحر فى أربعة تعبيرات :

١ ـ ﴿ وَلَٰكِنَّ الشَّيَاطِينَ كَفَرُوا يُعَلِّمُونَ النَّاسَ السِّحْرَ ﴾ .

٢ ـ ﴿ وَمَا يُعَلِّمَانِ مِنْ أَحَدٍ حَتَّىٰ يَقُولَا إِنَّمَا نَحْنُ فِتْنَةٌ فَلَا تَكْفُرْ ﴾ .

٣ ـ ﴿ وَلَقَدْ عَلِمُوا لَمَنِ اشْتَرَاهُ مَا لَهُ فِي الْآخِرَةِ مِنْ خَلَاقٍ ﴾ .

والخلاق : النصيب أو الدين ، فالساحر لا نصيب له من الثواب فى الآخرة ، وليس له دين صحيح .

٤ ـ ﴿ وَلَبِئْسَ مَا شَرَوْا بِهِ أَنفُسَهُمْ لَوْ كَانُوا يَعْلَمُونَ ﴾ .

وبئس : فعل ذم ، وشروا : بمعنى باعوا ، فالساحر باع نفسه ودينه وخلقه وآثر السحر على ذلك كله ، فالبديل وهو السحر شيء مذموم غاية الذم ، وهو ثمن بخس لو كان عندهم وعى وعقل .

وإنما ذكرت الآية التفريق بين المرء وزوجه لأثر من آثار السحر ؛ لأن التفريق أعظم الإثم وأكبره فى العلاقات الاجتماعية ، وهو من أولويات العمل الشيطانى . . وفى صحيح مسلم بسنده عن جابر بن عبد الله رضي الله عنه عن النبى ﷺ أنه قال :

« إن الشيطان ليضع عرشه على الماء ، ثم يبعث سراياه فى الناس ، فأقربهم عنده منزلة أعظمهم فتنة ، يجيء أحدهم فيقول : ما زلت بفلان حتى تركته وهو يقول كذا وكذا ، فيقول إبليس : لا والله ما صنعت شيئا . ويجيء أحدهم فيقول : ما تركته حتى فرقت بينه وبين أهله ، قال : فيقربه ويدنيه ويقول : نعم أنت » .

التنجيم

التنجيم : هو اعتقاد أن للنجوم أثرا ذاتيا فى أحداث الكون والكائنات ، وأن ارتباطا تلازميا يحدث بين وقائع الحياة ومواقع النجوم .

ويقرأ المنجمون الطالع ويقدمون الأخبار الكواذب عن المستقبل ، معتمدين على تتبع النجوم فى مساراتها، وقد خلق الله النجوم مسخرات بأمره لمنافع الإنسان فى الضوء والظلمة ، فى الحر والبرد ، فى السير برا وبحرا وجوا ، فى مواقيت الناس لمعاملاتهم وعباداتهم ، وليس لمعرفة السعادة أو الشقاء لبنى الإنسان .

قال تعالى: ﴿ وَمِنْ آيَاتِهِ اللَّيْلُ وَالنَّهَارُ وَالشَّمْسُ وَالْقَمَرُ لا تَسْجُدُوا لِلشَّمْسِ وَلا لِلْقَمَرِ وَاسْجُدُوا لِلَّهِ الَّذِي خَلَقَهُنَّ إِن كُنتُمْ إِيَّاهُ تَعْبُدُونَ ﴾ [فصلت : ٣٧] .

وفى الصحيحين عن زيد بن خالد قال : خطبنا رسول الله ﷺ بالحديبية ، على إثر سماء كانت من الليل، فقال:« أتدرون ماذا قال ربكم الليلة ؟ » قلنا : الله ورسوله أعلم ، قال: « قال: أصبح من عبادى مؤمن بى وكافر ، فأما من قال : مطرنا بفضل الله ورحمته ، فذلك مؤمن بى كافر بالكواكب ، وأما من قال : مطرنا بنوء كذا وكذا ، فذلك كافر بى مؤمن بالكواكب » .

ونقل البخارى فى صحيحه عن قتادة قال :

خلق الله هذه النجوم لثلاث ، زينة للسماء ، ورجوما للشياطين ، وعلامات يهتدى بها ، فمن تأول فيها غير ذلك أخطأ وأضاع نصيبه ، وتكلف مالا علم له به .

والذين يعتمدون على التنجيم يسخرون من عقولهم ، ويعيشون حيارى قلقين ، لا يعزمون أمرا ،ولا يقطعون رأيا ،ولايقدمون على عمل من تلقاء أنفسهم ، ووعى عقولهم ، واستخارتهم لله ، وإنما ينتظرون وَهْمًا ، ويقعون فريسة لهؤلاء المنجمين الضالين ، الذين لا يملكون لأنفسهم نفعا ولا ضرا ، ولا يملكون موتا ولا حياة .

فهؤلاء المنجمون شياطين الإنس ، والاعتقاد فى أعمالهم عبادة للشيطان ، تودى بصاحبها إلى سواء الجحيم .

الكهانة

الكهانة : هى استطلاع خبر السماء عن طريق مردة الشياطين من الجن وشاع ذلك قبل الإسلام ، وتخصص فيه بعض الناس ، سُمُّوا كُهَّانًا ، كانوا وسطاء بين البشر والشياطين .

وهؤلاء أفَّاكُونَ كاذبون ، يأخذون عن الجنى الكلمة من خبر السماء فيضعون عليها مائة كذبة .

وفى الصحيح عن عائشة رضي الله عنها قالت : سُئِلَ رسول الله ﷺ عن الكهان فقال : « ليسوا بشىء » ، فقالوا : يا رسول الله ، إنهم يحدثون أحيانا بالشىء يكون حقا ، فقال رسول ﷺ : « تلك الكلمة من الحق يخطفها الجنى فيقرها فى أذن وليه ، يخلطون فيها أكثر من مائة كذبة » .

وقد أثبت القرآن هذا المعنى فقال :

﴿ هَلْ أُنَبِّئُكُمْ عَلَىٰ مَن تَنَزَّلُ الشَّيَاطِينُ . تَنَزَّلُ عَلَىٰ كُلِّ أَفَّاكٍ أَثِيمٍ . يُلْقُونَ السَّمْعَ وَأَكْثَرُهُمْ كَاذِبُونَ ﴾ [الشعراء : ٢٢١ ـ ٢٢٣] .

فالكهانة برمتها علاقة بين الشيطان المتمرد والأفاك الكاذب ، فهى علاقة خبيثة ، والكذب سمة أساسية فيها ، والخداع والتضليل رأس عمل كل منهما .

وهذه النسبة الضئيلة من الصدق،التى عبر عنها القرآن فى قوله: ﴿ وَأَكْثَرُهُمْ كَاذِبُونَ ﴾ ، وعبَّر عنها النبى ﷺ بقوله : « يخلطون فيها أكثر من مائة كذبة » .

هذه النسبة قد انتهت الآن ، وأصبحت السماء محروسة منذ بعثة سيدنا محمد ﷺ ، إكراما لشأنه وتعظيما لرسالته ، وقد أدرك ذلك الجن فقالوا :

﴿ وَأَنَّا لَمَسْنَا السَّمَاءَ فَوَجَدْنَاهَا مُلِئَتْ حَرَسًا شَدِيدًا وَشُهُبًا . وَأَنَّا كُنَّا نَقْعُدُ مِنْهَا مَقَاعِدَ لِلسَّمْعِ فَمَن يَسْتَمِعِ الْآنَ يَجِدْ لَهُ شِهَابًا رَّصَدًا . وَأَنَّا لَا نَدْرِي أَشَرٌّ أُرِيدَ بِمَن فِي الْأَرْضِ أَمْ أَرَادَ بِهِمْ رَبُّهُمْ رَشَدًا ﴾ [الجن . ٨ ـ ١٠]

وأغلق الباب تماما وأوصده الله فى وجه الشياطين فقال :

﴿ إِنَّهُمْ عَنِ السَّمْعِ لَمَعْزُولُونَ ﴾ [الشعراء : ٢١٢] .

وقال جل شأنه : ﴿ إِنَّا زَيَّنَّا السَّمَاءَ الدُّنْيَا بِزِينَةٍ الْكَوَاكِبِ . وَحِفْظًا مِّن كُلِّ شَيْطَانٍ مَّارِدٍ . لَا يَسَّمَّعُونَ إِلَى الْمَلَإِ الْأَعْلَىٰ وَيُقْذَفُونَ مِن كُلِّ جَانِبٍ . دُحُورًا وَلَهُمْ عَذَابٌ وَاصِبٌ . إِلَّا مَنْ خَطِفَ

الْخَطْفَةَ فَأَتْبَعَهُ شِهَابٌ ثَاقِبٌ ﴾ [الصافات : ٦ ـ ١] .

فالشياطين يرجمون من كل جانب ويطردون طردا قويا ، ويلازمهم العذاب الدائم الذى لا ينقطع ، وتتبعهم الشهب الحارقة حتى تظل السماء محروسة ، والغيب محفوظا بأمر الله .

منطلق الانحراف السلوكي والأخلاقي

إن عبادة الشيطان المتمثلة فى الانحراف السلوكى والأخلاقى تتعدد أشكالها وتتنوع مظاهرها ، وتتجدد أساليبها فى كل عصر ومصر ، ويمكن أن نجعل منطلقها من شعبتين لا ثالث لهما :

الأولى : كشف العورة .

الثانية : شرب الخمر .

وعن كشف العورة تتوالى سوءات كثيرة ، وانحرافات شتى ، كالزنا والشذوذ ، ونكاح المحارم ، وانتهاك الأعراض .

وشرب الخمر له جانبان :

فالخمر أم الخبائث .

والخمر تغطى العقل وتستر الوعى وتذهب بالتفكير، فمن شرب الخمر أكل الخبائث ، كالميتة ، ولحم الخنزير ، والكلاب والقطط والفئران .

ومن غاب عقله قتل وسفك ، وسرق واختلس ، وارتكب كل محظور ، وفقد كل كرامة ، وضاع شرفه بأجمعه .

ولهذا أكد القرآن أن مبدأ الانحراف وأصل الفساد هو كشف العورة ، وربطه بالشيطان فقال :

﴿ يَا بَنِي آدَمَ قَدْ أَنزَلْنَا عَلَيْكُمْ لِبَاسًا يُوَارِي سَوْءَاتِكُمْ وَرِيشًا وَلِبَاسُ التَّقْوَىٰ ذَٰلِكَ خَيْرٌ ذَٰلِكَ مِنْ آيَاتِ اللَّهِ لَعَلَّهُمْ يَذَّكَّرُونَ . يَا بَنِي آدَمَ لَا يَفْتِنَنَّكُمُ الشَّيْطَانُ كَمَا أَخْرَجَ أَبَوَيْكُم مِّنَ الْجَنَّةِ يَنزِعُ عَنْهُمَا لِبَاسَهُمَا لِيُرِيَهُمَا سَوْءَاتِهِمَا . . . ﴾ [الأعراف : ٢٦ ، ٢٧] .

إن السوأة تتوارى بشيئين : هما اللباس المادى ، واللباس المعنوى ، فاللباس المادى فى غيبة التقوى مكشوف مفضوح لا قيمة له ، ولا يترتب عليه تحصين النفس أو وقايتها من الانحراف .

والتقوى فى غيبة اللباس المادى خداع وتضليل ، فالله لا يأمر بالفحشاء ، ولايتقرب إليه بالمعصية ولا يعبد بكشف العورة .

ومن الناس من ينزع اللباسين معا ، ويعيش فى نوادى العراة ، ويسبح فى بحر

الخطيئة ، ويحيا فى مستنقع الرذيلة ﴿ أُولَئِكَ كَالأَنْعَامِ بَلْ هُمْ أَضَلُّ أُولَئِكَ هُمُ الْغَافِلُونَ ﴾ [الأعراف : ١٧٩]

ولقد اهتم القرآن بالزينة واللباس، وأمر بهما ، وحث على اتخاذهما بضوابط شرعية ، وجعلهما من مظاهر العبادة الصحيحة فقال : ﴿ يَا بَنِي آدَمَ خُذُوا زِينَتَكُمْ عِندَ كُلِّ مَسْجِدٍ وَكُلُوا وَاشْرَبُوا وَلا تُسْرِفُوا إِنَّهُ لا يُحِبُّ الْمُسْرِفِينَ . قُلْ مَنْ حَرَّمَ زِينَةَ اللَّهِ الَّتِي أَخْرَجَ لِعِبَادِهِ وَالطَّيِّبَاتِ مِنَ الرِّزْقِ ﴾ [الأعراف : ٣١ ، ٣٢] .

كذلك ، فإن القرآن جعل الخمر خبثا وقذرا ، ونسبه إلى الشيطان الذى يتخذ من الخمر وسيلة لغرس العداوة والبغضاء بين الناس ، وأداة لتعطيل شعائر الله ، والصد عن سبيله ، فقال :

﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِنَّمَا الْخَمْرُ وَالْمَيْسِرُ وَالأَنصَابُ وَالأَزْلامُ رِجْسٌ مِّنْ عَمَلِ الشَّيْطَانِ فَاجْتَنِبُوهُ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ . إِنَّمَا يُرِيدُ الشَّيْطَانُ أَن يُوقِعَ بَيْنَكُمُ الْعَدَاوَةَ وَالْبَغْضَاءَ فِي الْخَمْرِ وَالْمَيْسِرِ وَيَصُدَّكُمْ عَن ذِكْرِ اللَّهِ وَعَنِ الصَّلاةِ فَهَلْ أَنتُم مُّنتَهُونَ ﴾ [المائدة : ٩٠ ، ٩١] .

والخمر فى الفقه الإسلامى : كل ما أسكر ، قليلا كان أو كثيرا .

والميسر : القمار ، وكل ما ألهى عن ذكر الله .

والأنصاب : حجارة كانوا يذبحون عليها أمام الأصنام .

والأزلام : قداح يستقسمون بها ، أى : يجرون بها القرعة أمام آلهتهم المزعومة .

كل هذه الصور خبث وشر من عمل الشيطان بهدف تدمير الجانب الروحى فى الإنسان ، والردة به إلى أسفل سافلين .

صور تاريخية للانحراف السلوكي

إن الصورة البشعة التي يقوم بها عبدة الشيطان في العصر الحديث ، من إقامة الحفلات الموسيقية الصاخبة ، والاجتماع حفاة عراة ، وممارسة الجنس والشذوذ الجماعي ، وأكل الميتة والخبائث ، وشرب الدماء ، واحتساء الخمور ، والاستهزاء بالدين والقيم .

هذه الصور البشعة هي تجميع لصور شتى،بثها الشيطان بين البشر في عصور سحيقة ، وعلى مدى أجيال متعددة ، وكان عاقبة فاعليها خسرا ، ودمر الله عليهم ، وسجلها القرآن المجيد عبرة لأولي الألباب .

ومن هذه الصور :

الاستهزاء بالدين :

قد شاع الاستهزاء بالدين وأهله على عهد نوح عليه السلام وتوارثته أجيال الفساد على مدى التاريخ .

قال الله تعالى في حق قوم نوح :

﴿ وَيَصْنَعُ الْفُلْكَ وَكُلَّمَا مَرَّ عَلَيْهِ مَلأٌ مِّن قَوْمِهِ سَخِرُوا مِنْهُ قَالَ إِن تَسْخَرُوا مِنَّا فَإِنَّا نَسْخَرُ مِنكُمْ كَمَا تَسْخَرُونَ ﴾ [هود : ٣٨] .

وما من نبي بعثه الله لينقذ الناس من غواية الشيطان إلى هداية الرحمن ، إلا استهزأ به قومه وسخروا من دعوته .

قال جل شأنه : ﴿ وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا مِن قَبْلِكَ فِي شِيَعِ الأَوَّلِينَ . وَمَا يَأْتِيهِم مِّن رَّسُولٍ إِلاَّ كَانُوا بِهِ يَسْتَهْزِءُونَ ﴾ [الحجر : ١٠ ، ١١] .

وفي وصف عام لكبرياء المجرمين في كل زمان ومكان يقول الله تعالى :

﴿ زُيِّنَ لِلَّذِينَ كَفَرُوا الْحَيَاةُ الدُّنْيَا وَيَسْخَرُونَ مِنَ الَّذِينَ آمَنُوا وَالَّذِينَ اتَّقَوْا فَوْقَهُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَاللَّهُ يَرْزُقُ مَن يَشَاءُ بِغَيْرِ حِسَابٍ ﴾ [البقرة : ٢١٢] .

إن هؤلاء المجرمين غرتهم الحياة الدنيا بأموالها وبنيها ، وأغواهم الشيطان فاستمرؤوا الضلالة ، وسخروا من المؤمنين ، وظنوا أنهم مانعتهم حصونهم من الله .

لكن الموعد الله ، فيمنح المؤمنين الدرجات العلا ، ويخذل المجرمين فى الدركات السفلى . وليست الدنيا جزاء لأحد ، فإن الله يمنحها لمن يحب ومن لا يحب ابتلاء وتمحيصا . كما قال جل شأنه :

﴿ إِنَّا جَعَلْنَا مَا عَلَى الأَرْضِ زِينَةً لَهَا لِنَبْلُوَهُمْ أَيُّهُمْ أَحْسَنُ عَمَلاً . وَإِنَّا لَجَاعِلُونَ مَا عَلَيْهَا صَعِيداً جُرُزاً ﴾ [الكهف : ٧ ، ٨] .

وفى سورة المطففين فصل الله استهزاء هؤلاء المجرمين ، فهم ـ قاتلهم الله ـ يتخذون من المؤمنين مادة للضحك والقهقهة العالية ، وأحيانا يشيرون إلى المؤمنين بأعينهم استهزاء واستخفافا ، إذا جلسوا مجالس اللهو والفسق تلذذوا بمثالب المؤمنين والتى يخترعونها ويكذبون فيها ، ثم هم يحسبون أنهم مهتدون وأن المؤمنين هم الضالون . وذلك من قلب الحقائق وتزيين الشيطان لهم .

قال الله تعالى : ﴿ إِنَّ الَّذِينَ أَجْرَمُوا كَانُوا مِنَ الَّذِينَ آمَنُوا يَضْحَكُونَ . وَإِذَا مَرُّوا بِهِمْ يَتَغَامَزُونَ . وَإِذَا انْقَلَبُوا إِلَى أَهْلِهِمُ انْقَلَبُوا فَكِهِينَ . وَإِذَا رَأَوْهُمْ قَالُوا إِنَّ هَؤُلاءِ لَضَالُّونَ ﴾
[المطففين : ٢٩ ـ ٣٢]

وفى العهد الإسلامى الأول تكاثر المستهزئون بالدين وتنوعت مشاربهم ، ولكن الله خيب آمالهم ، وأحرق قلوبهم كمدا وحسرة ، وانتصر الإسلام ودخل الناس فى دين الله أفواجا .

فالمنافقون على عهد رسول الله ﷺ مارسوا الاستهزاء ، وتفننوا فى أساليبه ، فكانوا يلقون المسلمين بوجه ويخفون وجها آخر . . قال الله تعالى : ﴿ وَإِذَا لَقُوا الَّذِينَ آمَنُوا قَالُوا آمَنَّا وَإِذَا خَلَوْا إِلَى شَيَاطِينِهِمْ قَالُوا إِنَّا مَعَكُمْ إِنَّمَا نَحْنُ مُسْتَهْزِئُونَ ﴾ [البقرة : ١٤] .

وكان المنافقون يرجفون فى المدينة ، ويثبطون العزائم ، وينالون من المجاهدين ، ويطعنون فى إخلاصهم ، ويصفونهم بالكذب والجبن والشهوة ويقولون : ما رأينا مثل قرائنا أرغب بطونا ، ولا أكذب ألسنا ، ولا أجبن عند اللقاء . فنزل قول الله تعالى :

﴿ يَحْذَرُ الْمُنَافِقُونَ أَن تُنَزَّلَ عَلَيْهِمْ سُورَةٌ تُنَبِّئُهُم بِمَا فِي قُلُوبِهِمْ قُلِ اسْتَهْزِءُوا إِنَّ اللَّهَ مُخْرِجٌ مَّا تَحْذَرُونَ . وَلَئِن سَأَلْتَهُمْ لَيَقُولُنَّ إِنَّمَا كُنَّا نَخُوضُ وَنَلْعَبُ قُلْ أَبِاللَّهِ وَآيَاتِهِ وَرَسُولِهِ كُنتُمْ تَسْتَهْزِءُونَ . لا تَعْتَذِرُوا قَدْ كَفَرْتُم بَعْدَ إِيمَانِكُمْ . . . ﴾ [التوبة : ٦٤ ـ ٦٦] .

ولقد وعد الله نبيه وأولياءه بإحباط كيد المستهزئين فى الدنيا فقال : ﴿ إِنَّا كَفَيْنَاكَ

الْمُسْتَهْزِئِينَ ﴾ [الحجر : ٩٥] .

كما وعد سبحانه في الآخرة بالنعيم الدائم للمؤمنين ، والحسرة الدائمة للمستهزئين حين يجأر أعداء الله قائلين : ﴿ رَبَّنَا أَخْرِجْنَا مِنْهَا فَإِنْ عُدْنَا فَإِنَّا ظَالِمُونَ ﴾ . فيرد عليهم من قبل العلي الأعلى :

﴿ قَالَ اخْسَئُوا فِيهَا وَلَا تُكَلِّمُونِ . إِنَّهُ كَانَ فَرِيقٌ مِنْ عِبَادِي يَقُولُونَ رَبَّنَا آمَنَّا فَاغْفِرْ لَنَا وَارْحَمْنَا وَأَنْتَ خَيْرُ الرَّاحِمِينَ . فَاتَّخَذْتُمُوهُمْ سِخْرِيًّا حَتَّى أَنْسَوْكُمْ ذِكْرِي وَكُنْتُمْ مِنْهُمْ تَضْحَكُونَ . إِنِّي جَزَيْتُهُمُ الْيَوْمَ بِمَا صَبَرُوا أَنَّهُمْ هُمُ الْفَائِزُونَ ﴾ [المؤمنون : ١٠٧ ـ ١١١] .

الشذوذ :

حكى القرآن عن قوم لوط ﷺ أنهم أول من اتخذوا الرجال شهوة من دون النساء ، وأنهم مارسوا الشذوذ علانية ، قال تعالى : ﴿ وَلُوطًا إِذْ قَالَ لِقَوْمِهِ إِنَّكُمْ لَتَأْتُونَ الْفَاحِشَةَ مَا سَبَقَكُمْ بِهَا مِنْ أَحَدٍ مِنَ الْعَالَمِينَ . أَئِنَّكُمْ لَتَأْتُونَ الرِّجَالَ وَتَقْطَعُونَ السَّبِيلَ وَتَأْتُونَ فِي نَادِيكُمُ الْمُنْكَرَ فَمَا كَانَ جَوَابَ قَوْمِهِ إِلَّا أَنْ قَالُوا ائْتِنَا بِعَذَابِ اللَّهِ إِنْ كُنْتَ مِنَ الصَّادِقِينَ ﴾ [العنكبوت : ٢٨ ، ٢٩] .

وقص القرآن حدثا فريدا وعجيبا لهذا النبي الكريم مع قومه ، حين جاء الملائكة فى صورة ضيوف من الشباب الناضر ، الرائع المنظر ، البهى الطلعة ، فما كادوا يصلون إلى بيت لوط ﷺ حتى تكاثر القوم على باب داره ،يريدون أن يفضوا إليهم ويراودوه عنهم .

وضاق لوط ذرعا بهذا الموقف العصيب الذى يقف فيه وحيدا ،لا ناصر له من البشر .

ودخل فى جدل مرير مع هؤلاء الشواذ ، ودعاهم إلى الزواج العفيف ، ووجههم إلى ما أودعه الله فى الفطر السليمة من لقاء الرجل بالمرأة على اسم الله وأمانته ، ﴿ قَالَ يَا قَوْمِ هَؤُلَاءِ بَنَاتِي هُنَّ أَطْهَرُ لَكُمْ فَاتَّقُوا اللَّهَ وَلَا تُخْزُونِ فِي ضَيْفِي أَلَيْسَ مِنْكُمْ رَجُلٌ رَشِيدٌ ﴾ [هود : ٧٨] .

والمراد بقوله : ﴿ هَؤُلَاءِ بَنَاتِي ﴾ حثهم على الزواج من النساء ، وكل نبى أب لأمته ، وهو حريص على قومه ، رحيم بهم .

ولكن القوم أصروا ، ورفضوا العفاف رفضا قاطعا .

﴿ قَالُوا لَقَدْ عَلِمْتَ مَا لَنَا فِي بَنَاتِكَ مِنْ حَقٍّ وَإِنَّكَ لَتَعْلَمُ مَا نُرِيدُ ﴾ [هود : ٧٩] .

أى أن القوم لا يشتهون النساء ولا يرغبون فيهن .. وهم يأبون إلا ممارسة الشذوذ بلا خجل ولا حياء .

وسقط فى يد لوط ، ووقف حائرا مبهوتا ، فالناس أمام داره ، والضيوف الشبان داخلها ، ولايستطيع مدافعة القوم أو إقناعهم ، وضاق صدره وانطلق لسانه :

﴿ قَالَ لَوْ أَنَّ لِي بِكُمْ قُوَّةً أَوْ آوِي إِلَىٰ رُكْنٍ شَدِيدٍ ﴾ [هود : ٨٠] .

وفى هذه اللحظات القاسية كشف الضيف عن حقيقة أمرهم :

﴿ قَالُوا يَا لُوطُ إِنَّا رُسُلُ رَبِّكَ لَن يَصِلُوا إِلَيْكَ ﴾ .

وأعلموه بالخطة الإلهية لتدمير هؤلاء القوم ، واستئصال شأفتهم .

﴿ فَأَسْرِ بِأَهْلِكَ بِقِطْعٍ مِّنَ اللَّيْلِ وَلَا يَلْتَفِتْ مِنكُمْ أَحَدٌ إِلَّا امْرَأَتَكَ إِنَّهُ مُصِيبُهَا مَا أَصَابَهُمْ إِنَّ مَوْعِدَهُمُ الصُّبْحُ أَلَيْسَ الصُّبْحُ بِقَرِيبٍ ﴾ [هود : ٨١] .

إن إمرأة لوط خانت عقيدة زوجها ولم تنصره على قومها ، ومارست الوشاية و[...] عينا لأهلها على زوجها فأصابها ما أصابهم .

وجاءت لحظة الهلاك ، وحقت كلمة العذاب على المجرمين :

﴿ فَلَمَّا جَاءَ أَمْرُنَا جَعَلْنَا عَالِيَهَا سَافِلَهَا وَأَمْطَرْنَا عَلَيْهَا حِجَارَةً مِّن سِجِّيلٍ مَّنضُودٍ . مُّسَوَّمَةً عِندَ رَبِّكَ وَمَا هِيَ مِنَ الظَّالِمِينَ بِبَعِيدٍ ﴾ [هود : ٨٢ ، ٨٣] .

والسجيل : الشديد ، الكبير ، الملتهب .

والمنضود : المعد المجهز ، أو المتتابع .

والمسومة : المعلمة ، المختومة باسم صاحبها الذى تقع عليه .

فأهلك الله قوم لوط مجتمعين وفرادى ، فمن كان منهم بعيدا عن موقع القرية [...] حجره حيث كان فقتله .

هذا ، وقد أخذ العلماء مما حل بقوم لوط حكما شرعيا فى الشواذ ، وهو أن يلق[...] من شاهق ، ثم يتبعون بالحجارة حتى الموت ، سواء كانوا محصنين ـ سبق لهم الزوا[ج] [أو] غير محصنين .

نكاح الجاهلية :

علاقة الرجل بالمرأة هى محور أخلاق الناس ، فإذا سمت هذه العلاقة و[...] بالرشد ، وقامت على العفاف الشريف ، كانت أخلاق الناس حسنة .

وإذا شاعت هذه العلاقة بلا تنظيم ، وأهدرت قيم الأعراض ساءت أخلاق ا[لناس] وضاعت معالم حياتهم الإنسانية .

وقد حدثتنا السيدة عائشة زوج النبى ﷺ ـ كما فى صحيح البخارى ـ أن نكاح [الجاهلية] كان على أربعة أنحاء :

فنكاح منها نكاح الناس اليوم ، يخطب الرجل إلى الرجل وليَّته أو ابنته ، فيصدقها[1] ثم ينكحها .

ونكاح آخر : كان الرجل يقول لامرأته إذا طهرت من طمثها [2] :

أرسلي إلى فلان فاستبضعي [3] منه .

ويعتزلها زوجها ، ولا يمسها أبدا حتى يتبين حملها من ذلك الرجل الذى تستبضع منه ، فإذا تبين حملها أصابها زوجها إذا أحب .

وإنما يفعل ذلك رغبة فى نجابة الولد [4] ، فكان هذا النكاح نكاح الاستبضاع .

ونكاح آخر : يجتمع الرهط ما دون العشرة فيدخلون على المرأة ، كلهم يصيبها ، فإذا حملت ووضعت ، ومرّ عليها ليالى بعد أن تضع حملها أرسلت إليهم ، فلم يستطع رجل منهم أن يمتنع ، حتى يجتمعوا عندها ، تقول لهم : قد عرفتم الذى كان من أمركم ، وقد ولدت ، فهو ابنك يا فلان .. تسمى من أحبّت باسمه فيلحق به ولدها .

ونكاح رابع : يجتمع الناس الكثير فيدخلون على المرأة ، لا تمتنع ممن جاءها ، وهنَّ البغايا ، كن ينصبن على أبوابهن رايات تكون علمًا فمن أرادهنّ دخل عليهنّ ، فإذا حملت إحداهنّ ووضعت حملها جمعوا ودعوا لها القافة [5] ، ثم ألحقوا ولدها الذى يرون فالتاط[6] به ، ودعى ابنه لا يمتنع من ذلك .

ثم تقول السيدة عائشة : فلما بعث محمد ﷺ بالحق هدم نكاح الجاهلية كله إلا نكاح الناس اليوم .

هذا ولو تأملنا نكاح الخطبة والعقد الواقع فى الجاهلية ، نجد أنه كان محفوفا بمزالق أخلاقية كثيرة ، تعقبها القرآن المجيد .

من هذه الانحرافات : زواج المحارم ، كزوجة الأب ، والجمع بين الأختين وزوجة الابن ، والمرأة وابنتها . . . إلخ .

يقول الله تعالى : ﴿ وَلَا تَنكِحُوا مَا نَكَحَ آبَاؤُكُم مِّنَ النِّسَاءِ إِلَّا مَا قَدْ سَلَفَ إِنَّهُ كَانَ فَاحِشَةً وَمَقْتًا وَسَاءَ سَبِيلًا . حُرِّمَتْ عَلَيْكُمْ أُمَّهَاتُكُمْ وَبَنَاتُكُمْ وَأَخَوَاتُكُمْ وَعَمَّاتُكُمْ وَخَالَاتُكُمْ وَبَنَاتُ الْأَخِ وَبَنَاتُ

---

(1) يعين صداقها ويسمى مقداره . (2) الطمث : الحيض .

(3) البضع : هو الفرج ، والمباضعة هى المجامعة ، واستبضعى منه : اطلبى منه المجامعة .

(4) كانوا يفعلون ذلك مع رؤسائهم وأكابرهم ليكتسب أبناؤهم الشرف منهم ، وهو أشبه بما يعرف الآن ببنك الأجنة .. !!

(5) جمع القائف : وهو الذى يلحق الولد بالوالد بالآثار . (6) التصق به .

الأُخْتِ وَأُمَّهَاتُكُمُ اللاَّتِي أَرْضَعْنَكُمْ وَأَخَوَاتُكُم مِّنَ الرَّضَاعَةِ وَأُمَّهَاتُ نِسَائِكُمْ وَرَبَائِبُكُمُ اللاَّتِي فِي حُجُورِكُم مِّن نِّسَائِكُمُ اللاَّتِي دَخَلْتُم بِهِنَّ فَإِن لَّمْ تَكُونُوا دَخَلْتُم بِهِنَّ فَلا جُنَاحَ عَلَيْكُمْ وَحَلائِلُ أَبْنَائِكُمُ الَّذِينَ مِنْ أَصْلابِكُمْ وَأَن تَجْمَعُوا بَيْنَ الأُخْتَيْنِ إِلاَّ مَا قَدْ سَلَفَ إِنَّ اللَّهَ كَانَ غَفُورًا رَّحِيمًا ﴾
[النساء : ٢٢ ، ٢٣]

وجاء في أسباب النزول : أنه لما توفى أبو قيس بن الأسلت ، وكان من صالحى الأنصار ، خطب ابنه قيس امرأته ، فقالت : أنا أعدّك ولداً ، وأنت من صالحى قومك ، ولكنى آتى رسول الله ﷺ .

فقالت : إن أبا قيس توفى ، وإن ابنه قيسًا خطبنى وهو من صالحى قومه ، وإنما كنت أعدّه ولدًا ، فما ترى ؟ !

فقال لها : « ارجعى إلى بيتك » ، فنزلت : ﴿ وَلا تَنكِحُوا مَا نَكَحَ آبَاؤُكُم مِّنَ النِّسَاءِ إِلاَّ مَا قَدْ سَلَفَ ﴾ [النساء : ٢٢] .

بل ذهب بعضهم إلى أبعد من ذلك ، فجعل امرأة الأب من أموال الميراث ، تورث كما يورث المتاع ، فإذا مات الرجل وترك امرأة ولا ولد لها جاء ابنه من غيرها أو وليه فألقى عليها ثوبًا ، فإن شاء تزوجها بالصداق الأول ،وإن شاء زوجها غيره وأخذ صداقها ، وإن شاء منعها من الزواج ، فأنزل الله تعالى: ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لا يَحِلُّ لَكُمْ أَن تَرِثُوا النِّسَاءَ كَرْهًا وَلا تَعْضُلُوهُنَّ لِتَذْهَبُوا بِبَعْضِ مَا آتَيْتُمُوهُنَّ ... ﴾ (١) [النساء : ١٩] .

وأد الأولاد :

شاع بين العرب قتل الأولاد لأكثر من سبب ، فبعضهم فعل ذلك خشية الإملاق ، ولم يفرق بين ذكر وأنثى ، قال تعالى : ﴿ وَلا تَقْتُلُوا أَوْلادَكُمْ خَشْيَةَ إِمْلاقٍ نَّحْنُ نَرْزُقُهُمْ وَإِيَّاكُمْ إِنَّ قَتْلَهُمْ كَانَ خِطْئًا كَبِيرًا ﴾ [الإسراء : ٣١] . فالولد فى اللغة يطلق على الذكر والأنثى .

ونلاحظ أن البيان القرآنى لفت أنظار الناس إلى حقيقة هامة هى : أن الرزق بيد الله يؤتيه من يشاء ، وأن رزق هؤلاء الأولاد مقدم على رزق آبائهم ، فالناس إنما ييسر لهم الرزق بسبب من يعولونهم .

وبعض العرب ـ وهم ربيعة ومضر ـ قتلوا البنات حميّة وخوف العار ، قال تعالى:

---

(١) راجع الروايات وتخريجها فى تفسير ابن كثير ١ / ٤٦٥ ، طبعة دار المعرفة ـ بيروت.

﴿وَإِذَا بُشِّرَ أَحَدُهُم بِالأُنثَىٰ ظَلَّ وَجْهُهُ مُسْوَدًّا وَهُوَ كَظِيمٌ . يَتَوَارَىٰ مِنَ الْقَوْمِ مِن سُوءِ مَا بُشِّرَ بِهِ أَيُمْسِكُهُ عَلَىٰ هُونٍ أَمْ يَدُسُّهُ فِي التُّرَابِ أَلا سَاءَ مَا يَحْكُمُونَ﴾ [النحل : ٥٨ ، ٥٩] .

فالرجل منهم إذا ولد له بنت اختفى من قومه مهمومًا مكروبًا حزينًا ، ماذا يفعل ؟ أيبقى على حياتها ويظل العار يلاحقه ، أم يدفنها فى التراب وهى على قيد الحياة ؟ ! .

ونسى هذا الجاهلى أنه إنما جاء من امرأة ، ويعيش مع امرأة . . !!

ومن العرب من قال : إن الملائكة بنات الله وهم خزاعة وكنانة ، فوأدوا بناتهم ليلحقوا ببنات الله .

قال سبحانه : ﴿ وَيَجْعَلُونَ لِلَّهِ الْبَنَاتِ سُبْحَانَهُ وَلَهُم مَّا يَشْتَهُونَ ﴾ [النحل : ٥٧] .

وقال جل شأنه : ﴿ وَجَعَلُوا الْمَلائِكَةَ الَّذِينَ هُمْ عِبَادُ الرَّحْمَٰنِ إِنَاثًا أَشَهِدُوا خَلْقَهُمْ سَتُكْتَبُ شَهَادَتُهُمْ وَيُسْأَلُونَ ﴾ [الزخرف : ١٩] .

ومنشأ الضلال فى هذه الفرية أنهم نسبوا الولد لله تعالى ، وجعلوا هذا الولد من جنس ما يبرؤون منه وينفرون ، ثم كان هذا الحكم سفاهة من غير علم ولا دليل .

ويرى الإمام الرازى : أن العرب إنما أطلقوا لفظ البنات ؛ لأن الملائكة لما كانوا مستترين عن العيون أشبهوا النساء فى الاستتار ، فأطلقوا عليهم لفظ البنات .

وأيضًا قرص الشمس يجرى مجرى المستتر عن العيون بسبب ضوئه الباهر ونوره القاهر ، فأطلقوا عليه لفظ التأنيث (١) .

ويبدو أن هناك اتجاهًا آخر فى قتل الأولاد تمثل فى النذر للأصنام وتقديمهم قرابين لها . . ويحمل على ذلك ما ورد من قصة عبد المطلب حين لقى من قريش ما لقى عند حفر زمزم ، فنذر لئن ولد له عشرة نفر ثم بلغوا معه حتى يمنعوه ليذبحن أحدهم عند الكعبة .

وسبب ذلك (٢) : أن عبد المطلب أمر فى المنام بحفر زمزم ، ووُصف له موضعها ، وكانت جُرْهُم قد غلبت آل إسماعيل على مكة ، وملكوها زمانًا طويلا ، ثم أفسدوا فى حرم الله .

فوقع بينهم وبين خزاعة حرب ، وخزاعة من قبائل اليمن ، من أهل سبأ ، ولم يدخل بينهم بنو إسماعيل ، فغلبتهم خزاعة ، ونفتْ جرهما من مكة .

---

(١) التفسير الكبير ٢٠ / ٥٤ .

(٢) مختصر سيرة الرسول للشيخ محمد بن عبد الوهاب ، ص ٦٠ ، طبعة جامعة الإمام محمد بن سعود.

وكانت جرهم قد دفنت الحجر الأسود والمقام وبئر زمزم ، وظهر بعد ذلك قصى بن كلاب على مكة ، ورجع إليه ميراث قريش ، فأنزل بعضهم داخل مكة - وهم قريش الأباطح - وبعضهم خارجها - وهم قريش الظواهر - فبقيت زمزم مدفونة إلى عصر عبد المطلب .

فرأى فى المنام موضعها فقام يحفر ، فوجد فيها سيوفًا مدفونة وحليًا ، وغزالا من ذهب مشنفا بالدر ، فعلقه عبد المطلب على الكعبة ،وليس مع عبد المطلب إلا ولده الحارث ، فنازعته قريش ، وقالوا له : أشركنا . فقال : ما أنا بفاعل ، هذا أمر خُصصت به ، فاجعلوا بينى وبينكم من شئتم أحاكمكم إليه .

فنذر حينئذ عبد المطلب لئن آتاه اللّه عشرة أولاد وبلغوا أن يمنعوه ، لينحرن أحدهم عند الكعبة .

فلما تموا عشرة ، وعرف أنهم يمنعونه أخبرهم بنذره فأطاعوه ، وكتب كل واحد منهم اسمه فى قدح وأعطوها القداح قيم هبل - وكان الذى يجيل القداح .

فخرج القدح على عبد اللّه ، وأخذ عبد المطلب المدية ليذبحه ، فقامت إليه قريش من ناديها فمنعوه ، فقال : كيف أصنع بنذرى ؟ فأشاروا عليه أن ينحر مكانه عشراً من الإبل ، فأقرع بين عبد اللّه وبينها فوقعت القرعة عليه ، فاغتم عبد المطلب ، ثم لم يزل يزيد عشراً عشراً ، ولا تقع القرعة إلا عليه ، إلى أن بلغ مائة ، فوقعت القرعة على الإبل ، فنحرت عنه ، فجرت سنّة .

وروى عن النبى ﷺ أنه قال : « أنا ابن الذبيحين »[1] ، يعنى إسماعيل عليه السلام وأباه عبد اللّه .

ثم ترك عبد المطلب الإبل لا يردّ عنها إنسانًا ولا سبعًا . فجرت الدية فى قريش والعرب مائة من الإبل وأقرّها رسول اللّه ﷺ .

ومهما يكن من أمر فإن القرآن المجيد قد ذكر هذا الواقع الأليم للعرب وسفههم على قتل أولادهم .

وروى سعيد بن جبير عن ابن عباس رضي الله عنهما أنه قال : إذا سرّك أن تعلم جهل العرب

---

(1) قال محققو الكتاب : الحديث رواه الحاكم فى مستدركه بلفظ : « أن أعرابيًا قال للنبى ﷺ : يا بن الذبيحين » . كما فى كشف الخفا عن المقاصد .

وأقول : وروى ابن جرير حديثًا غريبًا فيه أن رجلا جاء إلى النبى ﷺ وقال : يا رسول اللّه ، عد على مما أفاء اللّه عليك يا بن الذبيحين ، فضحك رسول اللّه ﷺ . راجع هذا والآثار الواردة فى الذبيح الأول فى تفسير ابن كثير ٦ / ٣١ .

فاقرأ ما فوق الثلاثين والمائة من سورة الأنعام إلى قوله : ﴿ قَدْ خَسِرَ الَّذِينَ قَتَلُوا أَوْلَادَهُمْ سَفَهًا بِغَيْرِ عِلْمٍ وَحَرَّمُوا مَا رَزَقَهُمُ اللَّهُ افْتِرَاءً عَلَى اللَّهِ قَدْ ضَلُّوا وَمَا كَانُوا مُهْتَدِينَ ﴾ .

وساق الإمام القرطبي في تفسيره هذه الواقعة [1] :

روى أن رجلا من أصحاب النبي ﷺ كان لا يزال مغتماً بين يدى رسول الله ﷺ .

فقال له رسول الله : « مالك تكون محزونًا ؟ ! » .

فقال : يا رسول الله ، إنى أذنبت ذنبًا فى الجاهلية فأخاف ألا يغفره الله لى وإن أسلمت . . !!

فقال له : « أخبرنى عن ذنبك » .

فقال : يا رسول الله ، إنى كنت من الذين يقتلون بناتهم ، فولدت لى بنت فتشفعت إلىّ امرأتى أن أتركها ، فتركتها حتى كبرت وأدركت ، وصارت من أجمل النساء ، فخطبوها ، فدخلتنى الحميَّة ولم يحتمل قلبى أن أزوجها أو أتركها فى البيت بغير زوج .

فقلت للمرأة: إنى أريد أن أذهب إلى قبيلة كذا وكذا فى زيارة أقربائى فابعثيها معى .

فسُرَّت بذلك ، وزينتها بالثياب والحلى ، وأخذت علىّ المواثيق بألا أخونها .

فذهبت بها إلى رأس بئر ، فنظرت فى البئر ، ففطنت الجارية أنى أريد أن ألقيها فى البئر ، فالتزمتنى وجعلت تبكى وتقول : يا أبت ، أى شىء تريد أن تفعل بى ؟! فرحمتها ، ثم نظرت فى البئر فدخلت علىّ الحمية ،ثم التزمتنى وجعلت تقول : يا أبت ، لا تضيع أمانة أمى . . !! فجعلت مرة أنظر فى البئر ، ومرة أنظر إليها فأرحمها ، حتى غلبنى الشيطان ، فأخذتها وألقيتها فى البئر منكوسة ، وهى تنادى فى البئر : يا أبت ، قتلتنى . . !!

فمكثت هناك حتى انقطع صوتها فرجعت .

فبكى رسول الله ﷺ وأصحابه وقال : « لو أمرت أن أعاقب أحدا بما فعل فى الجاهلية لعاقبتك .. !! » .

أكل الميتة والخبائث :

شرب الدماء وأكل الميتة والخبائث صور جاهلية، مارسها الوثنيون فى كل زمان ومكان.

وابتدع العرب فى جاهليتهم نظما للتحليل والتحريم شرعها لهم الشيطان ، فاخترع

---

(١) الجامع لأحكام القرآن ٧ / ٩٧ .

لهم البحيرة والسائبة والوصيلة والحامي .

ولهم تفسيرات في هذه الألفاظ متعددة إلا أنها تلتقى فى النهاية على أنها إبل أو غنم تترك للأصنام لا يملكها أحد ، ولا يحمل عليها ، ولا تحلب إلا لضيف أو عابر سبيل ، ولا يجز وبرها ولا تمنع من حمى حتى تموت ، وحينئذ يأكلونها . . **ومما قيل فى تفسير هذه الألفاظ :**

- البحيـرة : هى الناقة إذا نتجت خمسة أبطن ، فإن كان ذكر ذبحوه فأكله الرجال دون النساء ، وإن كان أنثى جدعوا آذانها فقالوا هذه بحيرة .
- السائبـة : هى الناقة أو الشاة يسيبها الرجل من ماله إذا قضيت حاجته ، أو عوفى من مرض أو كثر ماله .
- الوصيلة : هى الناقة البكر تلد فى أول حملها أنثى ثم تثنى بأنثى ، فيقولون : وصلت أنثيين ليس بينهما ذكر ، فكانوا يجدعونها لأصنامهم .
- الحامـى : هو فحل الإبل إذا لقح عشرا أو ولد لولده ، قالوا حمى ظهره فتركوه للأصنام .

قال تعالى : ﴿ **مَا جَعَلَ اللَّهُ مِنْ بَحِيرَةٍ وَلَا سَائِبَةٍ وَلَا وَصِيلَةٍ وَلَا حَامٍ وَلَكِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا يَفْتَرُونَ عَلَى اللَّهِ الْكَذِبَ وَأَكْثَرُهُمْ لَا يَعْقِلُونَ** ﴾ [الأنعام : ١٠٣] .

وللعرب فى مآكل هذه الأنعام نظم غريبة ، فإذا ولدت الشاة ذكرا ذبحوه للرجال دون النساء ، وإن كانت أنثى تركت فلم تذبح ، وإن كانت ميتة فهم فيه شركاء .

وإذا مات من البحيرة شىء أكله الرجال والنساء .

وابتدع لهم الشيطان قسمة فى الحرث ، قال عنها ابن عباس ﷺ: **إن أعداء الله كانوا إذا حرثوا حرثا ، أو كانت لهم ثمرة جعلوا لله منه جزءا وللوثن جزءا .**

فما كان من حرث أو ثمرة أو شىء من نصيب الأوثان حفظوه وأحصوه ، وإن سقط منه شىء فيما سمى للصمد (الله) ردوه إلى ما جعلوه للوثن .

وإن سبقهم الماء الذى جعلوه للوثن ، فسقى شيئا جعلوه لله ـ جعلوا ذلك للوثن .

وإن سقط شىء من الحرث والثمرة الذى جعلوه لله فاختلط بالذى جعلوه للوثن قالوا : هذا فقير ، ولم يردوه إلى ما جعلوه لله ، وإن سبقهم الماء الذى جعلوه لله فسقى ما سمى للوثن تركوه للوثن .

قال تعالى : ﴿ **وَجَعَلُوا لِلَّهِ مِمَّا ذَرَأَ مِنَ الْحَرْثِ وَالْأَنْعَامِ نَصِيبًا فَقَالُوا هَذَا لِلَّهِ بِزَعْمِهِمْ وَهَذَا**

لِشُرَكَائِنَا فَمَا كَانَ لِشُرَكَائِهِمْ فَلَا يَصِلُ إِلَى اللَّهِ وَمَا كَانَ لِلَّهِ فَهُوَ يَصِلُ إِلَى شُرَكَائِهِمْ سَاءَ مَا يَحْكُمُونَ ﴾ (1) [الأنعام : ١٣٦].

وقد حرم الله على المسلمين كل أنواع الخبائث المادية والمعنوية، وربط الحل كله بالطيبات وجعل اللقمة الحلال تبدأ مع اسم الله وتنتهي بحمد الله ، قال تعالى : ﴿حُرِّمَتْ عَلَيْكُمُ الْمَيْتَةُ وَالدَّمُ وَلَحْمُ الْخِنزِيرِ وَمَا أُهِلَّ لِغَيْرِ اللَّهِ بِهِ وَالْمُنْخَنِقَةُ وَالْمَوْقُوذَةُ وَالْمُتَرَدِّيَةُ وَالنَّطِيحَةُ وَمَا أَكَلَ السَّبُعُ إِلَّا مَا ذَكَّيْتُمْ وَمَا ذُبِحَ عَلَى النُّصُبِ وَأَن تَسْتَقْسِمُوا بِالْأَزْلَامِ ذَٰلِكُمْ فِسْقٌ ﴾ [المائدة : ٣] .

وبين الله سبحانه أن هذا الشرع الحنيف هو شعار المسلمين وديدن حياتهم ، وأن المشركين يسعون جاهدين لتغيير معلم الحياة الإسلامية الطاهرة .

ولكن هيهات ، فالمسلم مستمسك بدينه ، حريص على قيمه ، وفيّ لمبادئه ، فإن نعمة الإسلام هي نعمة النعم ، وجوهر الحياة المثلى .

وعندما يقف الإنسان موقف الاضطرار ، وتبلغ به المخمصة ـ الإشراف على الموت ـ فلا حرج حينئذ أن يدفع عن نفسه الهلاك .

قال تعالى : ﴿ الْيَوْمَ يَئِسَ الَّذِينَ كَفَرُوا مِن دِينِكُمْ فَلَا تَخْشَوْهُمْ وَاخْشَوْنِ الْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتْمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي وَرَضِيتُ لَكُمُ الْإِسْلَامَ دِينًا فَمَنِ اضْطُرَّ فِي مَخْمَصَةٍ غَيْرَ مُتَجَانِفٍ لِإِثْمٍ فَإِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَحِيمٌ ﴾ [المائدة : ٣] .

---

(١) راجع تفسير ابن كثير ٢ / ١٨٠ .

المبحث الثالث

صور معاصرة لعبادة الشيطان

أ ـ فى المجتمعات الغربية

الجنس فى الولايات المتحدة الأمريكية

الانتحار والقتل الجماعى

تغيير خلق الله

السياسة العالمية للدول الكبري

ب ـ فى المجتمعات الإسلامية

صور معاصرة فى المجتمعات الغربية

إن جماعة « عبدة الشيطان » التى اكتشف تنظيمها فى مصر (يناير سنة ١٩٩٧م) ، والتى تنتشر فروعها فى بلاد كثيرة ـ هذه الجماعة لا جديد فيها إلا الاسم ، ولا يثير الجدل حولها إلا عنوانها فقط .

إنها تجميع لصور متفرقة فى صورة واحدة .

إنها تعبر عن واقع الحياة فى المجتمعات الغربية ، فالأمهات العذارى ، والأطفال بلا أسر ، واتخاذ الأخدان على فراش الزوجية ، وحقوق الشواذ ، ونوادى العراة . . . إلخ .

كل ذلك يحميه القانون الجاهلى فى أوربا وأمريكا ، وتشرف عليه مؤسسات تربوية ، وترعاه جمعيات وجامعات ، وتتبناه سياسات الدول الكبرى ، وتطوع له أجهزة الأمم المتحدة .

ومن جهة أخرى ، قام العابثون من العلماء باقتحام مجالات هى أخطر ما تكون على الإنسانية فى أصل بنائها وأساس وجودها ، ومصدر استمرارها وامتدادها ، بما يسمى هندسة الوراثة والاستنساخ .

ونحن نعرض لبعض هذه الصور من أربعة جوانب :

١ ـ الجنس فى الولايات المتحدة الأمريكية .

٢ ـ الانتحار والقتل الجماعى .

٣ ـ تغيير خلق الله .

٤ ـ السياسة العالمية للدول الكبرى .

الأمر الذى يؤكد عمق المأساة التى يعيشها الإنسان المعاصر فى أحضان الشيطان .

الجنس فى الولايات المتحدة الأمريكية

هناك تحقيق أعدته دار البراق للوثائق الإعلامية والتحقيقات الصحفية بالأردن ، ونشرته مجلة الإرشاد اليمنية (١) ، عن الجنس فى الولايات المتحدة الأمريكية .

ومن خلال هذا التحقيق برزت وقائع لا يمكن أن يصدقها عقل راشد ،ولا تكاد تخطر على خيال بشر سوى ، منها :

١ ـ تبدأ الانحرافات فى بعض المدارس من رياض الأطفال والمرحلة الابتدائية ، حيث يختلط الأطفال فى دورات المياة عند قضاء الحاجة ، وقد صممت هذه الدورات بطريقة تجعل الذكور يقضون حاجتهم متقابلين مع الإناث ، حتى يعمق الإحساس بالنظر إلى العورة كخطوة أولى على طريق الثقافة الجنسية بمفهومها الإباحى المدمر .

٢ ـ عمدت بعض الجامعات إلى إنشاء جمعيات للنشاط الجنسى ، خصصت له مكاتب ولجانا تقوم على تنظيمها وتطوير نشاطها جنبا إلى جنب مع جمعيات الأنشطة الرياضية والثقافية ، ومن مهام هذه الجمعيات : أن توزع على الطلاب فى أول العام استمارات يملأ فيها الطالب فراغات محددة تتناول وزنه وطوله ولونه والشخص الذى يرغب فى ممارسة الجنس معه (رجلا أو امرأة ، أسمر أو أبيض . . . إلخ) .

وفى جامعة كولومبيا جمعية تنظم العمل الشذوذى الجنسى وتدعو لأهدافها فى نشرات خاصة ، ولها ندوات وأمسيات تقام لهذا الغرض .

٣ ـ من الأمراض الجنسية الرهيبة المدمرة والمنتشرة فى أمريكا وفى جزء من عالم الحضارة المادية الغربية ؛ أن يقبل عدد من الرجال على ظاهرة التأنيث ليحولهم العلم والطب إلى نساء .

وقد صرح جراح فى كلية الطب بمدينة « جرسى » أنه أجرى عمليات جراحية لعشرة آلاف إنسان حولهم من رجال إلى أشباه نساء ، وقد باتوا يعاملون جنسيا كما تعامل المرأة ولكن بلا حمل ولا ولادة .

٤ ـ فى بعض الولايات الأمريكية وبعض الكنائس ، أجازت باسم القانون أن يعقد القسيس عقد زواج بين شاب وشاب ، أو فتاة وفتاة فى ظل الهيكل المقدس (٢) .

---

(١) مجلة الإرشاد اليمنية ، شوال ١٤٠٠ هـ .

(٢) نشرت صحيفة الأهرام (١٧ / ٤ / ١٩٧٥) برقية عربية من مدينة بولدر بولاية كولورادو الأمريكية تقول : إن أمريكيا اسمه « هوارد دالى » قدم إلى دار عموديتها فوق فرَسِه ، وقال لضابط الأحوال المدنية : =

٥ ـ لا يكتفى الأمريكيون أو قطاع منهم بالعرى فى نوادى العراة أو علب الليل ، بل إن العرى يتم فى موسم الربيع فى بعض المدن فى الشوارع العامة ، حيث يخرج الشباب جماعات وأفرادا عرايا يحملون بأيديهم ملابسهم الداخلية ويمارسون الجنس فى الهواء الطلق .

٦ ـ يشارك التليفزيون فى تقديم الجنس ومناقشته وعرض قضايا أصحابه باعتبارهم مواطنين لهم حق الحرية .

ولقد جرى حوار على مرأى ومسمع من الجمهور الأمريكى تناول قضية طفلة فى السابعة من عمرها اغتصبها أبوها ، وكان تعليق الأب والمذيع يقدمه :

إنه أولى بالثمرة التى بذر بذرتها ورباها أن يتذوقها ، وبالوردة التى غرسها أن يشمها..!!

وكان تعليق الأم :

أنا مرتاحة إذ تعلم علاقة زوجها بابنتها ، فذلك خير من أن يكون له علاقة بامرأة مجهولة لا تعرفها . !!

ومما يندى له جبين الإنسان الذى بقى على شىء من إنسانيته أن يقول المذيع على شاشة التليفزيون الأمريكى :

أيها السادة ، من المألوف فى جوانب من مجتمعنا أن يمارس الإنسان الجنس وفق رغبته وهواه ، ومن الأمور التى سمعنا بها وتحدثنا عنها وناقشناها أن يمارس الأب الجنس مع ابنته أحيانا ، ولكن الذى نعرضه الليلة أمر مختلف ، ولكنه يؤدى إلى نفس الغاية والغرض ، أن يحيا الإنسان حياته الجنسية فى حرية تامة ودون عقدة خوف أو ذنب أو خجل . . إننا مع أم تحب أن تمارس الجنس مع ولدها .

ومن أبشع ما عرضه التليفزيون الأمريكى ، حديث أب متحرر أعلن أنه يجد لذة فى اللقاء الجنسى مع ابنته ، لكنه وجد أن مثل ذلك اللقاء مع ولده أكثر لذة وأفضل . !!

٧ ـ من القيم الأمريكية العجيبة التى تسخر من عقل الإنسان ـ أن تهمل مظاهر خيرة من السلوك الكريم ، وأن تراعى مظاهر سقيمة حرصا على آداب السلوك فى « الإتيكيت » الأمريكى الممزق .

فمثلا : لا يجوز للمواطن الأمريكى عرفا أن يخرج من منزله ولو فى حديقة بيته

---

* (أريد أن أعقد قرانى عليها) وإزاء دهشة الموظف المختص قال هوارد غاضبا : (إذا كان قانون البلدية لا يحظر الزواج بين شخصية من نفس الجنس ، فما الذى يمنع راعى بقر عجوز مثلى أن يتزوج فرسته المحبوبة؟) .

بملابس النوم « البيجاما » ، ولكن يجوز له أن يلبس الملابس القصيرة التى لا تكاد تستر العورة ، وأن يتوجه بهذه الملابس حيث يشاء في السوق والأماكن العامة . . !!

كذلك من الممكن للأمريكى فى بعض الولايات وبعض الأماكن العامة ؛ أن يسير وقد علق حذاءه فى عنقه ، ولكن لا يجوز له بحال أن يمشى حافيا ، ليس مراعاة للصحة وإنما محافظة على العرف .

أيضا يستطيع الشاب فى أمريكا وأوروبا عامة أن يقبل صديقته على قارعة الطريق ، بل يستطيع أن يمارس معها الجنس فى بعض الحدائق ، ومع ذلك فليس من المقبول عرفا أن يمر شاب وقد وضع يده فى يد صديق له أثناء السير ، ولو لفترة قصيرة فى أحد الشوارع العامة.

* * *

وإذا انتقلنا إلى تقرير آخر نجد أن هول المفاجآت الجنسية ما يزال يتبدى فقد نشرت مجلة المسلمون [1] ، أن عددا من جماعات التنصير فى أمريكا وهولندا وإيطاليا والسويد والنرويج وألمانيا الغربية والدانمرك وأسبانيا وانجلترا ، أعلنوا رفضهم للوصايا العشر التى جاءت فى شريعة موسى والتى تعد أهم دعائم المسيحية .

وأعلنت مجموعة « شبيبة المسيح » التى تتخذ من « جنيف » مقرا لها ولإذاعتها الموجهة باللغات المختلفة ؛ أنها ليست مكلفة بمراعاة الوصايا العشر ، وأن هذه الوصايا بالنسبة لها قد انتهت إلى الأبد .

وقالت مجموعة « أبناء الرب » : إن الخوف من الزنا لم يعد له مكان وأن عمليتى اللواط والسحاق مباحتان في شريعتهم ما دامت تتم فى جو من الحب .

وقال « ديفيد جاكس » المتحدث باسم الجماعة : إن تقديم العون الجنسى واجب على كل فرد ، وأن أفراد المجموعة من النساء مطالبات بتقديم كل ما يمكن أن يغرى أعضاء جددا ، وأنه لابد من تغطية نفقات المجموعة من بيع الجنس إذا اضطر الأمر !! .

---

(١) مجلة المسلمون ، السبت ٩ من المحرم ١٤٠٧ هـ .

الانتحار والقتل الجماعى

الانتحار جريمة عرفها البشر من قديم ، وتقع كل يوم لأفراد يئسوا من الحياة ، وانتابهم القلق ، وعميت عليهم الحكمة ، وغشيهم الخوف من كل جانب ، وضاقت عليهم الأرض بما رحبت . ومع التشبع المادى الرخيص فى عالم اليوم والفوضى الأخلاقية انتشر الانتحار وبلغت نسبته فى المجتمعات الأوربية رقماً مفزعا .

والأدهى والأمر ، أن تصبح هذه الجريمة حقاً من حقوق الإنسان يتنادى به أهل الفكر والسياسة .

ولنقرأ هذه الرسالة الصحفية التى كتبها (وليام بوردرز) في صحيفة النيويورك تايمز ، ونشرتها صحيفة الأهرام فى ٢٠ / ٣ / ١٩٨٠ م .

أعلنت إحدى المؤسسات البريطانية فى لندن ؛ أنها تنوى نشر كتاب خاص للراغبين فى الانتحار .

ومن المعروف أن هذه المؤسسة التى يطلق عليها اسم « الخروج من الحياة » تدعو لما تسميه « **بالحق فى الموت بصورة مشرفة** » .

ومن المنتظر أن يحتوى الكتاب على أساليب عديدة للانتحار ، تعد سهلة نسبياً حتى بالنسبة للمعوقين الراغبين فى الانتحار،وسوف يحتوى الكتاب أيضا على قائمة بأسماء العقاقير الطبية ، ورأى الطب فيما يكفى من كل من هذه العقاقير لإنهاء حياة الراغبين فى الانتحار .

وبالرغم من أن الكتاب لن ينشر قبل شهر أو شهرين ، إلا أن الطلب على الكتاب فى تزايد مستمر ، كما أن المؤسسة الناشرة تتسلم يوميا مئات من الخطابات الاستفسارية ، والتى يكتب معظمها الراغبون فى الانتحار .

وصرح السكرتير العام للمؤسسة ؛ بأن الطرق التى تدعو لها المؤسسة فى الانتحار أصبحت مقبولة إلى درجة كبيرة ، كما أنها مفضلة عن وسائل الانتحار التقليدية ، والتى عادة ما تسبب ميتة بطيئة مؤلمة .

وأضاف السكرتير العام أن أعضاء المؤسسة يكافحون من أجل حق إنسانى ، وهو الحق فى الموت .. !!

وكتاب الانتحار التى تنوى مؤسسة « الخروج من الحياة » نشره سيكتبه مجموعة من

رجال القانون والطب ، وآخرون من أعضاء اللجنة التنفيذية للمؤسسة ، وسيكتب مقدمته الكاتب الإنجليزى « آرثر كويسثلر » وهو عضو بارز فى المؤسسة .

وفى اجتماع أخير للمؤسسة ، اقترح « آرثر كويسثلر » فكرة توزيع الكتاب على أعضاء المؤسسة فقط ، والذين مضى على عضويتهم أكثر من ثلاثة شهور ، وذلك لضمان عدم فرض سبل الانتحار المذكورة فى الكتاب على الذين لا يستوعبون اتجاهات المؤسسة . ا هـ .

وهكذا يفكر عبدة الشيطان .. !!

لقد تحولت جريمة الانتحار إلى حق إنسانى ، ثم صارت قربى إلى الله ، وقامت حركات دينية يهودية تتبنى الانتحار والقتل الجماعى وتدعو إليه ، وهى تنتشر وتنطلق من الولايات المتحدة الأمريكية .

ولنقرأ هذا المقال بعنوان : « الأصوليون » (1) :

فى الولايات المتحدة محاكمة وتحقيق ، أما المحاكمة فإنها تتناول المتهم بارتكاب جريمة تفجير المبنى الحكومى فى مدينة « أوكلاهوما » يوم التاسع عشر من أبريل سنة ١٩٩٥ م ، والتى ذهب ضحيتها ١٦٨ قتيلا ، ٤٠٠ جريح .

وأما التحقيق : فإنه يتناول قضية انتحار ٣٨ شخصا من أتباع الحركة الدينية المعروفة باسم « بوابة السماء » فى بلدة « سانتافى » بولاية كاليفورنيا .

الجريمة الجماعية والانتحار الجماعى يتكاملان فى رسم صورة واقعية عن مدى انتشار الأصولية الدينية فى المجتمع الأمريكى .

كانت جريمة « أوكلاهوما » انتقاما من الدولة الأمريكية نفسها بسبب قيام قوات مكتب التحقيق الفدرالى فى ١٩ أبريل سنة ١٩٩٣ م بعملية عسكرية ضد حركة دينية تعرف باسم: « الداودية » أدت إلي مقتل رئيس الحركة وعدد من أتباعه .

وإذا كانت جريمة « أوكلاهوما » سجلت رقما قياسيا فى عدد الضحايا بالنسبة لأى جريمة أخرى في الولايات المتحدة ، فإن عدد ضحايا حركة « بوابة السماء » ليس كبيرا بالمقارنة مع عدد ضحايا حركة دينية مماثلة ارتكبوا عملية الانتحار الجماعى فى ضاحية مدينة « جونساون » فى غيانا عام ١٩٧٨ م .

يتعرف المجتمع الأمريكى والمجتمعات العالمية الأخرى على الحركات الأصولية الدينية ، هذه من خلال جرائم الانتحار الجماعى ، أو القتل الجماعى . ولكن هذه المجتمعات نادرا ما تردد أمام الدور الذى تقوم به الحركات الأصولية خارج الولايات المتحدة ولاسيما فى الشرق الأوسط .

---

(١) للأستاذ / محمد السماك ، في صحيفة الأهرام بتاريخ ٩ / ٤ / ١٩٩٧ .

فى عام ١٩٨٩ م ترجمت كتابا عن الإنجليزية للكاتبة الأمريكية « غريس هالسل » ، عنوانه : « النبوءة والسياسة » .

كانت « هالسل » تكتب الخطاب السياسى للرئيس الأمريكى الأسبق « لندون جونسون » ، وهى من عائلة إنجيلية عريقة .

أكدت « هالسل » في كتابها الموثق : أن ثمة حركة دينية كبيرة واسعة النفوذ في الأوساط السياسية والإعلامية والمالية الأمريكية تعرف باسم « الكنيسة التدبيرية » ، وأن هذه الحركة تؤمن بتأويلات للتوراة ، تضع سيناريو لنهاية العالم .

يقول هذا السيناريو :

إنه لا بد من العودة الثانية للمسيح ، وأن لهذه العودة شروطا يجب توافرها ، أولها : قيام دولة صهيون ، مما يعنى عودة اليهود إلى الأرض المقدسة ، ومن ثم تعرضهم لعدوان من أعداء الله - أى من المسلمين - مما يتسبب فى وقوع أكبر حرب فى تاريخ الإنسانية على الإطلاق ، فى سهل « مجيدو » الذى يمتد من القدس حتى عكا .

ويرمز إلى هذه المعركة باسم « هرمجيدون » التى ورد ذكرها فى التوارة ، ويقول السيناريو :

إنه بعد أن يفنى البشر والحجر ، ترتفع قلة من المؤمنين بالعودة الثانية للمسيح ، منهم ١٤٤ يهوديا إلى السماء ، حيث ينتظرهم المسيح ليعود بهم إلى الأرض ، ويحكمها مدة ألف عام بالعدل والقسطاس . من أجل تحقيق هذه النبوءة تدعم هذه الحركة الأصولية إسرائيل ؛ لتمكينها من استيعاب أكبر عدد من اليهود ، ولإعادة بناء هيكل سليمان على أنقاض المسجد الأقصى ، ولتعميق العداء مع العرب والمسلمين ، مما يقرب موعد معركة « هرمجيدون » أملا فى اكتمال عناصر العودة الثانية للمسيح .

تدير هذه الحركة عدة محطات إذاعية وتليفزيونية كبيرة فى الولايات المتحدة ، من بينها تليفزيون الشرق الأوسط الذى يبث من المنطقة المحتلة فى جنوب لبنان ، كما تستقطب شخصيات أمريكية ، من أبرزها الرئيس الأسبق « رونالد ريجان » .

ولعل أخطر ما ورد فى كتاب السيدة « هالسل » أنه فى كل مرة كان مجلس الأمن القومى الأمريكى يعقد اجتماعا لبحث أزمة الشرق الأوسط ، كان ممثل من هذه الحركة الدينية يحضر الاجتماع للمشاركة فى صياغة القرار،بحيث يأتى متوافقا مع النبوءات الدينية.

وكم من مرة أعرب فيها الرئيس « ريجان » عن تمنياته فى أن يكرمه الله ليضغط على الزر النووى تحقيقا لمشيئة الله بنشوب « هرمجيدون » ، ومن ثم بعودة المسيح .

أفراد حركة « بوابة السماء » لا يختلفون فى إيمانهم كثيرا عن الرئيس ريجان ، كانوا

ينتظرون طائرا متخفيا وراء المذنب « هيل بوب » لينقلهم إلى السماء ، حيث ينتظرهم المسيح ليعود بهم ثانية إلى الأرض بعد تدميرها في معركة « هرمجيدون » على النحو الذى برز فى الشريط المسجل لرئيس الحركة على الإنترنت .

إنهم أصل الأصولية . أ هـ .

وأقول : إن اليهود هم شياطين الإنس ، وهم أكثر شرا من إبليس ، وهم الذين يسعون إلى تدمير العالم ، وما الانتحار والقتل الجماعى لشباب العالم ، إلا صورة مصغرة لما يضمره اليهود لبنى الإنسان . ولنا هنا تنبيهان :

الأول :

إن الانتحار جريمة بكل المقاييس الراشدة ، وليس من حق الإنسان أن يتمنى الموت مهما اشتدت حوله الأمور ، فإن الأمل فى الله أكبر .

وفى صحيح الحديث أن الرسول ﷺ قال : « لا يتمنين أحدكم الموت لضر أصابه ، فإن كان لابد فاعلا فليقل : اللهم أحينى ما كانت الحياة خيرا لى ، وتوفنى إن كانت الوفاة خيرا لى » .

وإذا كان مجرد تمنى الموت خطيئة فى نظر الإسلام فما بالك بمن يقدم على الانتحار ؟!

إن الإنسان لا يملك نفسه ، فالأنفس كلها لله ، وقتل النفس كقتل الغير سواء بسواء، **وفى صحيح الحديث يقول الرسول ﷺ : « من تردى من جبل فقتل نفسه فهو فى نار جهنم يتردى فيها خالدا مخلدا فيها أبدا ، ومن تحسَّى سما فقتل نفسه فسمه فى يده يتحساه فى نار جهنم خالدا مخلدا فيها أبدا ، ومن قتل نفسه بحديدة فحديدته فى يده يجأ بها فى بطنه فى نار جهنم خالدا مخلدا فيها أبدا » .**

والانتحار يختلف اختلافا بينا عن طلب الشهادة ، وحب الفداء ، والتضحية فى سبيل الحق والقيم ، ونصرة الأوطان ، والدفاع عن الحرمات .

فإن الشهداء محل التكريم الإلهى والإنسانى، ومقام الشهادة مقام عال فى الفردوس والجنان .

قال تعالى : ﴿ **إِنَّ اللَّهَ اشْتَرَىٰ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ أَنفُسَهُمْ وَأَمْوَالَهُم بِأَنَّ لَهُمُ الْجَنَّةَ يُقَاتِلُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ فَيَقْتُلُونَ وَيُقْتَلُونَ وَعْدًا عَلَيْهِ حَقًّا فِي التَّوْرَاةِ وَالْإِنجِيلِ وَالْقُرْآنِ وَمَنْ أَوْفَىٰ بِعَهْدِهِ مِنَ اللَّهِ فَاسْتَبْشِرُوا بِبَيْعِكُمُ الَّذِي بَايَعْتُم بِهِ وَذَٰلِكَ هُوَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ** ﴾ [التوبة : ١١١] .

التنبيه الثانى :

لا نعرف الانتحار والقتل الجماعى قربى إلى الله تعالى إلا فى روايات يهودية قديمة ،

عندما عبد بنو إسرائيل العجل على عهد موسى ﷺ ، وقد نقل بعض المفسّرين هذه الروايات وجعلوها تفسيرا لقوله تعالى : ﴿ وَإِذْ قَالَ مُوسَىٰ لِقَوْمِهِ يَا قَوْمِ إِنَّكُمْ ظَلَمْتُمْ أَنفُسَكُم بِاتِّخَاذِكُمُ الْعِجْلَ فَتُوبُوا إِلَىٰ بَارِئِكُمْ فَاقْتُلُوا أَنفُسَكُمْ ذَٰلِكُمْ خَيْرٌ لَّكُمْ عِندَ بَارِئِكُمْ فَتَابَ عَلَيْكُمْ إِنَّهُ هُوَ التَّوَّابُ الرَّحِيمُ ﴾ [البقرة : ٥٤] .

وزعموا أن القوم تطاعنوا بالخناجر والسيوف فى ظلمة شديدة ،حتى لا يدرى القاتل من المقتول، وانجلى الموقف عن سبعين ألف قتيل وكان ذلك توبة للحى وشهادة للمقتول (١) .

ولكن التحقيق أن الآية الكريمة أبعد ما تكون عن معنى الانتحار والقتل الجماعى لأمور منها :

١ ـ لا تكون التوبة إلى الله انتحارا ؛ لأن التوبة فيها معنى الإصلاح واستقامة النفس بعدها ، وهى تتنافى مع الانتحار الذى هو تخلص من الحياة وقطع لها وأجمع المفسرون على أن قتل الإنسان لنفسه لم يكن أمرا إلهيا ، ولم يقع فى بنى إسرائيل . وقال القرطبى :

وأجمعوا على أنه لم يؤمر كل واحد من عبدة العجل بأن يقتل نفسه (٢) . وقال الجمل فى حاشيته :

فليس المراد به ظاهره من الأمر بقتل الإنسان لنفسه ؛ لأن هذا لم يقل به أحد ، ولم يفعله أحد من بنى إسرائيل (٣) .

٢ ـ إن عشوائية القتل والتطاعن بالخناجر والسيوف فى ظلمة شديدة أمر تأباه حكمة الله ويتردد فى قبوله العقل الراشد ، فقد جاءت الرسل جميعا بمسؤولية كل إنسان عن عمله، وأنه لا تتعدى العقوبة لغير الفاعل ، وقد سجل القرآن المجيد ذلك ، وأنه مدون فى شريعة إبراهيم وموسى فقال : ﴿ أَمْ لَمْ يُنَبَّأْ بِمَا فِي صُحُفِ مُوسَىٰ . وَإِبْرَاهِيمَ الَّذِي وَفَّىٰ . أَلَّا تَزِرُ وَازِرَةٌ وِزْرَ أُخْرَىٰ . وَأَن لَّيْسَ لِلْإِنسَانِ إِلَّا مَا سَعَىٰ . وَأَنَّ سَعْيَهُ سَوْفَ يُرَىٰ . ثُمَّ يُجْزَاهُ الْجَزَاءَ الْأَوْفَىٰ ﴾ [النجم : ٣٦ ـ ٤١]

٣ ـ إن عدد القتلى الذى ذكرته الروايات وهو سبعون ألفا أمر غريب ، لا تساعد عليه طبيعة العمران البشرى فإن بين موسى ويعقوب أربعة أجيال على مدى مائتين وعشرين سنة، والذين قدموا مع يعقوب إلى مصر على عهد يوسف ، كانوا سبعين نفسًا فيبعد أن يتناسل هذا النفر القليل إلى هذا العدد الكبير .

---

(١) راجع الروايات فى تفسير ابن كثير ١ / ٦٣ .

(٢) الجامع لأحكام القرآن لأبى عبد الله محمد الأنصارى القرطبى ١ / ٤٠١ .

(٣) الفتوحات الإلهية بتوضيح تفسير الجلالين لسليمان بن عمر العجيلى الشهير بالجمل ١ / ٥٣ .

« وقد حقق العلامة ابن خلدون هذه المسألة المتعلقة بعدد بنى إسرائيل حين خرجوا من مصر تحقيقا فريداً ، وأكد أنه لا يكفى فيها مجرد النقل غثا أو سمينا ، ما لم تعرض الروايات على أصولها ، وتقس بأشباهها ، وتسير بمعيار الحكمة ، ويوقف عندها على طبائع الكائنات ، ويحكم فيها النظر والبصيرة » (١) .

٤ ـ الأقوال المعتمدة في تفسير الآية الكريمة تدور حول ما يلي :

أ ـ ليقتل البرىء منكم المذنب ، أى ليقتل الذين لم يعبدوا العجل العابدين للعجل عقوبة لهم وتكفيرا لخطاياهم ، ويجب على المجرمين تسليم أنفسهم لتنفيذ حكم الله فيهم .

وعبّر بقوله : ﴿ **فَاقْتُلُوٓاْ أَنفُسَكُمْ** ﴾ [البقرة : ٥٤] ؛ **لأن المؤمنين كنفس واحدة كقوله تعالى :** ﴿ **فَسَلِّمُوا عَلَىٰٓ أَنفُسِكُم** ﴾ [النور : ٦١] **أى ليسلّم بعضكم على بعض .**

ب ـ تذليل النفس بالطاعة وكفها عن الشهوة ، وقد نقله القرطبى فى تفسيره وعلق عليه قائلا : والصحيح أنه قتل على الحقيقة هنا (٢) .

كما نقله الألوسى فى تفسيره وعلق عليه قائلا :

ولولا أن الروايات على خلاف ذلك لقلت به تفسيرا .

ثم نقل عن قتادة أنه قرأ : « فأقيلوا أنفسكم » والمعنى أن أنفسكم قد تورطت فى عذاب الله تعالى بهذا الفعل العظيم الذى تعاطيتموه ، وقد هلكت فأقيلوها بالتوبة ، والتزام الطاعة ، وأزيلوا آثار تلك المعاصى بإظهار الطاعات (٣) .

---

(١) مقدمة ابن خلدون ص ٨ ، ط مكتبة دار الباز بمكة المكرمة .

(٢) الجامع لأحكام القرآن ١ / ٤٠١ ، ط مكتبة الرياض الحديثة .

(٣) روح المعانى ١ / ٢٦٠ ، ط دار إحياء التراث العربى ـ بيروت .

تغيير خلق الله

أعلن إبليس اللعين منذ اللحظة الأولى لتمرده على الأمر الإلهى بالسجود لآدم ﷺ أنه سيسعى إلى تغيير خلق الله وقال :

﴿ وَلَآمُرَنَّهُمْ فَلَيُغَيِّرُنَّ خَلْقَ اللَّهِ ﴾ [النساء : ١١٩] .

وقد فسر العلماء هذا التهديد الشيطانى بأحد أمرين :

١ ـ المراد تغيير الدين الصحيح ، فالشيطان يسعى جاهدا إلى الانحراف بالإنسان عن الدين الحق ، ويرمى به فى متاهات الضلال العقدى ، كما جاء فى الحديث المتفق عليه : «كل مولود يولد على الفطرة فأبواه يهودانه أو ينصرانه أو يمجسانه ... » .

وكما فى الحديث القدسى : « قال الله عز وجل : إنى خلقت عبادى حنفاء فجاءتهم الشياطين فاجتالتهم عن دينهم وحرمت عليهم ما أحللت لهم » .

ولهذا جاء الأمر الإلهى بالتمسك بالدين الصحيح والإقامة عليه وعدم التحول عنه ، فقال تعالى : ﴿ فَأَقِمْ وَجْهَكَ لِلدِّينِ حَنِيفًا فِطْرَتَ اللَّهِ الَّتِي فَطَرَ النَّاسَ عَلَيْهَا لَا تَبْدِيلَ لِخَلْقِ اللَّهِ ذَلِكَ الدِّينُ الْقَيِّمُ وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ ﴾ [الروم : ٣٠] .

وقوله : ﴿ لَا تَبْدِيلَ لِخَلْقِ اللَّهِ ﴾ خبر بمعنى النهى ، أى : لا تبدلوا دين الله .

٢ ـ المراد بتغيير خلق الله : النهى عن الوشم والوصل والنمص وتفليج الأسنان ، كما فى الحديث الصحيح : « لعن الله الواشمات والمستوشمات ، والنامصات والمتنمصات والمتفلجات للحسن المغيرات خلق الله » .

وفى رواية : « لعن الله الواصلة والمستوصلة » .

وإنما كان الوشم مجلبة للعنة الله ؛ لأنه استبقاء لنجاسة الدم على ظاهر الجلد .

وكان النمص والوصل والتفليج [1] كذلك لما فيه من الخداع للخاطب والإيقاع به حين يظن أن المرأة هكذا خلقت ، فإذا بها تفتعل ذلك لتخدع به الرجال ، ففى الحديث المتفق عليه ، عن أسماء ﷺ أن امرأة سألت النبى ﷺ فقالت : يارسول الله ، إن ابنتى أصابتها الحصبة فتمرّق [2] شعرها ، وإنى زوجتها أفأصل فيه ؟ فقال : « لعن الله الواصلة

---

(١) النمص : إزالة شعر الحاجب ، والوصل . زيادة شعر الرأس طولا أو كثرة بشعر غيره ، والتفليج : برد الأسنان وتحسينها .

(٢) تمرّق : سقط .

والموصولة » .

ونحن نرى أن إزالة الشعر في حد ذاته ليس تغييراً لخلق الله ، فالمسلم يحلق رأسه كله أو يقصر شعره في الحج ، وليس ذلك تغييراً لخلق الله .

ومن الفطرة التي نبهنا إليها رسول الله ﷺ : حلق العانة ونتف الإبط ، وتقليم الأظفار ، ولا يعد ذلك تغييراً لخلق الله .

واليوم مع التقدم العلمي الرهيب ، أصبح مفهوم تغيير خلق الله أكثر وضوحا فبنك الأجنة ، والأرحام المؤجرة ، وهندسة الوراثة ، والاستنساخ صورة معاصرة لتغيير خلق الله ، والتدخل الشيطاني في مسيرة الإنسان ، وتدمير كل معاني القيم الأخلاقية التي قامت عليها البشرية ، من الأسرة والأبوة والأمومة والرحم .

فمع بنك الأجنة يمكن للمرأة أن تحمل من رجل مات وأصبح عظاما نخرة ، ومع الأرحام المؤجرة يمكن للمرأة أن تلد غير بنيها ، وأن تحمل غير جنينها . ومع هندسة الوراثة[1] تتدخل يد الإنسان لتصنيع البشر وفق مقاييس ومواصفات معينة .

ومع الاستنساخ [2] يمكن التوالد بغير لقاء الرجل بالمرأة ، ومن غير معاشرة جنسية ، وبلا حاجة إلى منى يمنى .

وهكذا يكون الشيطان قد وصل إلى أعز أمانيه وأغلى أهدافه ، وهو تدمير الإنسان ، والقضاء على مقومات حياته الأساسية من الأسرة والزوجية والأبوة والأمومة والرحم .

إن هذه الصور العلمية الرهيبة لنا عليها ملاحظات :

الأولى :

إن هذه الصور ليست تحديا لقدرة الله تعالى، ولا خروجا على سلطانه وقهره، ولا خلقا من العدم، فإن النواة أو الخلية أو المنى أو البويضة كلها من صنع الله الذى أتقن كل شيء .

وإن النواة التي تحمل البرنامج الوراثي الكامل للكائن الحي لم يخلقها بشر ، ولا يدرى العلماء كيف صنعت .

وإن الجينات بما تحمله من صفات لم يصنعها غير الله .

---

(١) الهندسة الوراثية : هي نقل جين من كائن إلى كائن آخر ليكسبه صفة جديدة لم تكن به من قبل .

(٢) الاستنساخ : نزع النواة من خلية أي كائن ووضعها في بويضة منزوعة النواة فتتكون بذلك الخلية الجنينية الأولى من غير تكاثر جنسي ومن غير التقاء الحيوان المنوي بالبويضة ، ثم تنقسم الخلية عدّة انقسامات حتى يتكون الجنين ، ثم يتطور في مراحل نموه المختلفة حتى تحين لحظة الميلاد . فالخلية الحية بها العديد من النواة التي تحمل البرنامج الوراثي الكامل للكائن الحي .

وإن البويضة التى نزعوا نواتها هى من إبداع الله وحده .

وصدق الله حيث يقول : ﴿ يَا أَيُّهَا النَّاسُ ضُرِبَ مَثَلٌ فَاسْتَمِعُوا لَهُ إِنَّ الَّذِينَ تَدْعُونَ مِن دُونِ اللَّهِ لَن يَخْلُقُوا ذُبَابًا وَلَوِ اجْتَمَعُوا لَهُ وَإِن يَسْلُبْهُمُ الذُّبَابُ شَيْئًا لَّا يَسْتَنقِذُوهُ مِنْهُ ضَعُفَ الطَّالِبُ وَالْمَطْلُوبُ . مَا قَدَرُوا اللَّهَ حَقَّ قَدْرِهِ إِنَّ اللَّهَ لَقَوِيٌّ عَزِيزٌ ﴾ [الحج : ٧٣ ، ٧٤].

فالإنسان إنما يستخدم سنة الله فى خلقه ويكتشف نواميسه الكونية ، ويوفر جوا أو مناخا ملائما لجريان السنة الإلهية ، والله وحده هو الذى يتولى التخليق والتطوير للنواة أو الجين أو البويضة أو الخلية .

ولا يدعى بشر أنه يفعل شيئا بعد أن يغلق أنبوبة الاختبار ، أو بعد أن يضع البويضة فى الرحم .

ويبقى التحدى القرآنى قائما :

﴿ أَفَرَأَيْتُم مَّا تُمْنُونَ . أَأَنتُمْ تَخْلُقُونَهُ أَمْ نَحْنُ الْخَالِقُونَ ﴾ [الواقعة : ٥٨ ، ٥٩] .

ولقد جرت سنة الله فى خلق الإنسان على ضروب أربعة هى :

* خلق بلا أب ولا أم : مثل آدم .
* خلق بأب دون أم : مثل حواء .
* خلق بأم دون أب : مثل عيسى ابن مريم .
* خلق بأب وأم معا : مثل باقى البشر .

وما من مظهر من مظاهر القدرة الإلهية إلا ويمكن أن يكون للإنسان فيه نصيب ، بقدر ما يتلاءم مع الطاقة البشرية ولعل لفظ : ﴿ الْخَالِقِينَ ﴾ بصيغة الجمع يؤكد هذا المعنى فى قوله تعالى : ﴿ فَتَبَارَكَ اللَّهُ أَحْسَنُ الْخَالِقِينَ ﴾ .

وإذا كنا نحن البشر قد صنعنا الطائرات الأسرع من الصوت ، والصواريخ عابرة القارات ، وسفن الفضاء ؛ فإن ذلك لا يتعارض مع معجزات الأنبياء كتسخير الريح لسليمان عليه السلام والإسراء لسيدنا محمد ﷺ ، فإن المعجزات أفعال إلهية خارقة للأسباب ، وما يفعله البشر قائم على أسباب وتحكمه نواميس ، وله نظم يعلمها من يعلمها ويجهلها مَنْ يجهلها .

الملاحظة الثانية :

إن العلم سلاح ذو حدين ، والعاقل هو من يحسن استخدام الحد النافع .

وكم عانت البشرية وضحت وخسرت فى سبيل إنتاج وتخزين السلاح النووى ، ثم

هى اليوم تدمره بنفسها ، ويقوم مخترعوه بتفتيته ، والتخلص منه .

ولو كان هناك عقل شريف ، وتفكير سوى ؛ لانتفعت البشرية بالذرة والطاقة النووية فى الأغراض السليمة وكفى .

إن ثمن صاروخ واحد عابر للقارات يمكننا أن :

*** نزرع به مائتى مليون شجرة .**

*** ونروى به اثنين ونصف مليون فدان .**

*** ونطعم خمسين مليون طفل جائع .**

*** ونشترى مليون طن من الأسمدة .**

*** ونبنى خمسة وستين ألف مركز للرعاية الصحية .**

*** ونبنى أربعين وثلاثمائة ألف مدرسة (١) .**

إن موضوع الهندسة الوراثية والاستنساخ ، يصلح لتحسين السلالات فى الأنعام ، وإنتاج سلالات جديدة من النبات ، فتزداد بذلك الطاقة الاقتصادية للبشرية وتتغلب على كثير من مشكلات الفقر والقحط والجدب والتصحر .

أما استخدام هذه البحوث لإنتاج سلالات بشرية فينقل الإنسان إلى مرتبة حيوانات التجارب ، ويسلبه أعز ما يملك من مشاعر وقيم ، ويجعله يعيش معيشة حيوان الغاب بلا أسرة تأويه، وبلا حب يؤلف بينه ، وبلا رحمة تجمعه بآخرين ، ومن غير نسب ولا ذرية.

وقد حرص الإسلام منذ اللحظة الأولى على أن يكون العلم باسم الله ، ولخدمة الإنسان فقال الله تعالى : ﴿ **اقْرَأْ بِاسْمِ رَبِّكَ الَّذِي خَلَقَ . خَلَقَ الإِنسَانَ مِنْ عَلَقٍ . اقْرَأْ وَرَبُّكَ الأَكْرَمُ . الَّذِي عَلَّمَ بِالْقَلَمِ . عَلَّمَ الإِنسَانَ مَا لَمْ يَعْلَمْ** ﴾ [العلق : ١ ـ ٥] .

وإن الانحرافات التى تحدث باسم العلم فى الجنس البشرى ، لن تختلف كثيرا عن الانحرافات الأخلاقية التى مارسها الإنسان ضد الفطرة ، فإذا كان الطفل قد يأتى إلى الحياة عن طريق الزنا مخالفا المنهج الشرعى فى الزواج ، فلا فرق بين ذلك وبين مجىء الطفل باسم العلم مخالفا السنة السوية فى لقاء الرجل بالمرأة .

فكلاهما عدوان على الفطرة ، وتمرد على الدين ، وإهدار لكرامة الإنسان .

الملاحظة الثالثة :

إن التجارب على الإنسان ليست مأمونة العواقب على قواه العقلية والإدراكية ، فهؤلاء

(١) نقلا عن صحيفة الأهرام فى ١١ / ١١ / ١٩٨١ م على لسان رئيسة وزراء الهند يومئذ « أنديرا غاندى ».

العابثون إنما يقفون عند الجانب المادى من البدن الإنسانى ، وينسون الجانب الروحى فيه .

فالإنسان ليس مجموعة عناصر وتركيبات مادية فقط ، ولكنه قبل ذلك وبعده هو روح من أمر الله ، عبرّ عنها القرآن المجيد بالخلق الآخر فى قوله تعالى : ﴿ وَلَقَدْ خَلَقْنَا الْإِنسَانَ مِن سُلَالَةٍ مِّن طِينٍ . ثُمَّ جَعَلْنَاهُ نُطْفَةً فِي قَرَارٍ مَّكِينٍ . ثُمَّ خَلَقْنَا النُّطْفَةَ عَلَقَةً فَخَلَقْنَا الْعَلَقَةَ مُضْغَةً فَخَلَقْنَا الْمُضْغَةَ عِظَامًا فَكَسَوْنَا الْعِظَامَ لَحْمًا ثُمَّ أَنشَأْنَاهُ خَلْقًا آخَرَ فَتَبَارَكَ اللَّهُ أَحْسَنُ الْخَالِقِينَ ﴾

[المؤمنون : ١٢ ـ ١٤]

وعبرّ عنها رسول الله ﷺ بنفخ الروح فى قوله : « **إن أحدكم يجمع خلقه فى بطن أمه أربعين يوما نطفة ، ثم يكون مثل ذلك علقة ، ثم يكون مثل ذلك مضغة ، ثم يرسل إليه الملك فينفخ فيه الروح** » .

وما زالت الروح سرا غامضا لم يكتشفه أحد .

وإذا كان هؤلاء العابثون قد نجحوا فى استنساخ بعض الأنعام ، فإن هذه الحيوانات لا عقل ولا ذكاء ، ولا تعرف دينا وخلقا ، وليست مدنية بطبعها ، ولا تتصور الحياة الاجتماعية .

فهل سيكون الإنسان القادم من الهندسة الوراثية أو الاستنساخ بشرا سويا ، له فكر وعقل ، أو سيكون مسخا بشريا يستوى فيه مع القطعان الهائمة والأنعام السائمة ؟ !

وإذا كانت المرأة الحامل يخشى عليها وعلى جنينها من تناول الأدوية والعقاقير وإجراء الأشعة، فكيف يكون مصير الحمل ، وهو فى مراحله كلها مبنى على معاندة الطبيعة ومنافرة الفطرة ، ويخضع كل لحظة لأشعة غير معهودة ، وعقاقير غير مألوفة ، وأساليب ملتوية؟!

وفى خبر نشر أخيراً ، أن مستقبل الاستنساخ يواجه خطرا شديدا بسبب ولادة الأغنام المستنسخة كبيرة الحجم بشكل غير طبيعى ، ووفاة معظمها عند الولادة .

وأقر « إيان ويلمات » رئيس فريق الباحثين فى معهد « روزالين » الإسكتلندى ؛ بأن مشكلة ولادة أغنام عملاقة مستمرة على الرغم من محاولات حلها ، خاصة أن إحدى التجارب الحديثة أنتجت مجموعة من الخراف يزيد وزنها مرتين على المعدل الطبيعى .

الأمر الذى قد يؤدى إلى العودة إلى نقطة البداية لإجراء الأبحاث من جديد [١] !!

---

(١) صحيفة الأهرام بتاريخ ٢٨ / ٧ / ١٩٩٧ م .

سياسات الدول الكبرى

أصبح من مألوف السياسة الخارجية للدول الكبرى ، تصدير مأساتهم الأخلاقية وأخلاقهم المأساوية إلى العالم الإسلامى ، فى محاولة مكشوفة لوأد مستقبل هذه الشعوب التى كانت مستعمرات ثم حصلت على استقلالها ، فأرادوا الكيد لهذه الشعوب ، حتى تظل تابعة لهم ، مستوردة منهم ، عالة عليهم ، أسواقا لمصنوعاتهم ، موردا لخاماتهم .

وتعلم الدول الكبرى علم اليقين أن للعالم الإسلامى حضارة صححت مسيرة التاريخ ، وأن المسلمين يحملون أمانة رسالة للعالمين ؛ ولذا تسعى الدول الكبرى جاهدة للحيلولة دون تمكن العالم الإسلامى من دوره فى قيادة البشرية ، وتعمل حثيثا لوأد الصحوة الإسلامية ، وتتبنى خططا للقضاء على كل معلم إسلامى .

وتعقد المؤتمرات هنا وهناك تحت أسماء متعددة وشعارات شتى مثل مؤتمرات الحوار بين الأديان ، ومكافحة الإرهاب، والسكان، والمرأة ، والتنمية ، وحقوق الإنسان . . . إلخ .

فكلها تبتغى هدفا واحدا هو طمس الهوية الذاتية للأمة الإسلامية ، ومحو آثار العقيدة الإسلامية ، وزلزلة ثوابت الأخلاق والقيم بين المسلمين .

ومن غرائب الطبيعة أن الولايات المتحدة الأمريكية انسحبت من هيئة اليونسكو ؛ لقيام هذه الهيئة بإحياء التراث لدول العالم الثالث ، وهو تراث إسلامى فى أغلبه !!

ورفضت الولايات المتحدة دفع حصتها فى ميزانية الأمم المتحدة لسنوات عدة ، خلال تولى د . بطرس غالى للأمانة العامة للمنظمة الدولية ؛ لأن بطرس غالى لم يستجب الاستجابة الكاملة لصوت الولايات المتحدة ، ثم تأتى الولايات المتحدة فى مؤتمر السكان الذى عقد بالقاهرة فى شهر سبتمبر ١٩٩٤ ؛ لتتعهد بتقديم ستمائة مليون دولار لتمويل برنامج تنظيم الأسرة عام ١٩٩٤ م فقط ، وتتعهد مع الدول الصناعية الكبرى لتقديم خمسة مليارات ونصف مليار دولار على مدى ست سنوات حتى بداية القرن الحادى والعشرين . . !!

إن الهدف واضح .. !!

إنهم فى العالم الغربى أصيبوا بالعقم ، وانصرف الناس عندهم عن الأسرة ، رغبوا عن الأمومة ، وعاشوا عيشة الغاب . . والأمة الإسلامية أمة ولود تعرف قدسية الأسرة ، وكرامة الأولاد ، وتحتضن أطفالها بحب وحنان .

لقد قامت سياسة الدول الكبرى على اتجاهين :

١ ـ العمل على تشجيع النمو السكانى داخل المجتمعات الغربية ، سواء بالطرق المشروعة أو غير المشروعة ، ومضاعفة المنح والحوافز والمغريات لمزيد من الإنجاب ، حتى إن الأم المثالية فى أوربا هى التى تنجب أكبر عدد من الأولاد .

٢ ـ العمل على تشجيع تنظيم الأسرة فى دول العالم النامى ، أو الإسلامى بكافة الوسائل ، والحد من الإنجاب رغبة ورهبة .

لقد انعقد فى القاهرة المؤتمر الدولى الثالث للسكان والتنمية في الخامس من شهر سبتمبر سنة ١٩٩٤ م .

وخرجت علينا صحيفة الأهرام فى صبيحة اليوم التالى لافتتاح المؤتمر بعنوانها الرئيسى مكتوبا باللون الأحمر ـ على غير عادتها ـ يقول : العالم يصنع مستقبلا أفضل للبشرية فى القاهرة ، وكان هذا العنوان بغير مدلول ولامضمون ، فلن تعرف البشرية مستقبلا أفضل فى إطار سياسة تنظيم الأسرة بالمفهوم الغربى .

وبعد ذلك بعام انعقد مؤتمر للمرأة في بكين (سبتمبر سنة ١٩٩٥ م) ، وكان امتداد للسياسة الخرقاء للدول الكبرى التى تحاول فرض هيمنتها الفكرية والعسكرية على العالم .

وقد كان للأزهر الشريف فى عهد إمامه الراحل فضيلة الشيخ جاد الحق على جاد الحق، موقف فى غاية القوة والحكمة والعزة ، وتبعته الهيئات الإسلامية العالمية فى رأى جماعى يحدد الحق والباطل ، ويميز الخبيث من الطيب ، ويمحق دعوة الشيطان .

ونسوق هنا :

* بيان مجمع البحوث الإسلامية حول مؤتمر السكان سنة ١٩٩٤ .
* بيان جبهة علماء الأزهر حول مؤتمر السكان سنة ١٩٩٤ .
* بيان الأزهر الشريف حول مؤتمر المرأة فى بكين سنة ١٩٩٥ .
* بيان هيئة كبار العلماء فى السعودية حول مؤتمر السكان سنة ١٩٩٤ .
* بيان المجلس التأسيسى لرابطة العالم الإسلامى حول مؤتمر السكان .

بيان
مجمع البحوث الإسلامية
بشأن المؤتمر الدولى للسكان والتنمية

المؤتمر يستهدف فى أكثر من مادة :

*** تبنى نقيض ما شرع الإسلام لمقومات الأسرة الأساسية .**

*** وحماية العلاقات الجنسية الشاذة بين الجنس الواحد ـ أو الجنسين المختلفين دون علاقة شرعية .**

*** وهدم قيم الأديان السماوية لإشاعة الفاحشة والأمراض الخبيثة .**

توشك الأمم المتحدة أن تعقد فى القاهرة خلال شهر سبتمبر المقبل ١٩٩٤ م ، مؤتمرها الدولى للسكان والتنمية، لتناقش فيه مشروع برنامج عمل أعد من قبل ، تناول فى شق منه :

بعض أحكام الأسرة .

والعلاقات الجنسية بين الأزواج أو غيرهم .

ومدى الحق فى الإجهاض .

وحق المراهقين فى النشاط الجنسى .

والمطلع على هذا المشروع يرى أن ما زخر به من تعبيرات فضفاضة ، وعبارات مطلقة ، ومصطلحات مبتدعة ، يوحى بأنه يرمى إلى تبنى نقيض ما وضعه الإسلام من مقومات أساسية للأسرة ، ويسمح بالإجهاض فى غير الحالات التى تسمح فيها الشريعة الإسلامية بذلك ، ويهدف إلى حماية العلاقات الجنسية التى تثور بين الجنس الواحد أو الجنسين المختلفين عن غير طريق الزواج الشرعى ، بما يهدم القيم التى تحرص عليها الأديان السماوية جمعاء ، ويؤدى إلى أن تشيع الفاحشة ، وتتفشى الأمراض الوبيلة التى تنتقل عن طريق الاتصال الجنسى .

ومجمع البحوث الإسلامية بالأزهر الشريف ، انطلاقا من تحمله تبعة الدعوة إلى سبيل الله بالحكمة والموعظة الحسنة ، ومن دوافع مسؤوليته عن بيان الرأى فيما يحدث من مشكلات اجتماعية أو غيرها ، قد اجتمع فى يوم الخميس ٢٦ من صفر سنة ١٤١٥ هـ

الموافق ٤ من أغسطس سنة ١٩٩٤ م للنظر فى مشروع برنامج العمل المشار إليه ، وخلص إلى تأكيد الحقائق التالية :

أولا : فيما يتصل بالأسرة :

إن الإسلام ليجعل من الأسرة مصدر السكينة والمودة والرحمة (١) ، ويسوى فيها بين المرأة والرجل لتساويهما فى الإنسانية (٢) ، ويعطى لكل منهما الحق فى إنشاء الزواج واستمراره ماوسعهما أن يقيما حدود الله (٣) ، مع أمرهما بالصبر على ماقد يكرهون فيه عسى أن يكرهوا شيئا ويجعل الله فيه خيرا كثيرا (٤) ، ويطالب بتنشئة الناشئة فى الأسرة على الإيمان بالله والثقة فى حكمته وحكمه ؛ ليكون ذلك الإيمان هو سياج الأمن والأمان لكل فرد فى خطواته من طفولته إلى شيخوخته (٥) ، ويجعل الرجل قواما على الأسرة بحكم مسؤوليته عنها ، وتحمله عبء الوفاء بمتطلباتها (٦) ، وحماية النشء ، وحملهم على الصلاة (٧) ، حتى تنهاهم صلاتهم عن الفحشاء والمنكر فلا تنحرف بهم الطريق إلى الهاوية بسبب قلة خبرتهم مع كثرة الإغراءات حولهم ، وتوهج الغرائز فيهم .

ولا ريب أن هذه المقومات تتنافى مع التشكيك فى اعتبار الأسرة هى الوحدة الأساسية للمجتمع كما جاء فى المبدأ رقم ١٠ من المشروع ، كما تتنافى مع مطالبة الوالدين بالتغاضى عن النشاط الجنسى للمراهقين على غير طريق الزواج ، مع الرضاء عن هذا النشاط واعتباره سرا لا يحق لأى منهم التدخل فيه، بما يحمل على إغراء المراهقين بالاندفاع وراء غرائزهم ، ويعرضهم بالتالى للأمراض الفتاكة التى تنتقل عن طريق الاتصال الجنسى (٨) .

ثانيا : فيما يتصل بالعلاقات الجنسية :

لايقر الإسلام أى علاقة جنسية بغير طريق الزواج الشرعى ، الذى يقوم بين الرجل والمرأة . بشروط وأوضاع لا يؤتى ثماره دونها ، ويضع أغلظ العقوبات على الزنا واللواط ، ولو تم بالرضا من الرشيدين ، ويمنع المقدمات التى تفضى إليهما كالخلوة والاختلاط الفاجر ، بل إنه ليأمر كلا من الذكر والأنثى بغض بصره حتى لا ينساق إلى طريق الغواية

---

(١) انظر : الآية رقم ٢١ من سورة الروم .

(٢) انظر : الآية رقم ٧١ من سورة التوبة ، والآيات أرقام ٤٥ ـ ٤٧ من سورة النجم .

(٣) انظر : الآية رقم ٢٢٩ من سورة البقرة . (٤) انظر : الآية رقم ١٩ من سورة النساء .

(٥) انظر : توصيات المؤتمر الثامن لمجمع البحوث الإسلامية .

(٦) انظر : الآية رقم ٣٤ من سورة النساء .

(٧) انظر : الآية رقم ١٣٢ من سورة طه ، والآية رقم ٢٩ من سورة العنكبوت .

(٨) انظر : على سبيل المثال المادة السابعة من مشروع برنامج عمل المؤتمر فى فقراته الثانية والثالثة ، والثالثة والأربعين والخامسة والأربعين .

والضلال [1] ،وما ذلك كله إلا لأن الإسلام يحرص ـ كما حرصت سائر الأديان السماوية ـ على استقرار المجتمع على الطريق القويم الذى يكفل له القوة والمتعة صحيا ونفسيا واجتماعيا .

ومن ثَمّ فإن مما يناقض الإسلام أن يسمح بأشكال اقتران أخرى غير الزواج ، كما تشير إلى ذلك الفقرة الخامسة من المادة الخامسة من المشروع ، أو بتمتع الأفراد غير المتزوجين بحياة جنسية مرضية،كما تشيرّ إلى ذلك المادة السابعة في فقرتها الأولى والثانية ، أو أن تكون خدمات الرعاية التناسلية والجنسية ـ بما فى ذلك من تنظيم الأسرة ـ فى متناول الجميع ، دون اشتراط الزواج ، كما توحى بذلك المادة السابعة فى فقراتها الثالثة والرابعة والسادسة والثامنة .

ثالثا : فيما يتصل بالإجهاض :

إن مجمع البحوث الإسلامية بالأزهر الشريف قد انتهى إلى أن الحمل محرم إسقاطه مطلقا ، (ولو نتج الجنين عن زنى أو اغتصاب) ، إلا إذا كان هناك سبب طبى يقتضى المحافظة على حياة الأم ؛ لأنها أصل وحياتها متحققة ، وقد استقرت حياتها ، ولها حظ مستقل فى الحياة ، كما أن لها وعليها حقوقا ، فلا يضحى بالأم فى سبيل جنين لم تستقل حياته بعد ، بل هو فى الجملة كعضو من أعضائها [2] ، ومن ثم فإن إباحة الإجهاض فى غير الحالة الموضحة آنفا ، يتناقض مع حكم الإسلام ، ولو كان تحت مسمى تنظيم الأسرة أو صحة الإنجاب أو الصحة الجنسية [3] .

ومجمع البحوث الإسلامية إذا كان قد خص بالذكر مايتصل بالمسائل الثلاث السابقة ، فذلك لا يعنى أن المشروع قد برئ من مخالفة الشريعة فيما عداها فقد سرت فيه بعض العبارات التى توحى بأمور غير مقبولة ، من أمثلة المساواة بين الذكر والأنثى فى حقوق الميراث الذى تشير إليه الفقرة السابعة عشرة من المادة الرابعة ، وإلزام الحكومات والمنظمات غير الحكومية برفع الحد الأدنى لسن الزواج مع إتاحة بدائل تغنى عن الزواج المبكر ، كما جاء فى الفقرة الثانية والعشرين من المادة الرابعة بما قد يفهم على أنه دعوة إلى تسهيل الدعارة .

ومن ثم فإن المجمع ليدعو الدول المؤتمرة إلي تعديل صياغة المشروع وضبط عباراته

---

(١) انظر : الآيتين ٣٠ ، ٣١ من سورة النور .

(٢) انظر : قرار مجمع البحوث الإسلامية الصادر فى جلسته رقم (٧) دورة (٣٠) المنعقدة بتاريخ ١٩ شوال ١٤١٤ هـ الموافق ٣١ مارس ١٩٩٤ م .

(٣) انظر : على سبيل المثال ما تشير إليه المادة السابعة فى فقراتها الثالثة والرابعة والسادسة والثامنة .

حتى لا تشتمل ـ ولو فى مفهومها ـ على ما يخالف ما أمرت به الشريعة الإسلامية ـ وحرصت عليه سائر الشرائع السماوية ـ وثبت فى قيم الأمم الإسلامية على مختلف العصور . ويلفت النظر بشكل خاص إلى ماحوته المادة السابعة بفقراتها المتعددة ، وما انساب منها إلى سائر أجزاء المشروع من عبارات واصطلاحات تستلزم التغيير ضبطا للصياغة وإحكاما لها ، ويؤكد المجمع فى هذا الشأن أنه يرفض كل ما يخالف الشريعة الإسلامية ويوصى بالتحفظ عليه حتى لا تُلْزِم الأمة الإسلامية بشىء منه .

شيخ الجامع الأزهر الشريف

رئيس مجمع البحوث الإسلامية

جاد الحق على جاد الحق

بيان
من جبهة علماء الأزهر بشأن
برنامج عمل مؤتمر السكان والتنمية الذى يعقد بالقاهرة

الحمد لله والصلاة والسلام على رسول الله وآله وصحبه ومن تبع هداه .

اطلعت جبهة علماء الأزهر على البيان الذى أصدره « مجمع البحوث الإسلامية بالأزهر الشريف » فى شأن برنامج عمل مؤتمر السكان والتنمية الذى يعقد بالقاهرة فى المدة من ٥ ـ ١٣ سبتمبر ١٩٩٤ ، وعلي البيانات الأخرى لبعض هيئات الأزهر ، وعلى برنامج عمل المؤتمر (فى نسخته باللغة العربية) .

والجبهة أداء منها لواجب الأمانة الدينية والعلمية ، وانطلاقاً من واجباتها التى نصت عليها لائحة تأسيسها منذ إنشائها فى سنة ١٩٤٦ ، والتى منها العمل على إعزاز الإسلام والمسلمين ، وتوجيه القوانين فى مصر الوجهة الإسلامية التى تتفق مع « الإسلام » دينها الرسمى ، ونشر الثقافة الإسلامية بكل الطرق المشروعة ـ تُصْدِرُ هذا البيان بلاغاً منها لكل المسلمين والمتديِّنين .

إن برنامج عمل المؤتمر فى بعض بنوده يمثل تهديدا لمقومات الأمة الإسلامية وقيمها الأصلية الراسخة ، مما يعنى التدرج إلى طمس الهوية الذاتية لكل المجتمعات النامية بما فيها المجتمعات الإسلامية .

وقد رأت الجبهة أن تساند وتؤكد ما صدر عن مجمع البحوث الإسلامية وبعض هيئاته من بيانات ومناشدات .

وفى الوقت نفسه تعتز الجبهة بما صدر عن السيد رئيس الجمهورية من تصريح يؤكد بما لا يدع مجالاً للشك أن مصر لا يمكن أن توافق على ما يخالف الشرائع السماوية ، وهذا التصريح معدود فى حسنات سيادته إن شاء الله .

وتطرح الجبهة عدداً من الأمور والمسائل التى تناولها برنامج المؤتمر :

أولاً : أشار البرنامج إلى الربط بين الزيادة السكانية والفـقر على أنه نتيجة حتمية لها،وفى مواجهة ذلك تبرز جبهة علماء الأزهر ما قررته العقيدة الإسلامية من أنَّ الله ـ عز وجل ـ قدَّرَ الأقوات وضمِن الأرزاق لكل ما يدب فى الأرض ، ولكن واقع ما تعانيه البشرية الآن من فقر وحرمان مرده الأساسى إلى ظلـم الإنسان لأخيـه الإنسان واستغلاله إياه ، فضلاً عن الاستهلاك المفرط فى البلاد الغنية واستنزافها موارد البلاد النامية .

ثانيا : حتم البرنامج ضرورة حماية جميع أشكال الأسرة ، ومنها الأسر التى تنشأ بين رجلين أو بين امرأتين أو بين رجل وامرأة بدون زواج شرعى .

وجبهة علماء الأزهر تعلن أن الإسلام لا يقر مفهوم الأسرة إلا إذا نشأت بين زوجين بعقد شرعى يتوافر فيه التراضى وإقامة حدود الله .

ثالثا : توجه البرنامج إلى رفع ولاية الآباء على أبنائهم وبناتهم من حيث الرقابة الأخلاقية ، والتربية السويَّة ، وحماية المراهقين والمراهقات عند تعاطيهم الجنس ، والاحتفاظ بسلوكياتهم الشخصية فى سريَّة عن آبائهم ، وتنبه الجبهة إلى أن تعاليم الإسلام تجعل الرجل راعياً فى أهله وهو مسؤول عن رعيته ، وليس من الرعاية المسؤولة تركهم للشذوذ الجنسى .

رابعاً : دعا البرنامج إلى ضرورة المساواة بين الذكر والأنثى فى الميراث ، وهذا أمر قد حسمه القرآن الكريم وحكم فيه حين قال : ﴿ لِلذَّكَرِ مِثْلُ حَظِّ الأُنثَيَيْنِ ﴾ [النساء : ١١] ، ولا تنازل عن حكم الله ومفاده - ليعلم القاصى والدانى - التزام الرجل بالنفقة والقوامة ، وهى قوامةُ مسؤولية وليست قوامة تسلط .

خامساً : روَّج المشروع لما أسماه (الإجهاض الآمن) من منطلق صحة التكاثر ، وإننا نؤكد على حكم الإسلام فى تحريم الإجهاض ، واعتباره عدواناً على نفس بشرية تقررت العقوبة الشرعية على اقترافه ، ما لم يكن لضرورةٍ معتبرة شرعاً لإنقاذ الأم الحامل من ضرر مُحَقَّقٍ يقرره الطبيب المعالج وليس أحد غيره .

سادساً : دعا البرنامج إلى رفع الحد الأدنى لسنِّ الزواج ، والإسلام من تعاليمه تشجيع الزواج المشروع عند قيام القدرة والاستطاعة ، وذلك من منطلق حرصه على قيام مجتمع العفَّة والطهارة ، وتصفية ثغرات الفساد والشذوذ الجنسى ، بحيث لا يوجد فى المجتمع المسلم عَزَبٌ ولا عانسٌ ، وذلك فضلاً عن أنَّ تأخيرَ سن الزواج يؤدى إلى زيادة الأطفال اللقطاء ، وانتشار الاقتران غير المشروع الذى يؤدى إلى ضياع حقوقِ النساء والأطفال وتفاقم مشكلاتهم .

وإنَّ جبهة علماء الأزهر وهى تضع هذه الحقائقَ تحت سمع الأمة وبصرها - تأمل من ممثلى الدول الإسلامية الأعضاء فى هذا المؤتمر ضرورة التصدى لكل ما يناهض قيم أمتها الحضارية ، ويمس معتقداتها الدينية ، وتهيب بحكومة مصر - بما لها من دور ريادى - أن تحشد إلى جانبها من يناصرون الفضيلة ومجتمعاتها .

والله ولى التوفيق

رئيس الجبهة

الأستاذ الدكتور / محمد السعدى فرهود

بيان
من مجمع البحوث الإسلامية بالأزهر الشريف
بمناسبة انعقاد المؤتمر الدولى الرابع للمرأة فى بكين

ـ جاد الحق علي جاد الحق
شيخ الأزهر ورئيس مجمع البحوث الإسلامية

تعقد الأمم المتحدة في بكين خلال شهر سبتمبر ، مؤتمرها الدولى الرابع المعنى بالمرأة بهدف إتمام الموافقة على برنامج عمل أعد من قبل ؛ لتلتزم به الحكومات نفسها وقد ضيقت فى المساحات القابلة للمناقشة بدعوى أنه قد تم حسم نقاط الخلاف فى اللجان التى أعدت هذا البرنامج وآخرها اللجنة التاسعة والثلاثون التى انعقدت فى نيويورك فى الفترة من ١٤ شوال إلى ١٤ من ذى القعدة ١٤١٥ هـ / ١٥ مارس إلى ١٤ من أبريل سنة ١٩٩٥ م .

ومؤتمر بكين ـ هذا ـ يعد حلقة من سلسلة حلقات متصلة ، ترمى إلى ابتداع نمط جديد من الحياة يتعارض مع القيم الدينية ، ويحطم الحواجز الأخلاقية والتقاليد الراسخة دون التفات إلى أن هذه القيم والحواجز والتقاليد هى التى حمت شعوبا ودولا كثيرة من التردى فى هوة الفساد الجنسى ، والسقوط فى حومة الاضطراب النفسى، ومستنقع الانحلال الخلقى .

وقد هدف واضعو البرنامج من ورائه إلى تدارك ما فاتهم إقراره فى مؤتمر القاهرة للسكان والتنمية ، الـذى انعقد خـلال الفترة من ٢٨ ربيع الأول إلى ٧ ربيع الآخر ١٤١٥ هـ / ٥ ـ ١٣ من شهر سبتمبر ١٩٩٤ م ، ولذلك فإنهم يلحون على القضايا التى خذلهم فيها المجتمع الدولى ، والتى كانت تدور فى شق منها حول مفهوم الأسرة وبنائها ، وتربية النشء والعلاقات الجنسية والإجهاض .

وقد بلغت الجرأة بواضعى برنامج عمل مؤتمر بكين ، أنهم لم يكتفوا بترديد قضاياهم الخاسرة ، بل تمادوا فى غيهم وزادوا من لجاجتهم ، موغلين فى اللعب بالألفاظ وفي تحريف الكلم عن معناه إلى المعنى الذى يتطلعون إليه، كاستخدام كلمة نوع « Gendera » عشرات المرات بمعان محرفة ترمى إلى إلغاء الفوارق بين الذكورة والأنوثة ، وتحويل الإنسان إلى مسخ لا هو بالذكر ولا هو بالأنثى ، وذلك مع الإيهام ببراءة القصد وسلامة الهدف .

وفى خضم سعيهم إلى تدمير الأسرة ، لم يقنع واضعو البرنامج بالوقوف عند حد التشكيك فى اعتبار أنها الوحدة الأساسية للمجتمع ، ومطالبة الوالدين بالتغاضى عن النشاط

الجنسى للمراهقين عن غير طريق الزواج واعتبار هذا النشاط أمرا شخصيا لا يحق لأى منهما أن يتدخل فيه ، ولكنهم نادوا فى جرأة فاحشة بأن مفهوم الأسرة بالمعنى الذى يقرره الدين ليس إلا مفهوما عقيما ؛ لأنه لا يتقبل العلاقات الجنسية الحرة بين مختلف الأعمار ويشترط أن تكون بين ذكر وأنثى فقط ، وفى داخل الإطار الشرعى ؛ ولأنه لا يمنح الشواذ حقهم فى تكوين أسر من بينهم ، ويتمسك بالأدوار النمطية للأبوة والأمومة والزوجية معتبرين أنها مجرد أدوار اعتادها الناس فيما درجوا عليه ويجب استبعاد الالتزام بها حتى يمكن إقامة مجتمع متحرر من القيود والروابط .

بل إن واضعى هذا البرنامج ساروا فى غيهم إلى أبعد من ذلك ، فطالبوا بالتغيير الجذرى فى العلاقة بين الرجل والمرأة وتقسيم الوظائف بينهما بالسوية بما فى ذلك حق الرجال فى أجازة « والدية » كالنساء ، والمساواة بينهما فى الميراث ، مع تغيير القانون الذى يقف دون ذلك أيا كان مصدره .

ولاريب أن ما انحرف إليه واضعو البرنامج يناقض تماما ما يفرضه الإسلام ويحرص عليه ، من جعل الأسرة هى مصدر السكينة والمودة والرحمة ، وإعدادها لتكون موئلا حصينا وخصبا لتنشئة الأجيال على الإيمان بالله ، والثقة فى حكمه وحكمته ، فى ظل رعاية الدين تحكمها قواعد حاسمة تهذب ما طبعت عليه النفس البشرية من غرائز ، وترعى ما جبلت عليه من ميول غير مصطنعة أو وليدة ظروف طارئة ، مع الحرص على أن تتبوأ المرأة مكانها المرموق ، ويتحمل الرجل عبء القوامة بحكم مسؤوليته عن الأسرة وأفرادها ومتطلباتها .

إن الإسلام لا يعرف ما يسمى بمشكلة المرأة فهى من إفراز حضارة غريبة عنه تقوم على الاستغلال والتفرقة ولا تتوافق مع ما يعلنه من خلق الرجل والمرأة من نفس واحدة مع المساواة بينهما فى الحقوق والواجبات .

أما فى مجال العلاقات الجنسية فإن واضعى البرنامج لم يقنعوا بإطلاق الحرية الجنسية بين المراهقين ، ذكورا وإناثا ولكن نادوا فى ابتذال ممجوج بما مقتضاه أن يكون من حق المرأة والمراهقة أن تحدد الدور الذى تريد أن تتعامل على أساسه ، ذكرا أو أنثى أو دون ذلك ، وأن تمارس علاقتها الجنسية مع من تريد رجلا كان أو امرأة ، وأن على الدول والمؤسسات الحكومية أن تسمح بذلك فالدعارة ليست خطأ إلا فى حالة فرضها على المرأة .

وبذلك يكشف واضعو البرنامج عن تناقضهم الفاضح مع ما جاءت به الأديان السماوية كلها ، بما فى ذلك الإسلام الذى لا يقر أى علاقة جنسية بغير طريق الزواج الشرعى بين رجل وامرأة ، فهو يحرم الزنا واللواط والسحاق وما يفضى إليها من اختلاط فاجر ، ويساوى بين الذكر والأنثى دون خلط بينهما أو افتئات على طبيعة كل منهما .

على أن المتأمل فى البرنامج يدرك فيه اغتيالا أبشع لحقوق الشعوب ، ووصاية منبوذة على الدول ، وذلك يتمثل بشكل أوضح فيما يراه وأضعوه من الحد من اعتبار الدين عائقا فى سبيل المساواة التامة بين الرجل والمرأة ، أو عقبة فى طريق تنفيذ أى شق فى برنامجهم المقيت وفيما يلزمون به الدول من تنظيم برامج تعليمية لحث الشاب على تحمل المسؤولية الجنسية وفقا لمفهومهم هم ، وفيما يفرضونه من تخفيض النفقات العسكرية وتحويل المبالغ التى تنفق على شراء السلاح إلى تنفيذ برنامجهم ، وفيما يكلفون به الدول من تقديم تقارير إلزامية دورية عن الأسلحة التى يحوزونها سواء أكانت ذرية أو كيماوية أو ميكروبية ، مع التهديد بقطع المعونات التى تقدمها الدول الغنية وتوجيهها إلى تنفيذ هذا البرنامج ، وحث صندوق النقد الدولى والبنك الدولى والعديد من المؤسسات المالية الأخرى على القيام بدور فعال فى هذا الشأن ، ومنح المنظمات غير الحكومية بما فى ذلك المنظمات النسائية وذات الميول الشاذة والمنظمات الدولية سلطات خطيرة فى الرقابة ، وفى مراجعة ما قد تبديه الدول من تحفظات على البرنامج تمهيدا لإلغائها أيا كان مصدرها .

ومجمع البحوث الإسلامية بالأزهر الشريف أداء لواجبه قبل المسلمين فى مصر وفى العالم الإسلامى ، ليعلن تمسكه بما فصله فى بيانه الذى أصدره بمناسبة مؤتمر القاهرة للسكان والتنمية ، ويتحفظ ، ويطالب الدول والشعوب بإعلان التحفظ على ما ورد فى برنامج بكين مما يخالف الشريعة الإسلامية وسائر الأديان السماوية ، أو يتناقض مع القيم الاجتماعية والثقافية الراسخة ؛ لاسيما ما يتعلق بشكل ونظام الأسرة فى هذه الأديان . وإطلاق الحرية الجنسية على خلاف ما تأمر به أو إباحة الإجهاض إلا فى حالة الحفاظ على حياة الأم .

إن مجمع البحوث الإسلامية لينبه من جديد إلى خطورة الدعوة التى ينطوى عليها برنامج عمل بكين ، ومناقضته للإسلام ولسائر الأديان السماوية وإلى استهدافه تحطيم القيم الدينية والاجتماعية والخلقية التى عصمت البلاد والعباد من أن تتردى فى حضيض الرذيلة ، أو تتلوث بالأمراض الجنسية الخطيرة التى برزت فى هذا العصر ،ويدعو المجتمع إلى الحفاظ على مقتضى خلق الله للإنسان ذكرا أو أنثى وإلى الإيمان بأن تحدى الأحكام التى أنزلها الله لتحكم العلاقات الإنسانية بالتحريض على هدم القيم يورث الفساد ، وإن إشاعة الفاحشة لا يرجى من ورائها تنمية فكرية أو ثقافية أو اقتصادية أو اجتماعية أو صحية أو غيرها ، وإنما توقع المجتمع الإنسانى عامة والإسلامى خاصة فى المحظورات التى حرمها الله فى القرآن وفيما جاء فى سنة رسول الله ﷺ .

إن مجمع البحوث الإسلامية ليطالب الدول الإسلامية والشعوب التى تبتغى الحياة النقية ، كما تبتغى الفضل والفضيلة ، بأن تستمر على الاحتفاظ بنقائها فى السلوك والأخلاق ، مع الحرص علي كل فضيلة والبعد عن كل رذيلة ، حفاظا على المجتمع

الإنسانى من السقوط فى الهاوية التى تفضى إليها تلك الفواحش ما ظهر منها وما بطن ، وأن تقف بالمرصاد ضد دعاوى التخريب والهدم الذى يسعى إليه واضعو برنامج بكين ، وأن يحولوا بينهم وبين ما يشتهون كما فعل بأشياعهم من قبل .

ومن ثم فإن المجمع ليدعو الدول المؤتمرة فى بكين إلى ما سبق أن دعا إليه دول مؤتمر القاهرة من تعديل صياغة مشروع البرنامج المعروض فى المؤتمر العالمى الرابع المعنى بالمرأة ، والمنتظر عقده فى بكين خلال الشهر القادم وضبط عبارته حتى لا تمتد - ولو فى مغزاها - إلى ما يخالف ما أمرت به الشريعة الإسلامية ، وحرصت عليه سائر الشرائع السماوية الأخرى ، وثبت فى قيم الأمم الإسلامية على مختلف العصور ، ويؤكد المجمع فى هذا الشأن أنه يرفض كل ما يخالف الشريعة الإسلامية ويوصى بالتحفظ عليه حتى لا تلزم الأمة الإسلامية بشىء منه .

﴿ وَاللَّهُ غَالِبٌ عَلَىٰ أَمْرِهِ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ ﴾ [يوسف : ٢١] .

بيـــان
لهيئة كبار العلماء بالمملكة العربية السعودية
حول مؤتمر السكان

أصدر مجلس هيئة كبار العلماء ـ في ختام دورته الاستثنائية التي عقدها في مدينة الطائف في الفترة من ٢٠ / ٣ / ١٤١٥ هـ للنظر في برنامج عمل المؤتمر الدولي للسكان والتنمية ـ القرار التالي نصه :

قرار رقم ١٧٩ / بتاريخ ٢٣ / ٣ / ١٤١٥ هـ .

الحمـد لله وحــده والصلاة والسلام على رسول الله وعلى آله وصحبه ومن اهتدى بهداه . . أما بعد .

فإن مجلس هيئة كبار العلماء في دورته الاستثنائية الثامنة المنعقدة في مدينة الطائف في الفترة من ٢٠ / ٣ / ١٤١٥ هـ إلى ٢٣ / ٣ / ١٤١٥ هـ ، نظر في برنامج عمل المؤتمر الدولي للسكان والتنمية المرفق بمذكرة الأمانة العامة للأمم المتحدة ، الذي سيعقد في القاهرة بتاريخ ٢٩ / ٣ / ١٤١٥ سبتمبر عام ١٩٩٤ م ، واطلع على ما صدر حول البرنامج من :

١ ـ الأمانة العامة لرابطة العالم الإسلامي .

٢ ـ الأمانة العامة لمنظمة المؤتمر الإسلامي .

٣ ـ مجمع البحوث الإسلامية بالقاهرة برئاسة سماحة شيخ الأزهر .

٤ ـ المركز الدولي الإسلامي للدراسات والبحوث السكانية بجامعة الأزهر .

كما اطلع على الدراسة المقدمة من اللجنة الدائمة للبحوث العلمية ، والإفتاء في المملكة العربية السعودية إلى المجلس ، وبعد الدراسة وتبادل الآراء اتضح للمجلس ما يلي :

١ ـ تبنى هذا البرنامج ـ في ظاهره ـ المشكلة السكانية القادمة والتي سببها في نظر معدّي البرامج ـ تكاثر السكان لكثرة النسل أمام قلة الموارد ، مما سيؤدي إلى مشكلة الفقر العام حسب زعمهم .

٢ ـ قدم لهذا المؤتمر مسودة وثيقة ـ كبرنامج عمل ـ حسبما وافقت عليه اللجنة التحضيرية للمؤتمر المنعقدة في نيويورك من ٢٠ إلى ٢٢ نيسان ـ أبريل عام ١٩٩٤ ، وهي تتكون من ١٦ فصلا في ١٢١ صفحة بصياغة تعتمد التصريح حينا ، والمفحوم والتلويح

حينا آخر ، بما يفضى إلى الإباحية .

٣ ـ ركزت الوثيقة كعلاج لذلك على الدعوة إلى أمرين :

الأول : الدعوة إلى الحرية والمساواة بين الرجل والمرأة ، والقضاء التام على أى فوارق بينهما حتى فيما قررته الشرائع السماوية واقتضته الفطرة وحتمته طبيعة المرأة وتكوينها ، وعقدت الوثيقة لذلك فصلاً كاملاً هو الفصل الرابع وعنوانه : (المساواة بين الجنسين والإنصاف وتمكين المرأة) .

وفى مواضع أخرى من الوثيقة كما فى الفصل الثانى ـ المبدأ / ٢ ، والمبدأ / ٧ ، والفصل الثالث م / ١٨ م / ٣٠ ، والفصل الحادى عشر ـ الأهداف ـ أباح ، والفصل الخامس عشر المبدأ / ٩ .

الثانى : الدعوة إلى فتح باب العلاقات الجنسية المحرمة شرعاً ، واتخذت له من الوسائل الآتية :

أ ـ السماح بحرية الجنس وأنواع الأقذار الأخرى غير الزواج ، والدعوة إلى الإجراءات الكفيلة بذلك ، فصل ٢ / ٧ ،وفصل ٥ / ٥ ، وفصل ٦ / ١١ ، وفصل ٦ / ١٥ ، وفصل ٧ / ١ ، ٧ / ٢ .

ب ـ التنفير من الزواج المبكر ، ومعاقبة من يتزوج قبل السن القانونية ، وإتاحة بدائل تغنى عن الزواج المبكر من قبيل توفير فرص التعليم والعمل ، كما فى الفصل الرابع مبدأ ٢١ والفصل السادس مبدأ ٧ فقرة (ج) ومبدأ / ١١ .

جـ ـ العمل على نشر وسائل منع الحمل والحد من خصوبة الرجال وتحديد النسل بدعوى تنظيم الأسرة ، والسماح بالإجهاض المأمون ، وإنشاء مستشفيات خاصة له ، وحث الحكومات على ذلك وتكون التكاليف قليلة جداً كما فى الفصل ٣ / ١٣ ، والفصل ٤ / ج ٢٧ والفصل ٧ / ٣١ ، ٧ / ٣٧ ، والفصل ١١ / ٨ ، والفصل ١٢ / ١٤ ، والفصل ١٥ / ١٦ .

د ـ التركيز على التعليم المختلط بين الجنسين وتطويره ؛ لأنه من أعظم أسباب إزالة الفوارق بين الجنسين ، وتعويق الزواج المبكر ، وتنشيط الاتصال الجنسى كما فى الفصل السادس الهدف (ج) ، والفصل الحادى عشر الإجراء ٨ .

هـ ـ التركيز علي تقديم الثقافة الجنسية للجنسين بسن مبكر سن الطفولة والمراهقة ، كما فى الفصل ٤ / ٢٩ ،والفصل ٦ / ٧ / ب ، ٦ / ١٥ ،والفصل ٧ / ٥ ، ٧ / ٦ .

و ـ تسخير الإعلام لتحقيق هذه الأهداف كما فى الفصل ١١ / ١٦ .

٤ ـ نتيجة لهذه الدعوة للإباحية ولعلمهم المسبق بما يترتب على الانفلات الجنسى ، ركزت الوثيقة على الخدمات الصحية التناسلية والجنسية ،وكيفية معالجة ما يقع من الأمراض الجنسية والحمل وبخاصة (الإيدز) .

٥ ـ إهمال التعاليم الدينية والقيم الإنسانية والاعتبارات الأخلاقية ، وعدم إقامة أى وزن لها .

٦ ـ إعلان الإباحية والمحادة لله ولرسوله ﷺ ولدينه وشرعه ، وسلب قوامة الإسلام على العباد ، وسلب ولاية الآباء على الأبناء وقوامة الرجال على النساء ، وإلغاء ما دلت عليه الشريعة الإسلامية من مقومات وضوابط وموانع فى وجه الإباحة والتحلل ،وفوضى الأخلاق والتفسخ من الدين .

منكرات وآثار سيئة :

ومن خلال توافر هذه المعلومات الموثقة من نصوص الوثيقة ومضامينها ، فإنها تؤدى إلى المنكرات والآثار السيئة التالية :

١ ـ نشر الإباحية وتعقيم البشرية وتحويلها إلى قطعان بهيمية مسحوبة الهوية من الفضيلة والخلق والعفة والطهارة التى تؤكد عليها تعاليم الدين .

٢ ـ هتك حرمات الشرع الإسلامى المطهر المعلومة منه بالضرورة ، وهى حرمات الدين والنفس والعرض والنسل ، فالإباحية هتك لحرمة الدين ، والإجهاض بوصفه المذكور فى الوثيقة هتك لحرمة النفس وقتل للأبرياء،والعلاقات الجنسية من غير طريق الزواج الشرعى ، هتك لحرمة العرض والنسل .

٣ ـ جميع ذلك تحد لمشاعر المسلمين ومصادرة لقيمهم ومثلهم الإسلامية .

٤ ـ وجميع ذلك أيضاً هجمة شرسة ومواجهة عنيفة للمجتمع الإسلامى ، لتحويل ما فيه من عفة وطهارة عرض وحفظ نسل ، إلى واقع المجتمعات المصابة بأمراض الشذوذ الجنسى والانفلات فى الأخلاق .

وعليه ، فإن مجلس هيئة كبار العلماء فى المملكة العربية السعودية يقرر بالإجماع ما يلى :

أولاً : إن ما دعت إليه هذه الوثيقة من المبادئ والإجراءات والأهداف الإباحية ، مخالف للإسلام ولجميع الشرائع التى جاء بها الرسل عليهم الصلاة والسلام ، وللفطر السليمة والأخلاق القويمة وكفر وضلال .

ثانياً : لا يجوز شرعاً للمسلمين حضور هذا المؤتمر الذى هذا من مضمون وثيقة عمله ،

ويجب عليهم مقاطعته وعدم الاشتراك فيه .

ثالثاً : يجب على المسلمين حكومات وشعوباً وأفراداً وجماعات الوقوف صفاً واحداً وجه أي دعوة للإباحية وفوضى الأخلاق ونشر الرذيلة .

رابعاً : يجب على كل من ولاه شيئاً من أمور المسلمين أن يتقي الله في نفسه و رعيته، وأن يسوسهم بالشرع الإسلامي المطهر، وأن يسد عنهم أبواب الشر والفساد والفتنة وألا يكون سبباً في جر شيء من ذلك عليهم، وأن يحكِّم شريعة الله في جميع شؤونهم ونذكِّر الجميع بقول الله سبحانه : ﴿ يُرِيدُ اللَّهُ لِيُبَيِّنَ لَكُمْ وَيَهْدِيَكُمْ سُنَنَ الَّذِينَ مِن قَبْلِكُمْ وَيَتُوبَ عَلَيْكُمْ وَاللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ ﴾ [النساء : ٢٦] .

﴿ وَاللَّهُ يُرِيدُ أَن يَتُوبَ عَلَيْكُمْ وَيُرِيدُ الَّذِينَ يَتَّبِعُونَ الشَّهَوَاتِ أَن تَمِيلُوا مَيْلاً عَظِيمًا ﴾ [النساء : ٢٧] ، وبقوله عز وجل : ﴿ أَفَحُكْمَ الْجَاهِلِيَّةِ يَبْغُونَ وَمَنْ أَحْسَنُ مِنَ اللَّهِ حُكْمًا لِّقَوْمٍ يُوقِنُونَ ﴾ [المائدة : ٥٠] . والله المسؤول أن يوفق جميع المسلمين حكومات وشعوباً لما رضاه ، وأن يصلح أحوالهم ، ويمنحهم الفقه في الدين ، ويعيذهم جميعاً من مضلات الفتن ونزغات الشيطان ، إنه على كل شيء قدير . وصلى الله وسلم على عبده ورسوله نبينا محمد وآله وأصحابه وأتباعهم بإحسان إلى يوم الدين .

هيئة كبار العلماء :

الرئيس . . عبد العزيز بن عبد الله بن باز ، صالح بن محمد اللحيدان ، راشد صالح بن خنين ، محمد بن إبراهيم بن جبير ، عبد الله بن سليمان بن منيع (لم يوقع لكونه خارج المملكة) ، عبد الله بن عبد الرحمن الغديان ، د / صالح بن فوزان الفوزان محمد بن صالح العثيمين ، عبد الله بن عبد الرحمن البسام ، حسن بن جعفر العتمي عبد العزيز بن عبد الله بن محمد آل الشيخ ، ناصر بن حمد الراشد ، محمد بن عبد الله السبيل ، د / عبد الله بن محمد بن إبراهيم آل الشيخ ، محمد بن سليمان البدر ، عبد الرحمن بن حمزة المرزوقي ، د / عبد الله بن عبد المحسن التركي ، محمد بن زيد سليمان ، د / بكر بن عبد الله أبو زيد ، د / عبد الوهاب بن إبراهيم أبو سليمان (لم يحضر لكونه خارج المملكة) ، د / صالح بن عبد الرحمن الأطرم .

بيان
من المجلس التأسيسى لرابطة العالم الإسلامى
برئاسة سماحة الشيخ عبد العزيز بن عبد الله بن باز يحذر

عقدت صباح يوم السبت ٢٧ ربيع الأول ١٤١٥هـ الموافق ٣ سبتمبر ١٩٩٤م جلسة طارئة للمجلس التأسيسى لرابطة العالم الإسلامى بدعوة من سماحة الشيخ عبد العزيز بن عبد الله بن باز رئيس المجلس ، والمفتى العام للمملكة ، ورئيس هيئة كبار العلماء .

فقد صدر عن المجلس التأسيسى لرابطة العالم الإسلامى أثر جلسته الطارئة التى عقدها ما يلى :

الحمد لله رب العالمين ، نحمده ـ سبحانه ـ على نعمة الإسلام وشريعته السمحة التى فصلت للناس موازين الحق ، وأوضحت لهم سبل الهدى ، وبينت حدود الباطل ومزالقه ، والصلاة والسلام على عبده ورسوله محمد الذى بلغ الرسالة وأدى الأمانة ونصح الأمة وكان رحمة بشيراً ونذيراً ، فجزاه الله عن أمة الإسلام خير الجزاء وبعد :

فقد عقد المجلس التأسيسى لرابطة العالم الإسلامى جلسته الطارئة السبت ٢٧ / ٣ / ١٤١٥ هـ بدعوة من سماحة الشيخ عبد العزيز بن عبد الله بن باز رئيس المجلس ، والمفتى العام للمملكة العربية السعودية ، ورئيس هيئة كبار العلماء وإدارة البحوث العلمية والإفتاء . وقد انعقد الاجتماع برئاسة سماحته وحضور معالى الأمين العام للرابطة وأصحاب المعالى والسماحة والفضيلة والسعادة الأعضاء ؛ وذلك للتداول فيما تضمنه برنامج عمل مؤتمر السكان والتنمية الذى تعقده الأمم المتحدة فى القاهرة ابتداء من ٢٩ / ٣ / ١٤١٥ هـ الموافق ٥ / ٩ / ١٩٩٤ م . وقد اطلع أعضاء المجلس على ما ورد فى برنامج عمل المؤتمر المقدم من الأمانة العامة للأمم المتحدة ، ووجد أنه يهدف إلى دفع ممثلى العالم لإصدار قرارات تتعلق بحياة المجتمع والأسرة والأفراد بما يتنافى مع الشريعة الإسلامية ، بل يتناقض مع ما جاءت به الرسالات السماوية السابقة ، وما تعارف عليه البشر من القيم الخلقية الفاضلة ، فقد تضمن المشروع فى فصوله لاسيما الفصل السابع منه مجموعة من الأمور الخطيرة التى حرمتها الشرائع السماوية مثل :

١ ـ إباحة الإجهاض إباحة مطلقة .

٢ ـ اعتبار الحرية الجنسية حقًا من حقوق المراهقين والأطفال ووجوب حمايتها بالقوانين.

٣ ـ منح المراهقين الحق فى حياة خاصة لا تنتهك من أحد حتى من الوالدين .

٤ ـ التأكيد على واجب الحكومات والمؤسسات العامة ، حماية حقوق المراهقين والأطفال فى استخدام جميع الوسائل التى تعين على حرية الاتصال الجنسى .

٥ ـ الدعوة إلى تأخير الزواج ودعوة الحكومات والمؤسسات إلى عرقلته بكل الوسائل .

٦ ـ قبول قيام علاقات بين الجنسين خارج نطاق الزوجية المشروعة ، وتسهيلها بوسائل الرعاية الطبية ، ودعوة المجتمعات للتسامح معها .

٧ ـ التسوية بين الرجال والنساء فى الأحكام كلها .

وقد اطلع المجلس التأسيسى على ما صدر حول البرنامج من :

١ ـ الأمانة العامة لرابطة العالم الإسلامى .

٢ ـ الأمانة العامة لمنظمة المؤتمر الإسلامى .

٣ ـ مجمع البحوث الإسلامية بالقاهرة برئاسة سماحة شيخ الأزهر .

٤ ـ المركز الدولى الإسلامى للدراسات والبحوث السكانية بجامعة الأزهر .

٥ ـ قرار هيئة كبار العلماء فى المملكة العربية السعودية .

ويلاحظ المجلس التأسيسى بمزيد الأسف زج الأمانة العامة للأمم المتحدة بنفسها فى مثل هذه القضايا التى تخرج عن ميثاقها ومهمتها كمؤسسة ترعى السلم العالمى ، وتحقق الأمن لجميع الشعوب ، مما يزيد من أسباب القلق والتوتر فى العالم . كما يعرب المجلس عن بالغ قلقه للأساليب التى اتبعتها لتمرير هذه المخططات ومفاجأة العالم بها ، ويدعو المجلس المسلمين لتحرى الدقة والحذر عند مناقشة أمثال هذه القضايا الخطيرة التى تمس الدين والعقيدة والأخلاق ، وأن يستفيدوا من العلماء والخبراء الملتزمين عند بحثها .

ويعرب المجلس عن مخاوفه من أن تصبح هذه الوثيقة ملزمة على الرغم من اعتراضات المعترضين ، وأن تستخدم الأساليب والمناورات المختلفة لتحقيق هذه الغاية . إن البنود الختامية فى البرنامج تركز علي وجوب تقيد الحكومات والمؤسسات بها . ولقد أطلع المجلس على بيانات معالى الأمين العام لرابطة العالم الإسلامى ونداءاته لجميع الدول ، نبذ ما ورد فى مشروع المؤتمر مما يتنافى مع القيم الدينية ومبادئ الأخلاق التى فطر الله الناس عليها .

واطلع المجلس كذلك علي الاستنكارات التى صدرت عن هيئات إسلامية ، حيث أعلنوا موقف الشريعة الإسلامية الغراء فى موضوع الإجهاض وقتل الأجنة وقضايا الاختلاط ، والعلاقات الجنسية ، وتحريم الاتصال الجنسى إلا عن طريق شرع الله المطهر ، وعدم التسوية بين الرجال والنساء .

وإن المجلس التأسيسي لرابطة العالم الإسلامي انطلاقًا من إيمانه بالنصوص القرآنية والأحاديث النبوية ، التي أكدت قدرة الخالق جل جلاله ، وحكمته في خلق الكون والإنسان ، وتقدير رزقه في الحياة ، وتحديد منهجه في إعمار الأرض ، والرفاهة من خيراتها وثرواتها ، ومراعاة العدل والإنصاف فيها حيث قال سبحانه : ﴿ وَمَا مِن دَابَّةٍ فِي الْأَرْضِ إِلَّا عَلَى اللَّهِ رِزْقُهَا ﴾ [هود : ٦] . وقال سبحانه : ﴿ وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالْإِنسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ . مَا أُرِيدُ مِنْهُم مِّن رِّزْقٍ وَمَا أُرِيدُ أَن يُطْعِمُونِ . إِنَّ اللَّهَ هُوَ الرَّزَّاقُ ذُو الْقُوَّةِ الْمَتِينُ ﴾ [الذاريات : ٥٦ ـ ٥٨] .

ويرى المجلس على ضوء هذه التوجيهات الربانية :

(أ) أن الخيرات التي أودعها الله في باطن الأرض ، والتي لا تزال مكنونة في باطنها لم تصلها يد الإنسان ، كما أن الأراضي الواسعة الخصبة لم توجه الجهود إلى الكثير منها بعد ، كل ذلك مما يحض الإسلام على استثماره والاستفادة منه بالحق والعدل والاعتدال ليفي بحاجة سكان المعمورة .

(ب) أن الإسراف في الكماليات وتبذير الأموال في المناسبات وغيرها بقصد التفاخر بالتكاثر ، أمر منهي عنه في الشريعة الإسلامية ، وينبغي بذل ذلك لتوفير الحياة الكريمة لذوي الحاجة ؛ ليتحقق التكافل الإنساني الذي يحث عليه الإسلام لقوله سبحانه : ﴿ يَا بَنِي آدَمَ خُذُوا زِينَتَكُمْ عِندَ كُلِّ مَسْجِدٍ وَكُلُوا وَاشْرَبُوا وَلَا تُسْرِفُوا إِنَّهُ لَا يُحِبُّ الْمُسْرِفِينَ ﴾ [الأعراف: ٣١].

(ج) إن الله سبحانه وتعالى حرم العدوان والظلم وسفك الدماء بغير حق ، وأمر بالالتزام بشريعته وإشاعة السلام العادل بين الناس ، وأن الحروب التي قامت في هذا العصر على غير أساس من الهدى قد أهدرت آلافًا من المليارات التي كان يمكن أن تقام بها مشاريع إغاثية واستثمارية لصالح البشرية ، إلى جانب إهدار الدم الإنساني الذي سفك بغير حق .

قال الله سبحانه وتعالى : ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا ادْخُلُوا فِي السِّلْمِ كَافَّةً وَلَا تَتَّبِعُوا خُطُوَاتِ الشَّيْطَانِ إِنَّهُ لَكُمْ عَدُوٌّ مُّبِينٌ ﴾ [البقرة : ٢٠٨] .

وبعد مداولات أعضاء المجلس حول ذلك تقرر ما يلي :

١ ـ يعلن المجلس التأسيسي لرابطة العالم الإسلامي من مهبط الوحي في مكة المكرمة أن برنامج عمل مؤتمر السكان والتنمية يتضمن مخالفات خطيرة لأحكام الشريعة الإسلامية من الضوابط والأخلاق ما يكفل صيانته ، والمحافظة عليه من الانحلال والفقر .

٢ ـ إن القضايا التي تضمنها برنامج عمل المؤتمر ذات علاقة وثيقة بالقضايا الدينية ، ولا يجوز للأمم المتحدة كهيئة دولية تتمثل فيها دول العالم أن تدخل فيها ، كما لا يجوز أن يفرض على الشعوب ما يخالف شرع الله المطهر .

٣ ـ يطالب المجلس الدول الإسلامية ببيان موقف الإسلام من القضايا المطروحة وذلك كما يلي :

أ ـ بيان أن الإجهاض في نظر الشريعة الإسلامية جريمة ، وأنها تمنعه منعاً باتاً إلا في حالة الخطر على حياة الأم .

ب ـ بيان أن الإسلام اهتم بالأسرة المستقرة المبنية على الزواج الشرعي ، وجعل كلا من الزوجين سكناً للآخر ، وأوجد بينهما المودة والرحمة ؛ لتكون الأسرة المتراحمة هي الخلية الأولى في بناء المجتمع الإنساني .

جـ ـ بيان عناية الإسلام بتربية النشء ، وجعل مهمة هذه التربية منوطة بالوالدين ثم بالدولة والمجتمع في إطار التنسيق بين هذه الجهات في ضوء ما فصلته الشريعة الغراء .

د ـ بيان عناية الإسلام بأدب السلوك وحماية المجتمع من الفواحش والانحرافات ، حتى يظل المجتمع نظيفاً طاهراً .

هـ ـ استنكار ما دعا إليه البرنامج من إطلاق التسوية بين الرجال والنساء .

وأخيراً ، فإن المجلس التأسيسي لرابطة العالم الإسلامي إذ يندد ويشجب بشدة كل ما ورد في برنامج عمل مؤتمر السكان والتنمية من المنكرات السابقة ، يطالب الدول الإسلامية حكومات وشعوباً وكافة المنظمات والهيئات الإسلامية ، برفض ما ورد في هذا البرنامج من كل ما يخالف شرع الله المطهر ، ويدعوها للتعاون بينها لوضع مشاريع بديلة لمعالجة مشاكل السكان والتنمية ، في إطار من الشريعة الغراء والأخلاق الحميدة .

وإذ يؤكد المجلس التزامه الكامل وتمسكه الشديد بهذه المبادئ والقيم والمثل التي شرعها الله ، يسأل الله تبارك وتعالى أن يجنب الأمة الإسلامية الفتن ما ظهر منها وما بطن ، وأن يوفق ولاة أمرها لتحكيم الشريعة والالتزام بها ، وأن يعيذ الجميع من مضلات الفتن وأسباب النقم ، إنه ولي ذلك والقادر عليه . وصلى الله وسلم وبارك على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه والمهتدين بهداه أجمعين . وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين .

صدر بمكة المكرمة في ٢٧ ربيع الأول عام ١٤١٥هـ الموافق ٣ سبتمبر ١٩٩٤م .

صور معاصرة فى مجتمعات المسلمين

إن الصور الشيطانية فى المجتمعــات الغربية بـدأت تسرى فى حياة المسلمين بلا استحياء .

فاحتساء الخمور ، وارتكاب الفواحش ، وانتهاك الأعراض ، صور متكررة يوميا فى النوادى الليلية ، وقاعات الرقص ، وحفلات الموسيقى ، وسهرات الفنادق . . فى كل مكان من أرض المسلمين .

بل ويحميها القانون أحيانا ، وتشرف عليها جهات رسمية .

إن أجهزة الإعلام فى الدول الإسلامية تبث ما يتنافى مع الدين ويتناقض مع الخلق ، ويتنافى مع الشرف .

وإن وزارات التعليم تحتضن فى بنائها التربوى معاهد للرقص والباليه ، والمسرح والتمثيل والغناء .

وإن ما يسمى بوزارات الثقافة ، تحمى الرذيلة ، وتقنن الفاحشة ، وتقدم مواصفات الجريمة الأخلاقية المسموح بها قانونا ، وذلك حين تحدد مقاييس بدلة الرقص ، وموقع الراقصة من الجمهور ، وما يجوز كشفه من عورة المرأة ، وما يشاهد وما لا يشاهد من أفلام الجنس والعنف . . . إلخ .

وقامت أصوات آثمة من فلول الماركسيين ، ودخلاء الفكر تنادى بمصطلحات مبهمة حول التنوير والحضارة والرقى ، وتفسرها تفسيرا غير أخلاقى ، وتربطها بالصور الشيطانية فى أوربا وأمريكا ، وتحاول أن تخدع الأمة فى عقيدتها ودينها .

إن محور الفساد بأجمعه وأساس البلاء كله هو التحاكم إلى قوانين وضعية ، اخترعها المستبدون بديلا عن الوحى المنزل .. وتبنتها القوة الغاشمة ، وحملوا الأمة عليها حملا بمساندة الدول الصليبية والصهيونية الحاقدة .

وما هكذا تكون مجتمعات المسلمين .

قال تعــالى : ﴿ أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ يَزْعُمُونَ أَنَّهُمْ آمَنُوا بِمَا أُنزِلَ إِلَيْكَ وَمَا أُنزِلَ مِن قَبْلِكَ يُرِيدُونَ أَن يَتَحَاكَمُوا إِلَى الطَّاغُوتِ وَقَدْ أُمِرُوا أَن يَكْفُرُوا بِهِ وَيُرِيدُ الشَّيْطَانُ أَن يُضِلَّهُمْ ضَلَالًا بَعِيدًا ﴾ [النساء : ٦٠]

وفي تفسير هذه الآية يقول الإمام ابن كثير :

« هذا إنكار من الله عز وجل على مَنْ يدعى الإيمان بما أنزل الله على رسوله وعلى الأنبياء الأقدمين ، وهو مع ذلك يريد أن يتحاكم فى فصل الخصومات إلى غير كتاب الله وسنة رسوله ، كما ذكر في سبب نزول هذه الآية : أنها فى رجل من الأنصار ، ورجل من اليهود تخاصما ، فجعل اليهودى يقول : بينى وبينك محمد .

وذاك يقول : بينى وبينك كعب بن الأشرف .

وقيل : نزلت فى جماعة من المنافقين ، ممن أظهر الإسلام ، أرادوا أن يتحاكموا إلى حكام الجاهلية .

وقيل غير ذلك .

والآية أعم من ذلك كله ، فإنها ذامة لمن عدل عن الكتاب والسنة ، وتحاكموا إلى ما سواهما من الباطل ، وهو المراد بالطاغوت هنا . . . »[1] .

وأقول : إن مقتضى الإسلام أن يسلم المرء نفسه لله ، وأن يتقبل بقبول حسن شرع الله ، تحقيقا لقوله تعالى : ﴿ فَلَا وَرَبِّكَ لَا يُؤْمِنُونَ حَتَّىٰ يُحَكِّمُوكَ فِيمَا شَجَرَ بَيْنَهُمْ ثُمَّ لَا يَجِدُوا فِي أَنفُسِهِمْ حَرَجًا مِّمَّا قَضَيْتَ وَيُسَلِّمُوا تَسْلِيمًا ﴾ [النساء : ٦٥] .

ولا يحق لمسلم ولا يليق أن يتحاكم إلى قوانين تخالف شرع الله ؛ لأنها لن تكون إلا باطلا ، ولن تكون إلا طغيانا كبيرا وفسادا عريضا ، فالله جل جلاله أعلم بمن خلق ، وهو أرحم الرحمين .

ولكن الشيطان يسعى جاهدا كى ينحرف الإنسان عن الحق وينأى عن الهدى ، ويعيش حيرانًا ، وينتابه القلق من كل جانب .

(١) تفسير القرآن العظيم ١ / ٥٢ .

المبحث الرابع
الجدل الشيطانى

- مفهوم الجدل الشيطانى
- المجادلة الشيطانية الأولى
- مقالات الكافرين
- نماذج معاصرة

مفهوم الجدل الشيطانى

الجدل بين العقلاء يقوم على الحجة ، ويكون بالحسنى ، ويبتغى الوصول إلى الحق .

وما لم يقم على الحجة فهو جدل باطل .

وما لم يكن بالحسنى فهو عنف وقهر .

ومالم يبتغ الحق فهو كبرياء وغرور .

قال الله تعالى : ﴿ ادْعُ إِلَىٰ سَبِيلِ رَبِّكَ بِالْحِكْمَةِ وَالْمَوْعِظَةِ الْحَسَنَةِ وَجَادِلْهُم بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ إِنَّ رَبَّكَ هُوَ أَعْلَمُ بِمَن ضَلَّ عَن سَبِيلِهِ وَهُوَ أَعْلَمُ بِالْمُهْتَدِينَ ﴾ [النحل: ١٢٥] .

والجدل الشيطانى هو جدل يجمع السوءات كلها ، فهو جدل يتمسك بالباطل ، ويريد أن يسود بالقهر .

والجدل الشيطانى نوعان:

الأول :

جدل يقع من المقلدين والأتباع ، وإليه الإشارة بقوله تعالى : ﴿ وَمِنَ النَّاسِ مَن يُجَادِلُ فِي اللَّهِ بِغَيْرِ عِلْمٍ وَيَتَّبِعُ كُلَّ شَيْطَانٍ مَّرِيدٍ . كُتِبَ عَلَيْهِ أَنَّهُ مَن تَوَلَّاهُ فَأَنَّهُ يُضِلُّهُ وَيَهْدِيهِ إِلَىٰ عَذَابِ السَّعِيرِ ﴾ [الحج : ٣ ، ٤]

فالشيطان المريد والمارد : هو المتمكن من التمرد والخروج عن الحق ، وقد يكون إنسيا ، وقد يكون جنيا .

والآية الكريمة فى شأن المقلدين الذين ألغوا عقولهم وانساقوا وراء الزعماء والكبراء ، وآثروا الغواية والضلال ، وانتصروا لاتجاهات الفساد والإفساد اعتمادا على الغلبة والغوغائية ، وإيثاراً للشهوة والرذيلة .

فاتباع الكبراء بلا وعى لا يختلف عن الاستجابة لنزعات إبليس وجنوده . . كلاهما يورد الإنسان المهالك ويدفع به إلى هاوية الضلال .

قال الله تعالى : ﴿ يَوْمَ تُقَلَّبُ وُجُوهُهُمْ فِي النَّارِ يَقُولُونَ يَا لَيْتَنَا أَطَعْنَا اللَّهَ وَأَطَعْنَا الرَّسُولَا . وَقَالُوا رَبَّنَا إِنَّا أَطَعْنَا سَادَتَنَا وَكُبَرَاءَنَا فَأَضَلُّونَا السَّبِيلَا . رَبَّنَا آتِهِمْ ضِعْفَيْنِ مِنَ الْعَذَابِ وَالْعَنْهُمْ لَعْنًا كَبِيرًا ﴾ [الأحزاب : ٦٦ ـ ٦٨] .

النوع الثاني :

جدل يقع من الكبراء والسادة المترفين ، فتعلوا أصواتهم بدلائل مخلوطة ، وأقيسة باطلة ، ومقدمات فاسدة .

وإلى هذا النوع الإشارة بقوله تعالى: ﴿ وَمِنَ النَّاسِ مَن يُجَادِلُ فِي اللَّهِ بِغَيْرِ عِلْمٍ وَلَا هُدًى وَلَا كِتَابٍ مُّنِيرٍ . ثَانِيَ عِطْفِهِ لِيُضِلَّ عَن سَبِيلِ اللَّهِ لَهُ فِي الدُّنْيَا خِزْيٌ وَنُذِيقُهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ عَذَابَ الْحَرِيقِ﴾ [الحج : ٨ ، ٩]

وقد ذكر الإمام الرازى فى تفسير هذه الآية ما يلى :

« المراد بالعلم العلم الضرورى ، وبالهدى الاستدلال والنظر ؛ لأنه يهدى إلى المعرفة، وبالكتاب المنير الوحى .

والمعنى أنه يجادل من غير مقدمة ضرورية ولا نظرية ولا سمعية ، وهو كقوله: ﴿ وَيَعْبُدُونَ مِن دُونِ اللَّهِ مَا لَمْ يُنَزِّلْ بِهِ سُلْطَانًا وَمَا لَيْسَ لَهُم بِهِ عِلْمٌ ﴾ [الحج : ٧١] .

وقوله : ﴿ ائْتُونِي بِكِتَابٍ مِّن قَبْلِ هَٰذَا أَوْ أَثَارَةٍ مِّنْ عِلْمٍ إِن كُنتُمْ صَادِقِينَ ﴾ [الأحقاف : ٤] .

أما قوله : ﴿ ثَانِيَ عِطْفِهِ ﴾ فاعلم أن ثنى العطف عبارة عن الكبر والخيلاء كتصعير الخد ولى الجيد .

وقوله : ﴿ لِيُضِلَّ عَن سَبِيلِ اللَّهِ ﴾ فأما القراءة بضم الياء فدلالة على أن هذا المجادل فعل الجدال وأظهر التكبر ؛ لكى يتبعه غيره فيضله عن طريق الحق ، فجمع بين الضلال والكفر، وإضلال الغير .

وأما القراءة بفتح الياء فالمعنى أنه لما أدى جداله إلى الضلال جعل كأنه غرضه . . . »[1].

---

(١) تفسير الفخر الرازى ٢٣/١٢ ، ط دار الفكر .

المجادلة الشيطانية الأولى

بدأ الجدل الشيطاني بإبليس اللعين عندما تمرد على الأمر الإلهي بالسجود لآدم ـ عليه السلام ـ وقال :

﴿ أَنَا خَيْرٌ مِنْهُ خَلَقْتَنِي مِن نَّارٍ وَخَلَقْتَهُ مِن طِينٍ ﴾ [الأعراف : ١٢] ، [ص : ٧٦] .

﴿ أَأَسْجُدُ لِمَنْ خَلَقْتَ طِينًا ﴾ [الإسراء : ٦١] .

﴿ لَمْ أَكُن لِّأَسْجُدَ لِبَشَرٍ خَلَقْتَهُ مِن صَلْصَالٍ مِّنْ حَمَإٍ مَّسْنُونٍ ﴾ [الحجر : ٣٣].

وقد كتب الإمام الشهرستاني عن هذة المحاورة الأولى ، وسماها أول شبهة وقعت في الخليقة ، وشرح آثارها في تاريخ البشرية فقال : « اعلم أن أول شبهة وقعت في الخليقة : شبهة إبليس لعنه الله ، ومصدرها استبداده بالرأي في مقابلة النص ، واختياره الهوى في معارضة الأمر ، واستكباره بالمادة التي خلق منها وهي النار ، على مادة آدم ـ عليه السلام ـ وهي الطين .

ثم قال الشهرستاني :

من المعلوم الذي لا مرية فيه ؛ أن كل شبهة وقعت لبني آدم فإنما وقعت من إضلال الشيطان الرجيم ووساوسه ، ونشأت من شبهاته .

واستدل الشهرستاني على ذلك فقال:

هذا ومن جادل نوحا ، وهودا ، وصالحا ، وإبراهيم ، ولوطا ، وشعيبا ، وموسى ، وعيسى ، ومحمدا صلوات الله عليهم أجمعين كلهم نسجوا على منوال اللعين الأول في إظهار شبهاته .

وحاصلها يرجع إلى دفع التكليف عن أنفسهم ، وجحد أصحاب الشرائع والتكاليف بأسرهم .

إذ لا فرق بين قولهم : ﴿ أَبَشَرٌ يَهْدُونَنَا ﴾ [التغابن : ٦] ، وبين قوله : ﴿ أَأَسْجُدُ لِمَنْ خَلَقْتَ طِينًا ﴾ [الإسراء: ٦١] .

وعن هذا صار مفصل الخلاف ، ومحز الافتراق ما هو في قوله تعالى :﴿ وَمَا مَنَعَ النَّاسَ أَن يُؤْمِنُوا إِذْ جَاءَهُمُ الْهُدَىٰ إِلَّا أَن قَالُوا أَبَعَثَ اللَّهُ بَشَرًا رَّسُولًا ﴾ [الإسراء : ٩٤] .

فبين أن المانع من الإيمان هو هذا المعنى ، كما قال المتقدم في الأول :﴿ مَا مَنَعَكَ أَلَّا

تَسْجُدَ إِذْ أَمَرْتُكَ قَالَ أَنَا خَيْرٌ مِّنْهُ خَلَقْتَنِي مِن نَّارٍ وَخَلَقْتَهُ مِن طِينٍ ﴾ [الأعراف: ١٢] .

وقال المتأخر من ذريته كما قال المتقدم :

﴿ أَنَا خَيْرٌ مِّنْ هَٰذَا الَّذِي هُوَ مَهِينٌ وَلَا يَكَادُ يُبِينُ ﴾ [الزخرف : ٥٢] .

وكذلك لو تعقبنا أقوال المتقدمين منهم لوجدناها مطابقة لأقوال المتأخرين ﴿ كَذَٰلِكَ قَالَ الَّذِينَ مِن قَبْلِهِم مِّثْلَ قَوْلِهِمْ تَشَابَهَتْ قُلُوبُهُمْ ﴾ [البقرة : ١١٨] .

وأخيرا ، قال الشهرستانى :

فاللعين الأول لما حكّم العقل على من لا يحكم عليه العقل ؛ لزمه أن يجرى حكم الخالق فى الخلق ، أو حكم الخلق فى الخالق ، والأول غلو ، والثانى تقصير .

فثار من الشبهة الأولى : مذاهب الحلولية ، والتناسخية ، والغلاة من الروافض ، حيث غلوا في حق شخص حتى وصفوه وثار من الشبهة الثانية : مذاهب القدرية والجبرية والمجسمة ، حيث قصروا فى وصفه تعالى حتى وصفوه بصفات المخلوقين.

فالمعتزلة مشبهة الأفعال ، والمشبهة حلولية الصفات ، وكل واحد منهم أعور بأحد عينيه شاه . . . » (١) .

---

(١) الملل والنحل ، تحقيق : عبد العزيز محمد الوكيل ص ١٤ ، ط دار الفكر.

مقالات الكافرين

إن كل الأقيسة الفاسدة ، والقضايا الباطلة ، والأفكار الهدامة إنما هي من وحي الشيطان، وإن الدفاع عنها والتشبث بها إنما هو جدل شيطاني ، فهناك وحي إلهي للأنبياء بالحق والخير .

وهناك وحي شيطاني للسفهاء بالباطل والشر .

وروى ابن أبي حاتم عن عكرمة قال :

قدمت على المختار (الثقفي) فأكرمني وأنزلني حتى كاد يتعاهد مبيتي بالليل .

قال : فقال لي : اخرج إلى الناس فحدثهم ، قال فخرجت ، فجاء رجل فقال : ما تقول في الوحي ؟

فقلت : الوحي وحيان، قال الله تعالى : ﴿ بِمَا أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ هَذَا الْقُرْآنَ ﴾ [يوسف : ٣] ، وقال تعالى: ﴿شَيَاطِينَ الإِنسِ وَالْجِنِّ يُوحِي بَعْضُهُمْ إِلَىٰ بَعْضٍ زُخْرُفَ الْقَوْلِ غُرُورًا ﴾ [الأنعام: ١١٢].

قال : فهموا بي أن يأخذوني ، فقلت لهم : مالكم ذاك ، إني مفتيكم وضيفكم ، فتركوني . وعلق ابن كثير على هذه الرواية قائلاً:

« وإنما عرض عكرمة بالمختار ، وهو ابن أبي عبيد - قبحه الله - وكان يزعم أنه يأتيه الوحي ، وقد كانت أخته صفية تحت عبد الله بن عمر ، وكانت من الصالحات ، ولما أخبر عبد الله بن عمر أن المختار يزعم أنه يوحى إليه ، قال: صدق ، قال الله تعالى: ﴿ وَإِنَّ الشَّيَاطِينَ لَيُوحُونَ إِلَىٰ أَوْلِيَائِهِمْ ﴾ [الأنعام : ١٢١] (١) » . هـ .

وقد حكى القرآن المجيد نماذج لهذا الوحي الشيطاني والجدل الخبيث على ألسنة الكافرين المستكبرين في مجالات شتى ، وفي عصور متعددة .. وحصر ذلك يطول ، ونسوق على سبيل المثال :

في مجال الألوهية :

قوله تعالى: ﴿ وَعَجِبُوا أَن جَاءَهُم مُّنذِرٌ مِّنْهُمْ وَقَالَ الْكَافِرُونَ هَذَا سَاحِرٌ كَذَّابٌ . أَجَعَلَ الآلِهَةَ إِلَهًا وَاحِدًا إِنَّ هَذَا لَشَيْءٌ عُجَابٌ . وَانطَلَقَ الْمَلأُ مِنْهُمْ أَنِ امْشُوا وَاصْبِرُوا عَلَىٰ آلِهَتِكُمْ إِنَّ هَذَا لَشَيْءٌ يُرَادُ . مَا سَمِعْنَا بِهَذَا فِي الْمِلَّةِ الآخِرَةِ إِنْ هَذَا إِلاَّ اخْتِلاقٌ . أَؤُنزِلَ عَلَيْهِ الذِّكْرُ مِن بَيْنِنَا ﴾[ص: ٤ - ٨].

(١) راجع تفسير ابن كثير ٢/ ١٦٨ .

لقد قلبوا الحقائق ، وجعلوا التعدد فى الألوهية هو الأصل ، والتوحيد خروجا عن هذا الأصل وشذوذا ، وألغوا عقولهم ورضوا بالتقليد الأعمى لأسلافهم ، ولو كانوا لايعقلون . وكان ذلك استكبارا على الحق ، واغترارا بالعصبية ، واعتزازا بالتراث البالى .

وفى مجال النبوة :

قوله تعالى : ﴿ كَذَّبَتْ ثَمُودُ بِالنُّذُرِ . فَقَالُوا أَبَشَرًا مِّنَّا وَاحِدًا نَّتَّبِعُهُ إِنَّا إِذًا لَّفِي ضَلَالٍ وَسُعُرٍ . أَؤُلْقِيَ الذِّكْرُ عَلَيْهِ مِن بَيْنِنَا بَلْ هُوَ كَذَّابٌ أَشِرٌ ﴾ [القمر: ٢٣ ـ ٢٥].

لقد رفض هؤلاء ومن على شاكلتهم النبوة للبشر ، ومع ذلك رضوا الألوهية للحجر ، فعبدوا أصناما لا تنفع ولا تضر . وفى هذا التعبير القرآنى على ألسنة قوم صالح ، مجموعة إشارات توضح مدى حقدهم على الرسالة والرسول ، وقد ذكرها الإمام الرازى فى تفسيره فقال :

« أحدها : تكروه حيث قالوا : ﴿ أَبَشَرًا ﴾ ولم يقولوا : أنتبع صالحا أو الرجل المدعى للنبوة ، أو غير ذلك من المعرفات ، والتنكير تحقير .

ثانيها : قالوا: ﴿ أَبَشَرًا ﴾ ولم يقولوا : أرجلا ؛ لمزيد من النعيم كأنه لا يعرفه أحد .

ثالثها : قالوا: ﴿ مِّنَّا ﴾ أى تبعنا ، يقول القائل لغيره : أنت منا ، فيتأذى السامع ويقول : لا ، بل أنت منا ولست أنا منكم .

وتحقيقه أن « من » للتبعيض ، والبعض يتبع الكل ، لا الكل يتبع البعض .

رابعها : قالوا : ﴿ وَاحِدًا ﴾ أى هو من الآحاد ، لامن الأكابر المشهورين ، وتحقيق القول فى استعمال الآحاد فى الأصاغرحيث يقال : هو من آحاد الناس ، هوأن من لا يكون مشهودا بحسب ولا نسب إذا حدث عنه من لا يعرفه، فلا يمكن أن يقول عنه : قال فلان ، أو ابن فلان ، فيقول : قال واحد ، وفعل واحد ، فيكون ذلك غاية الخمول ؛ لأن الأرذل لا ينضم إليه أحد فيبقى فى أكثر أوقاته واحدا ، فيقال للأراذل آحاد . . . » (١) .

وفى مجال القضاء والقدر :

قوله تعالى : ﴿ وَقَالَ الَّذِينَ أَشْرَكُوا لَوْ شَاءَ اللَّهُ مَا عَبَدْنَا مِن دُونِهِ مِن شَيْءٍ نَّحْنُ وَلَا آبَاؤُنَا وَلَا حَرَّمْنَا مِن دُونِهِ مِن شَيْءٍ كَذَٰلِكَ فَعَلَ الَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ فَهَلْ عَلَى الرُّسُلِ إِلَّا الْبَلَاغُ الْمُبِينُ ﴾ [النحل: ٣٥].

من الأمور الشائكة التى تكلم الناس فيها قديما وحديثا ، مسألة القضاء والقدر، وقد حاول المشركون على عهد رسول الله ﷺ الاحتجاج بالقدر ، ونزلت آيات متعددة فى هذا الشأن.

---

(١) تفسير الفخر الرازى ٢٩/ ٥٠ .

وجاء فى تفسير ابن كثير حول الآية الكريمة ما يلى :

« يخبر تعالى عن اغترار المشركين بما هم فيه من الإشراك ، واعتذارهم محتجين بالقدر بقولهم : ﴿ لَوْ شَاءَ اللَّهُ مَا عَبَدْنَا مِن دُونِهِ مِن شَيْءٍ نَّحْنُ وَلَا آبَاؤُنَا وَلَا حَرَّمْنَا مِن دُونِهِ مِن شَيْءٍ ﴾ [النحل : ٣٥] . أى من البحائر والسوائب والوصائل وغير ذلك مما كانوا ابتدعوه واخترعوه من تلقاء أنفسهم ، مالم ينزل به سلطانا .

ومضمون كلامهم أنه لو كان تعالى كارها لما فعلناه؛ لأنكره علينا بالعقوبة ولما مكننا منه .

قال الله تعالى رادا عليهم شبهتهم: ﴿ فَهَلْ عَلَى الرُّسُلِ إِلَّا الْبَلَاغُ الْمُبِينُ ﴾ [النحل : ٣٥] أى ليس الأمر كما تزعمون أنه لم ينكره عليكم ، بل قد أنكره عليكم أشد الإنكار ، ونهاكم عنه آكد النهى ، وبعث فى كل أمة أى فى كل قرن وطائفة من الناس رسولا ، وكلهم يدعون إلى عبادة الله وينهون عن عبادة ما سواه . . . » (١) .

وفى مجال البعث :

قوله تعالى : ﴿ وَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا هَلْ نَدُلُّكُمْ عَلَىٰ رَجُلٍ يُنَبِّئُكُمْ إِذَا مُزِّقْتُمْ كُلَّ مُمَزَّقٍ إِنَّكُمْ لَفِي خَلْقٍ جَدِيدٍ . أَفْتَرَىٰ عَلَى اللَّهِ كَذِبًا أَم بِهِ جِنَّةٌ بَلِ الَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِالْآخِرَةِ فِي الْعَذَابِ وَالضَّلَالِ الْبَعِيدِ ﴾ [سبأ : ٧ ، ٨]

لقد اتخذ هؤلاء الكافرون من قضية البعث أقصوصة للضحك ، ورواية للسخرية ، ونسبوها إلى رجل على سبيل التنكير ، رغم أنهم يعرفون محمدا بشرفه ونسبه وصدقه وعفافه. واستبعدوا الإحياء بعد الموت ، والحساب بعد البعث ؛ لأنهم يصيرون عناصر مفتتة ، ومواد مبعثرة ، وأجزاء ممزقة . ووصفوا الرسول ﷺ بأحد وصفين كلاهما افتراء ، وصفوه بالكذب على الله ، وهولم يكذب على بشر .

ووصفوه بالجنون فى العقل ، وهو الذى ارتضوه حكما حين اختلفوا فى وضع الحجر الأسود عند تجديد بناء الكعبة .

وفى مجال التشريع :

قوله تعالى: ﴿ الَّذِينَ يَأْكُلُونَ الرِّبَا لَا يَقُومُونَ إِلَّا كَمَا يَقُومُ الَّذِي يَتَخَبَّطُهُ الشَّيْطَانُ مِنَ الْمَسِّ ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمْ قَالُوا إِنَّمَا الْبَيْعُ مِثْلُ الرِّبَا وَأَحَلَّ اللَّهُ الْبَيْعَ وَحَرَّمَ الرِّبَا فَمَن جَاءَهُ مَوْعِظَةٌ مِّن رَّبِّهِ فَانتَهَىٰ فَلَهُ مَا سَلَفَ وَأَمْرُهُ إِلَى اللَّهِ وَمَنْ عَادَ فَأُولَٰئِكَ أَصْحَابُ النَّارِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ ﴾ [البقرة : ٢٧٥] .

---

(١) تفسير القرآن العظيم ٢ / ٥٦٨ .

لقد اعترض المشركون على حكم الله فى حل البيع وحرمة الربا ، وشبهوا ربح التجارة بالربا ، وزعموا أن من اشترى شيئا بخمسة دراهم مثلا وباعه بستة لا يفترق عمن أسلف خمسة دراهم شهرا بستة ، أو باع شيئا قيمته خمسة دراهم بستة لمدة شهر ، فإن زادت المدة زاد الثمن.

وهذا القياس مرفوض ؛ لأنه مخالف للنص ، ثم إنه قياس مع الفارق ، فالبيع محدد الثمن، لا تتوالى فيه زيادات مطردة مع الزمن ، وهو مبنى على التيسير فى قضاء مصالح الناس .

أما الربا فتتوالى فيه الزيادة مع الزمن ، وتترتب عليه مفاسد أخلاقية يمنع عنها الدين، وهى قطع الإحسان بين الناس ، ونزع الرحمة منهم ، وغرس الشح فى النفوس ، والتعالى على ثواب الله .

إن هذه النماذج للقضايا الفاسدة استنطق بها الشيطان أولياءه فأثاروها ونافحوا عنها وجادلوا فيها جدلا باطلا ، ولقد توالت القضايا الفاسدة فى كل عصر تحت عناوين متعددة. فكانت نظرية مراحل التفكير البشرى ، أو الوضعية لدى « أوجست كونت » (١٧٩٨ ــ ١٨٥٧م) .

وكانت نظرية تطور الأنواع عند « تشارلس دارون » (١٨٠٩ ـ ١٨٨٢ م) ، وكانت نظرية الوجودية على أيدى كل من«كير كجورد » (١٨١٣ ـ ١٨٥٥) ، و « هيدجر » (١٨٨٩ ـ ١٩٧٦ م) ، وكانت نظرية الصراع الطبقى والمادية التاريخية عند « كارل ماركس» (١٨١٨ ـ ١٨٩٣) ، وكانت نظرية السوبر مان عند« فريدريك نيتسه » (١٨٤٤ـ١٩٠٠م)، وكانت مدرسة التحليل النفسى عند« فرويد » .

إلى غيرذلك من مذاهب ونظريات غلفها الشيطان بغلاف العقل والفلسفة ، وهى أبعد ما تكون عنهما ، وتبناها بشر سفهاء غلبت عليهم نزعة الأنانية والحقد .

نماذج معاصرة

تدور الآن على الساحة نماذج للمجدل الشيطاني حول التنوير والحريات وحقوق الإنسان وكرامة المرأة .

يتولى كبرها فلول الفكر الماركسي ، وغرباء العقل ، وعاهرو الكلمة ، يريدون طمس معالم الهوية الإسلامية ، ويتخذون من هذه الشعارات البراقة ستارا لمآربهم الدنيئة وأفكارهم الجاهلية .

وفي الحق ، فإن مشكلة هؤلاء المعوقين هي في تحديد مفهوم الحرية ، إن الحريات لها حرمتها في الإسلام ، ومناخ الحرية هو أصلح مناخ لنشر الدعوة الإسلامية .

إن حرية الاعتقاد تعني عدم إكراه إنسان على عقيدة ما ، وألاَّ يضار بسبب عقيدة يؤمن بها ، قال تعالى : ﴿ لا إِكْرَاهَ فِي الدِّينِ قَد تَّبَيَّنَ الرُّشْدُ مِنَ الْغَيِّ فَمَن يَكْفُرْ بِالطَّاغُوتِ وَيُؤْمِن بِاللَّهِ فَقَدِ اسْتَمْسَكَ بِالْعُرْوَةِ الْوُثْقَىٰ لا انفِصَامَ لَهَا وَاللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ ﴾ [البقرة : ٢٥٦] .

لكن حرية العقيدة تتحدد في إطار قوله تعالى : ﴿ حَتَّىٰ لا تَكُونَ فِتْنَةٌ ﴾ [البقرة : ١٩٣] ، وليس معقولا أن يدع المجتمع الإسلامي أفرادا يثيرون الفتنة ، ويفسدون في الأرض ، ويعتدون على ثوابت الإسلام دون أن يصدهم ويمنع تجاوزهم ، وليس في الدنيا دولة تدع لأفرادها حرية الخروج على ثوابتها التي اصطنعها الناس لأنفسهم ، ففي كل دولة حمى لا يتجاوزه المواطن وإلا وصف بالخيانة العظمى .

وحرية الفكر تعني إفساح المجال للعقل في تأملاته الكونية والاجتماعية ، قال تعالى: ﴿ قُلِ انظُرُوا مَاذَا فِي السَّمَوَاتِ وَالأَرْضِ ﴾ [يونس : ١٠١] .

لكن حرية الفكر تتحدد في إطار قوله تعالى : ﴿ وَلا تَقْفُ مَا لَيْسَ لَكَ بِهِ عِلْمٌ إِنَّ السَّمْعَ وَالْبَصَرَ وَالْفُؤَادَ كُلُّ أُولَئِكَ كَانَ عَنْهُ مَسْئُولاً ﴾ [الإسراء : ٣٦] ، وليس معقولا أن نترك البعض يخرف ، ويخترع الأباطيل ويبثها بين الناس دون أن نحد من هوائهم ولهوهم .

وحرية العمل تعني ممارسة الإنسان للكسب فيما يحسنه ، وبالوسيلة التي تناسبه من غير إلجاء إلى عمل لا يقدر عليه أولا يريده ، قال تعالى : ﴿ هُوَ الَّذِي جَعَلَ لَكُمُ الأَرْضَ ذَلُولاً فَامْشُوا فِي مَنَاكِبِهَا وَكُلُوا مِن رِّزْقِهِ وَإِلَيْهِ النُّشُورُ ﴾ [الملك : ١٥] .

لكن حرية العمل تتحدد في إطار قوله تعالى : ﴿ وَاعْمَلُوا صَالِحًا ﴾ [سبأ : ١١] ،

وليس معقولا أن يكون للإنسان حرية الإفساد فى الأرض ، فالعمل المنافى لقيم الدين والأخلاق ، والبعيد عن مصلحة الفرد والجماعة ليس عملا ، ولا حرية له .

وحرية الرأى تعنى الجهر بما يظنه الإنسان خيرا ، وبما يعتقده صوابا ، وبما يرجو فيه المصلحة ، والرأى حينئذ يدخل فى إطار قوله ﷺ : « الدين النصيحة » ويحكمه قوله تعالى : ﴿ وَقُولُوا لِلنَّاسِ حُسْنًا ﴾ [البقرة: ٨٣] .

وليس معقولاً أن يكون للرأى الفاسد المدمر حرية أو حرمة .

فالحرية قيمة إسلامية ومطلب شرعى ، لا يحد إلا بحرية الآخرين ، وحرمة القيم ، وقداسة الدين ، وطهارة السلوك .

وإن فلول الماركسيين ، وغرباء الفكر حين يطالبون بالحرية ويتباكون عليها ، إنما يريدونها لأنفسهم فقط ، ويحتكرونها لآرائهم ، ويقومون بدور النائحة المستأجرة .

وإن ما يسمى الآن بالنظام العالمى الجديد ، هو نظام عنصرى لا يعرف حقوق الإنسان إلا لمصلحته ، ووفق أهوائه ، وتبعا لمآربه . وعلى سبيل المثال :

فعندما يصل اليمين الإسرائيلى المتطرف إلى الحكم ، ويملأ الدنيا صراخا وعويلا حول الحقوق التوراتية لليهود فى فلسطين ، يُعد ذلك ديمقراطية راقية تعبر عن إرادة الشعب الإسرائيلى .

فإذا وصل حزب الرفاة الإسلامى فى تركيا إلى الحكم [1] كان ذلك ردة وتخلفا يتنافى مع الدولة الحديثة .

وإذا كتب المستشرق العالمى المسلم « رجاء جارودى » عن الأساطير المؤسسة للسياسة الإسرائيلية ، اتهم بمعاداة اليهود وممالأة النازية وقدم للمحاكمة .

فإذا تطاول « سلمان رشدى » على مقام النبوة ، وكذب على الله ورسوله فى آيات شيطانية كان ذلك فى عرف الصليبيين حرية فكرية يشجعونها ويقفون وراءها .

وحين تحصد قوات الأمن الإسرائيلية الفلسطينيين ، وتصادر الأرض ، وتبنى المستوطنات لشذاذ الآفاق، يعد ذلك من أعمال السيادة وتقف بجانبه الولايات المتحدة الأمريكية ، وتستخدم حق النقض « الفيتو» فى مجلس الأمن ضد أى قرار يدين إسرائيل .

وحين ترد المقاومة الإسلامية وتتصدى لهذا العدوان الغاشم يعد ذلك إرهابا تعقد له

---

(١) تولى نجم الدين أربكان رئاسة الوزارة فى حكومة ائتلافية مع حزب الطريق المستقيم بزعامة تانسو تشيللر عام ١٩٩٧ م ، ثم تآمر عليه الجيش واليساريون وأبعدوه عن الحكم .

المؤتمرات العالمية فى محاولة لإيقافه وملاحقته .

وحيث يعيش الناس فى أوروبا على تبادل الزوجات والشذوذ الجنسى ، وتمتلئ مجتمعاتهم بالأمهات العذارى ، وبأطفال من غير أسر ، فإن ذلك حرية شخصية ترعاها الأمم المتحدة ، وتتبناها الدول الكبرى ، وتحاول فرضها على شعوب العالم .

أما تعدد الزوجات الشريفات ، وحرية الأعراض ، والزى الإسلامى للمرأة ، فهذا ـ فى زعمهم ـ اعتداء على حقوق المرأة وإهدار لكرامتها ، واغتصاب لأنوثتها . ألا ساء ما يحكمون . . !!

المبحث الخامس

أديان ومذاهب تعبد الشيطان

- المجوسية
- الثنوية
- أديان الهند
- أديان العرب
- فرق منتسبة إلى الإسلام

أديان ومذاهب تعبد الشيطان

إن عبادة الشيطان ـ بمفهومها الخاص ـ الذى يعنى تقديس الشيطان والتقرب إليه والانتصار له قامت عليه أديان ومذاهب .

وإن مظاهر عبادة الشيطان فى فحشائها ومنكرها ، ورجسها وفجورها تبنتها فرق وجماعات .

ولقد تصفحنا بعض كتب الملل والنحل ، وحاولنا تعقب هذه الشيع فوجدنا شيئا عجبا وأمرا نكرا .. بدأ قديما وتناقلته أجيال بشرية وما زالت تقيم عليه .

وجاءت منظمات « عبادة الشيطان» المعاصرة لتحيى هذا التراث الجاهلى ، وهذه الحماقة الحمقاء ، وتجمع فى ممارساتها الجهالات كلها وخرافات الوثنيات بأجمعها .

ويبدو أن الواقع المرير الذى يعيشه الأوربيون ، والذى وصل إلى درجة التشبع المادى الرخيص ، قد حدا بهم إلى الهروب منه بالمسكرات والمخدرات ، أو باعتناق الخرافات والأساطير .

كل ذلك فى غيبة الدعوة إلى الدين الصحيح ، وقلة جهود المخلصين للدفاع عن الإسلام.

وها نحن أولاء نشير إلى أديان ومذاهب تعبد الشيطان ، وتتخذ من الفحشاء والمنكر سبيلا للقربى إلى معبوداتها المصطنعة ، ومنهجا لحياتها الفاشلة .

المجوسية

تقوم المجوسية على إثبات أصلين هما :

- إله الخير ، أو النور ، أو يزدان بالفارسية .
- إله الشر ، أو الظلمة ، أو أهرمن بالفارسية .

ويقال : إن المجوسية بقايا ملة إبراهيم عليه السلام بعد أن نالها التحريف ، والمجوس يعظمون النار ؛ لأنها لم تحرق إبراهيم عليه السلام أو خوفا من عذابها في الآخرة .

وهم يقولون : إن إله الخير قديم أزلي ، وإن إله الشر محدث مخلوق .

ولهم في حدوث إله الشر تفسيرات متعددة منها :

* **طائفة الكيومرثية** (١) : تعتقد أن أهرمن أو الشيطان محدث مخلوق ، نشأ من فكرة خبيثة طرأت على نفس إله الخير « يزدان » عندما فكر في نفسه وقال :

لو كان لي منازع كيف يكون ؟!

فحدث من هذه الفكرة الرديئة إله الظلمة ، أو « أهرمن » ، أو الشيطان ، وكان مطبوعا على الشر والفتنة والفساد .

ودارت الحرب سجالا بين الإلهين إلى أن تدخلت الملائكة ، وعقدوا صلحا بينهما ينص على أن يكون العالم السفلي خالصا للشيطان سبعة آلاف سنة ، ثم يخلي العالم ويسلمه إلى إله النور .

* **وطائفة الزروانية** (٢) **تقول** : إن النور أبدع أشخاصا روحانيين ، ثم شك في شيء منها فحدث « أهرمن » أو الشيطان من ذلك الشك .

وزعم بعضهم أنه لم يزل مع الله شيء رديء ، إما فكرة رديئة ، وإما عفونة رديئة وذلك هو مصدر الشيطان .

وزعموا أن الدنيا كانت سليمة من الشرور والآفات والفتن ، وكان أهلها في خير محض ونعيم خالص ، فلما حدث « أهرمن » حدثت الشرور والآفات والفتن والمحن ، وكان بمعزل من السماء ، فاحتال حتى خرق السماء وصعد .

---

(١) تفسير الكيومرث هو الحي الناطق ، وجاء في تاريخ الهند والعجم أن كيومرث هو آدم عليه السلام.

(٢) زروان : شخص عظيم أو الأعظم روحاني نوراني رباني في زعمهم .

وقيل : إن إبليس كان لم يزل فى الظلمة والخلاء بمعزل عن سلطان الله ، ثم لم يزل يزحف ويقرب بحيله حتى رأى النور ، فوثب وثبة فصار فى سلطان الله فى النور ، وأدخل معه هذه الآفات والشرور ، فخلق الله تعالى هذا العالم شبكة له ، فوقع فيها وصار متعلقا بها لا يمكنه الرجوع إلى سلطانه ، فهو محبوس فى هذا العالم يرمى بالآفات والمحن والفتن إلى خلق الله تعالى ، فمن أحياه الله رماه بالموت ، ومن أصحه رماه بالسقم ، ومن سره رماه بالحزن ، فلا يزال كذلك إلى يوم القيامة ، وفى كل يوم ينقص سلطانه حتى لا تبقى له قوة .

فإذا كانت القيامة ذهب سلطانه وخمدت نيرانه وزالت قوته ، واضمحلت قدرته فيطرحه فى الجو ، والجو ظلمة ليس لها حد ولا منتهى .

ثم يجمع الله تعالى أهل الأديان فيحاسبهم ويجازيهم على طاعة الشيطان وعصيانه[1].

---

(١) نقلا عن الملل والنحل للشهرستانى، تحقيق : عبد العزيز محمد الوكيل ص ٢٣٤ بتصرف ، ط دار الفكر .

الثنوية

هم القائلون بإلهين اثنين قديمين متساويين فى القدم ؛ لكنهما مختلفان فى الجوهر والطبع والفعل والحيز والمكان والأجناس والأبدان والأرواح . وهم طوائف :

* فالمانوية :

أصحاب مانى بن فاتك ، يعتقدون أن إله النور حسن المنظر ، حكيم الفعل ، مرتفع جهة فوق ، أجناسه النور والريح والماء والنار ، ورائحته أطيب رائحة .

وأن إله الظلمة قبيح المنظر ، سفيه الفعل ، منحط جهة أسفل ، أجناسه الحريق والسموم والضباب ، نجس دنس كريه الرائحة .

* والمزدكية :

أصحاب مزدك الفارسى، يرون أن النور يفعل بالقصد والاختيار ،وهو عالم حساس ، وأن الظلمة تفعل بالخبط والاتفاق ، والظلام جاهل أعمى .

وكان مزدك ينهى الناس عن المخالفة والمباغضة والقتال ، ولما كان أكثر ذلك إنما يقع بسبب النساء والأموال ، أحل النساء وأباح الأموال ، وجعل الناس شركة فيهما كاشتراكهم فى الماء والنار والكلأ .

وحكى عنه أنه أمر بقتل الأنفس ليخلصها من الشر [(١)] .

---

(١) راجع الملل والنحل للشهرستانى ص ٢٤٥ .

أديان الهند

لأديان الهند خرافات كثيرة في عقائدهم وعباداتهم ، وهم فرق شتى :

* فالباسنّوية :

يتخذون صنما يتقربون إليه ، ويطوفون حوله كل يوم ثلاث مرات بالمعازف والتبخير والغناء والرقص .

وهم يعظمون النار والبقرة ، ولا يأكلون من اطعمة غير ملتهم ، ويباح لهم الزنا ؛ لئلا ينقطع النسل .

* والباهودية :

يتخذون من عظام الموتى أكاليل على رؤوسهم ، وقلائد في أعناقهم ، ويمسحون أجسادهم بالرماد .

* والكابلية :

يعبدون صنما عريان ، عليه قلائد وأساور وخلاخيل من عظام الموتى ، وهم يتزينون بزينته .

* والبهادونية :

يسبلون شعورهم على وجوههم وأقفيتهم ، ويقسمون الشعر على جوانب الرأس قسمة متساوية ، ولا يشربون الخمر ، وإذا رأوا امرأة هربوا منها ، وإذا دخلوا بيت الأصنام سدوا أفواههم حتى لا تصل أنفاسهم إلى الصنم .

* والمهاكالية :

يعبدون عفريتا على صورة صنم له أيد أربع ، كثير شعر الرأس ، وبإحدى يديه ثعبان عظيم فاغر فاه ، وبالأخرى عصا ، وبالثالثة رأس إنسان ، وفي أذنيه حيتان كالقرطين ، وعلى جسده ثعبانان عظيمان قد التفا حوله ، وعلى رأسه إكليل من عظام الإنسان ، وفي عنقه قلادة .

* والأكنُواطرية :

أي عباد النار يحفرون أخدودا مربعا في الأرض ، ويؤججون النار فيه ، ثم لا يدعون طعاما لذيذا ولا شرابا لطيفا ، ولا ثوبا فاخرا ، ولا عطرا فائحا ، ولا جوهرا نقيا إلا

طرحوه فى النار تقربا إليها وتبركا بها .

وبعض زهاد الهند قد يلقون بأنفسهم فيها [1] .

وقد تعجل هؤلاء بدخول النار فى الدنيا قبل عقابهم بها فى الآخرة ، فما أقبح قلوبهم، وما أعمى بصائرهم ، وما أجهل عقولهم ..!!

---

(١) راجع الملل والنحل للشهرستانى ص ٥١٢ ـ ٥١٨ .

أديان العرب

شاع بين العرب عبادة الأصنام قبل الإسلام ، كما وجدت طوائف تعبد الشمس والقمر والملائكة ، وتهود البعض أو تنصر .

وانتشرت بينهم عبادة الجن أو خرافات تتصل بعالم الشياطين ، وقد حكى القرآن المجيد لونا من هذه العبادة تتمثل فى استعاذة بعض العرب ، إذا نزلوا واديا قفرا بسيد هذا الوادى من الجن حتى يحميهم من سفهاء الشياطين ، قال الله تعالى : ﴿ وَأَنَّهُ كَانَ رِجَالٌ مِّنَ الإِنسِ يَعُوذُونَ بِرِجَالٍ مِّنَ الْجِنِّ فَزَادُوهُمْ رَهَقًا ﴾ [الجن : ٦] .

* واعتقد العرب أن القتيل إذا لم يؤخذ بثأره تتحول روحه إلى هامة تظل تنتحب وتبكى ، وتوجد فى القبور ومصارع القتلى والأماكن الخربة . **وفى هـذا يقول الرسول ﷺ : « لا عدوى ولا طيرة ولا هامة ولا صفر »** .

ومعنى « لا عدوى » : أى لا عدوى تنتقل من المريض إلى السليم بنفسها وبالتولد الذاتى مباشرة ، وإنما الأمر كله يرجع إلى إرادة الله وقدرته ومعنى « لا طيرة » : نفى للتشاؤم ، وكان ﷺ يحب الفأل الحسن .

ومعنى « لا هامة » : لا وجود لمثل هذه الخرافة التى ابتدعها الفكر الجاهلى تقطيعا للأواصر وسفكا للدماء .

ومعنى « لا صفر » : رد لما ابتدعه العرب من النسىء ، وهو تأخير حرمة شهر المحرم إلى شهر صفر ، فقد كرهوا أن تتوالى عليهم ثلاثة شهور حرم ، وهى ذو القعدة وذو الحجة والمحرم .

*** ومن تخيلات العرب :**

أنهم كانوا إذا خافوا على الرجل المجنون وتعرض الأرواح الخبيثة له ، نجسوه بتعليق الأقذار عليه كخرقة الحيض وعظام الموتى ، قالوا : وأنفع من ذلك أن تعلق عليه طامث عظام الموتى ثم لا يراها يومه ذلك ، وأنشدوا للممترق العبدى :

فلـــو أن عنـــدى جاريتين وراقـيا ... وعـــلق أنجـــاسا عـــلىّ المعلـــق

قالوا : والتنجيس يشفى إلا من العشق ، قال أعرابى :

يقولـــون علـــق يالك الخير رُمـــة ... وهل ينفع التنجيس من كان عاشقا

وهذا كله خبل مقته الإسلام ، فقد قال الرسول ﷺ : « الطهور شطر الإيمان » .

* ومن مذاهب العرب :

أنهم يعتقدون فى لقاء الغول ، والتزاوج منهم والتوالد ، وقالوا : إن عمرو بن يربوع تزوج الغول وأولدها بنين ومكثت عنده دهرا فكانت تقول له : إذا لاح البرق من جهة بلادى وهى جهة كذا فاستره عنى ، فإنى إن لم تستره عنى تركت ولدك عليك وطرت إلى بلاد قومى .

فكان عمرو بن يربوع كلما برق البرق غطى وجهها بردائه فلا تبصره ، فغفل عنها ليلة وقد لمع البرق فلم يستر وجهها فطارت وقالت له وهى تطير :

أمْسِكْ بنيك عمرو إنى آبق ... بَرْقٌ على أرض السعالى آلق

ولهذا يسمى بنو عمرو بنى السعلاة ، أى الغول ، ويفرق البعض بينهما بأن السعلاة ما يتراءى للناس نهارا ، وأن الغول ما يتراءى للناس ليلا [1] .

* ومن مرويات العرب :

خطاب الجن وهواتفهم ، ويروون فى ذلك قصصا عجبا . من ذلك أن عَبِيد بن الأبرص خرج يريد الشام ، فلما كان فى بعض الطريق عرض له شجاع يلهث عطشا ، فنزل عن بعيره فسقاه حتى رواه ، ثم مضى إلى الشام فقضى حوائجه ، ورجع فأضل فى بعض طريقه بعيره فنكب عن الطريق ليطلبه ، فإذا هاتف يقول :

يا صاحب البكر المضل مذهبه ... دونك هذا البكرَ منا فاركبه

حتى إذا الليل تراءى غيهبُه [2] ... وأقبل الصبح ولاح كوكبه

فحط عنه رحله وسيبه

فرأى بعيرا واقفا فاستوى على ظهره فلم يلبث ساعة أن رأى بيته ، وكان بينه وبينه عشرون مرحلة ، فخلى عنه الرحل وهو يقول :

يا صاحب البكر قد أنجيت من كرب ... ومن فياف تضل المدلج الهادى

هلا بدأت لنا خلقا لتعرف من ... عليك قد جاد بالنعماء فى الوادى

ارجع حميدا فقد بلغت حاجتنا ... بوركت من ذى سلام رائح غادى

(١) الغول والتغول : التلون ، وتغولت المرأة إذا تلونت ، غالته غول إذا وقع فى مهلكة ، والمقصود من الغول هنا جنس من الشيطان أكثر تمردا .

(٢) الغيهب : الظلمة .

فأجابه :

أنا الشجاع الذى أرويتنى ظمأ	فى صحصح حَصْب [1] عن أهله صادى
وجَـدَت بالماء لما عَزّ مطلبه	نصف النهار على الرمضاء فى الـوادى
هـذا جــزاؤك منا لا يمـن بـه	لـك الجميل علينا إنـك البادى
الخير يبقى وإن طال الزمان به	والشـر أقـبح ما أوعـيت من زاد

* ومن مذاهب العرب :

إن لكل شاعر شيطانا يلقى إليه الشعر ، فعلى سبيل المثال : يزعمون أن الأعشى كان له شيطان يسمى « مسحل » وتساق رواية تقول :

« حدث الأعشى عن نفسه قال : خرجت أريد قيس بن معد يكرب بحضرموت فضللت فى أوائل أرض اليمن ؛ لأنى لم أكن سلكت ذلك الطريق قبل ، فأصابنى مطر ، فرميت ببصرى أطلب مكانا ألجأ إليه ، فوقعت عينى على خباء من شعر ، فقصدت ، وإذا أنا بشيخ على باب الخباء فسلمت عليه فردّ علىّ السلام ، وأدخل ناقتى خباء آخر كان بجانب البيت فحططت رحلى وجلست .

فقال : من أنت ؟ وأين تقصد ؟

قلت : أنا الأعشى ، أقصد قيس بن معد يكرب .

فقال : حياك الله ، أظنك امتدحته بشعر .

قلت : نعم .

قال : فأنشدنيه .

فابتدأت مطلع القصيدة :

رحلت سمية غدوة أجمالها غضبا عليك فما تقول بدا لها

فلما أنشدته هذا المطلع منها قال : حسبك ، أهذه القصيدة لك ؟ قلت : نعم ، قال : من سمية التى تنسب بها ؟

قلت : لا أعرفها ، وإنما هو اسم ألقى فى روعى .

فنادى : يا سمية اخرجى ، وإذا بجارية خماسية ، قد خرجت فوقفت وقالت : ما - تريد يا أبت ؟

(1) الصحصح : ما استوى من الأرض . والحصب : ذو الحجارة .

قال : أنشدى عمك قصيدتى التى مدحت بها قيس بن معد يكرب ، ونسبت بك فى أولها ، فاندفعت تنشد القصيدة حتى آتت على آخرها ، لم تخرم منها حرفا ، فلما أتمتها قال : انصرفى .

ثم قال : هل قلت شيئاً غير ذلك ؟

قلت : نعم ، كان بينى وبين ابن عم لى يقال له : يزيد بن مسهر ، يكنى أبا ثابت، ما يكون بين بنى العم ، فهجانى وهجوته فأفحمته ، قال : ماذا قلت فيه ؟

قلت : ودع هريرة إن الركب مرتحل   وهل تطيق وداعا أيها الرجل

فلما أنشدته البيت الأول قال : حسبك ، من هريرة هذه التى نسبت فيها ؟

قلت : لا أعرفها ، وسبيلها سبيل التى قبلها .

فنادى : يا هريرة فإذا جارية قريبة السن من الأولى خرجت فقال : أنشدى عمك قصيدتى التى هجوت بها أبا ثابت يزيد بن مسهر ، فأنشدتها من أولها لآخرها ، لم تخرم منها حرفا .

فسقط فى يدى وتحيرت وتغشتنى رعدة .

فلما رأى ما نزل بى قال : ليفرخ روعك يا أبا بصير ، أنا هاجسك مسحل بن أثاثة الذى ألقى على لسانك الشعر . . !!

فسكنت نفسى ورجعت إلىّ .

وسكن المطر ، فدلنى على الطريق وأرانى سمت مقصدى وقال : لا تعج يمينا ولا شمالا حتى تقع ببلاد قيس . . . » .

وقد اتخذ الشعراء من مقولة « شياطين الشعراء » مادة للسخرية أو الاستعلاء أو التندر، فبعضهم يدعى أن شيطانه أمير الجن فيقول :

فإن شيطـانى أميـر الجـن   يذهب بى فى الشعر كل فن

والبعض يذكر أن شيطانه من قبيلة جنية لها الصدارة فيقول :

ولى صاحب من بنى الشيصبان   فطورا أقول وطورا هوه (١)

ويأتى ثالث ليقول : إن شيطانه ذكر وشياطين الآخرين أنثى :

إنى وكـل شاعـر من البَشَرْ   شيطانه أنثى وشيطانى ذكرْ

---

(١) ينسب هذا البيت إلى حسان بن ثابت ، والشيصبان : قبيلة من الجن حسب زعمهم .

وتتوالى المزاعم حتى يصير الشاعر قائدا لإبليس فيقول :

وكنت فتى من جند إبليس فارتقت

بى الحالُ حتى صار إبليس من جندى[1]

(١) نقلنا هذه القصص والروايات من كتاب : بلوغ الأرب فى معرفة أحوال العرب . للسيد محمود شكرى الألوسى البغدادى ـ جـ ٢ ، ط دار الكتب العلمية ـ بيروت .

فرق منتسبة إلى الإسلام

تأثرت بعض الفرق الإسلامية بأديان ومذاهب المجوس والهندوس ، فكانت لهم مقالات شيطانية وأفكار إباحية نادوا بها وجمعوا الناس حولها .

وكان بشار بن برد الشاعر المشهور ، من الشيعة الإمامية الرافضة ، يدين بالرجعة ، ويكفر جميع الأمة ، ويصوب رأى إبليس فى تقديم النار على الطين وقال :

الأرض مظلمة والنار مشرقة والنار معبودة مذ كانت النار (١)

وبعض طوائف الخطابية من غلاة الشيعة يستحلون المحرمات ، ويدينون بترك الفرائض وينكرون القيامة ، ويقولون بتناسخ الأرواح ، ويزعمون أن الدنيا لا تفنى ، وأن الجنة هى التى تصيب الناس من خير ونعمة وعافية ، وأن النار هى التى تصيب الناس من شر ومشقة وبلية . وعلى هذا النهج كثير من طوائف الغلاة الحلولية والإباحية .

* **فالمقنعية** :أتباع رجل أعور يقال له : عطاء ، فيما وراء نهر جيحون ، كان عرف شيئا من الهندسة والحيل والسحر ، ادعى لنفسه الألوهية واحتجب عن الناس ببرقع من حرير ، واتخذ وجها من ذهب .

أباح لأتباعه المحرمات ، وأسقط عنهم سائر العبادات ، وزعم أنه يظهر فى صور شتى من وقت لآخر ، فمرة على صورة نوح ، وأخرى على صورة إبراهيم ، وهكذا سائر الأنبياء ، ثم تصور بعد ذلك فى صورة على ، وانتقل إلى صدر أبناء على وقال :

إنى إنما أتنقل فى الصور ، لأن عبادى لا يطيقون رؤيتى فى صورتى التى أنا عليها ، ومن رآنى احترق بنورى . . !!

وقد دامت فتنته على المسلمين أربعة عشر عاما ، إلى أن استطاعت جيوش الخليفة المهدى سنة ١٦٣ القضاء عليه .

وظل أتباعه من بعده يستحلون الميتة والخنزير ، ويستمتع كل منهم بامرأة غيره ، وإن ظفروا بمسلم قتلوه وأخفوه .

* **والبابكية** : أتباع بَابَك الخُرّمى الذى ظهر بناحية أذربيجان وأحدث فتنة كبيرة ، واستمرت جيوش الخلافة العباسية تحاربه على مدى عشرين عاما ، حتى تمكنوا منه فقتلوه وصلبوه بسُرّ من رأى فى أيام المعتصم سنة ٢٢٣ هـ .

---

(١) راجع « البيان والتبيين » لأبى عثمان عمرو بن بحر الجاحظ ص ١٣ ـ ١٦ ، ط مكتبة دار البار .

وهذه الطائفة تستبيح المحرمات ، وتجتمع على الخمر والزمر ، ويختلط الرجال والنساء في ليالي أعيادهم ، فإذا أطفئت السرج والنيران افتض فيها الرجال والنساء على تقدير : من عَزَّ بزَّ .. (١)

---

(١) راجع تفاصيل هذه الطوائف وغيرها في كتاب الفَرْق بين الفِرَق . للإمام عبد القاهر البغدادي ، تحقيق : الشيخ محمد محيي الدين عبد الحميد ، ط صبيح .

المبحث السادس

الوقاية والعلاج

- الاستعاذة بالله من الشيطان الرجيم
- ذكر الله والصلاة
- تلاوة القرآن
- الزواج المبكر
- بناء الإنسان
- التعليم ومناهج التربية الإسلامية
- الدعوة والدعاة
- إصلاح الإعلام
- معرفة الأعداء

الوقاية والعلاج

إن الشباب المعاصر يقع بين سيفي الإفراط والتفريط ، وكلاهما بتار يهدم ويقضي على الأخضر واليابس .

فالإفراط أو التطرف أو الغلو لا يمثل الدين الصحيح ؛ لأن الله تعالى بعباده رحمن رحيم ، ربط التكليف بالوسع ، ورفع الحرج عن الإنسان ، وما خير رسول الله ﷺ بين أمرين إلا اختار أيسرهما مالم يكن إثما .

والتفريط أو الانحراف أو الفساد : هو جريمة نكراء ترتكب في حق الأمة ، ويحتاج إلى مقاومة أمينة وعقاب رادع .

وقضية العنف المثارة حاليا على الساحة الإسلامية ، يشترك في إثمها بعض الجماعات وبعض الحكومات .

فهناك جماعات عنيفة القول والسلوك ، عنيدة الفكر ، عصبية المزاج ، مغلقة العقل ، فاقدة للوعي الراشد ، وهناك حكومات تتأبى على الحق ، وتماطل في تنفيذ حكم الله ، وتشجع على المعصية .

هنا يصبح العنف متبادلا ، وتضيع هيبة الدين والدولة ، ويقف الشامتون ليصطادوا في الماء العكر .

والواجب في المقام الأول أن يوجه العلماء النصيحة للحكومات القائمة كي تلتزم بعقيدة الأمة ، وتحافظ على قيم الشعب ، وتحسن الرعاية لمصالح الناس .

فإذا استقامت الحكومات على الحق والعدل استقام الناس على السمع والطاعة ، وبات العابثون بقيم الإسلام محاصرين محصورين ، سواء كانوا متطرفين أو مفرطين ؛ لأن جريمة التفريط لا تقل إثما وسوءا عن جريمة الإفراط ، وكلاهما مرتبط بالآخر .

فإذا كانت الفاحشة تكرم باسم الفن ، والمواخير تقام باسم الثقافة ، والمعصية يجاهر بها باسم الحرية .

فإن ذلك يفتح باب العنف ، ويلهب حماس بعض المتدينين لتغيير المنكر باليد ، فتتحول القضية إلى عنف يدمر كل شيء .

ونحن لا نبرئ ساحة العمل الإسلامي من اقتحام بعض العملاء الذين تبثهم المخابرات الصليبية والصهيونية ؛ لتعميق الفجوة بين المسلمين وحكامهم ، ولتمزيق وحدة الصف

الإسلامى .

ومن العجب العجاب أن تصبح الدول الصليبية هى الملجأ لبعض الزعامات الإسلامية ، بل قد يطلب هؤلاء حق اللجوء السياسى فى هذه الدول الصليبية .

فكيف يرضى المسلم أن يكون فى حمى أعداء الإسلام ؟!

إنها حماية الذئب لفريسته ..!!

وفى الوقت نفسه فإن الغزو الفكرى يطل علينا من كل جانب ، ويدخل إلينا مع الهواء السارى ، ولا أكون مبالغا إذا قلت : إن أجهزة الإعلام المقروء والمسموع والمرئى فى بلاد المسلمين يختبئ فيها عملاء ، لا يرقبون فى مؤمن إلا ولا ذمة ، ولهم سلطات واسعة تمكنهم من بث السم فى العسل .

ومبلغ علمى : أن كثيرا من مناهج التعليم فى العالم العربى روجعت بعد المرحلة الجديدة من الصراع العربى الصهيونى [1] ، وبدأ حذف أو تحقيق ما يتعلق بالجانب اليهودى فى التاريخ الإسلامى ، وإغفال أثر العقيدة الإسلامية فى مواجهة الاستيطان اليهودى ، فى وقت لا يخجل الإسرائيليون من التغنى بحقوقهم التوراتية ومزاعمهم الصهيونية .

* * *

إن الشباب المسلم يقف الآن على مفترق طرق ، ويحتاج إلى الأيدى الأمينة ، تسلك به سبيل الرشاد ، وتدفع به إلى العلياء .

ونحن نقدم أفكارا للوقاية والعلاج .. تتلخص فى عبارة واحدة هى :

المقاومة الإسلامية .

إن مقاومة الشيطان والانتصار عليه لا تكون بمعزل عن الإسلام والصراط المستقيم والعروة الوثقى فى القرآن والسنة .

وإن منطلق المقاومة للشيطان كامن فى عقيدة المسلم وحبه للخير وتسابقه إلى العمل الصالح . . ويتخذ ذلك مجموعة روافد هى :

١ ـ الاستعاذة بالله من الشيطان الرجيم .

٢ ـ ذكر الله تعالى والصلاة .

٣ ـ تلاوة القرآن .

٤ ـ الزواج المبكر .

---

(١) ما بعد معاهدة كامب ديفيد سنة ١٩٧٩ م ، واتفاقات أوسلو سنة ١٩٩١ م .

٥ ـ بناء الإنسان .

٦ـ التعليم ومناهج التربية الإسلامية .

٧ ـ الدعوة والدعاة .

٨ ـ إصلاح الإعلام .

٩ ـ معرفة الأعداء .

الاستعاذة بالله من الشيطان

لا حول للإنسان ولا قوة إلا بالله العلى العظيم ، منه يستمد العون والمدد ، وبه يستعين على الشدائد والمحن ، وعليه يتوكل ويعتمد .

والمسلم مطالب بالاستعاذة بالله من الشيطان فى حياته كلها ، ولعل بيت المسلم الذى يأوى إليه ويقيم فيه ويضم أهله وولده ـ هو الأولى بالرعاية ، وقد علمنا الرسول ﷺ كيف نحصن بيوتنا من الشيطان فقال ـ كما فى صحيح مسلم ـ : « إذا دخل الرجل بيته فذكر الله تعالى عند دخوله وعند طعامه قال الشيطان : لا مبيت لكم ولا عشاء ، وإذا دخل فلم يذكر الله تعالى عند دخوله قال الشيطان : أدركتم المبيت ، وإذا لم يذكر الله عند طعامه قال : أدركتم المبيت والعشاء » .

ومن المعلوم أن ذكر الله ليس مجرد كلمة ، وإنما هو إخلاص قلب وحركة لسان وطاعة جوارح ، ولا قيمة لبسملة أو حمدلة على طعام خبيث ، ولا قيمة لتهليل أو تكبير أو تسبيح عند موقف معصية واعتداء على الحرمات ، وقد أمرنا الله وعلمنا رسوله الاستعاذة من الشيطان فى مواقف خاصة وأحداث تتكرر فى حياتنا اليومية .

فإذا أراد المسلم قراءة القرآن استعاذ بالله من الشيطان استجابة لقوله تعالى: ﴿ فَإِذَا قَرَأْتَ الْقُرْآنَ فَاسْتَعِذْ بِاللَّهِ مِنَ الشَّيْطَانِ الرَّجِيمِ ﴾ [النحل : ٩٨] .

وهذه الاستعاذة مهمة حتى يخلص القلب لله ، وينتفع بآثار رحمة القرآن ، ويتعلم من مأدبة الرحمن .

وإذا دخل المسلم المسجد قال ـ كما علمنا الرسول الكريم فى حديث رواه أبو داود ـ : «أعوذ بالله العظيم ، وبوجهه الكريم ، وسلطانه القديم من الشيطان الرجيم » ، وذلك أن الصلاة هى زاد المسلم فى حياته اليومية ، يتزود منها بين الحين والحين فيزداد إيمانا ، وينطلق إلى عمله بزاد التقوى الذى يدفعه إلى إتقان العمل وحسن الخلق .

وإذا أوى المسلم إلى فراشه قال ـ كما علمنا الرسول الكريم فى حديث رواه أبو داود ـ: « أعوذ بكلمات الله التامات من غضبه وعقابه وشر عباده ومن همزات الشياطين وأن يحضرون» .

والاستعاذة هنا لها دلالتها القوية ، وأثرها الفعال ، فإن النوم أخ للموت ، وليس يعقل أن يبيت المسلم على معصية أو يسلم نفسه لله وهو ظالم لإخوانه قاطع لرحمه مفسد

فى الأرض .

فهذه دعوة للتوبة النصوح والتخلص من آثار المعصية ، والتطهر الكامل .

وهناك أمر عجيب وهو أن المسلم عندما يعاشر أهله ويلبي شهوته في الحلال ـ مطالب أن يستعيذ بالله من الشيطان الرجيم ويقول ـ كما في صحيح البخاري ـ :

« باسم الله ، اللهم جنبنا الشيطان وجنب الشيطان ما رزقتنا » فقد وعد الرسول ﷺ قائل ذلك ببشرى طيبة فقال : « فإنه إن يقدر بينهما ولد في ذلك لم يضره شيطان أبدا » ، وعندما يرزق المسلم ذرية يحصنها بما حصن به النبي ﷺ الحسن والحسين ، كان يقول ـ كما رواه البخاري :

« أعيذكما بكلمات الله التامة من كل شيطان وهامة ومن كل عين لامة » .

أرأيت كيف يستعين المسلم بربه ويستعيذ به في جوانب حياته كلها حتى يعمها نور الإيمان ، وتحفظها ملائكة الرحمن . . ولقد أكد القرآن أن الشيطان يسعى دائما لإعاقة مسيرة الإنسان الخيرة ، وتعطيل قواه الصالحة ، والاتجاه به إلى درك الفساد . وكان المقابل الذى أرشدنا إليه القرآن لوقف هذا السعي الشيطاني ، وإحباط هذه المحاولات ، هو الالتجاء إلى الله عز وجل ، والاحتماء به سبحانه .

قال تعالى : ﴿ وَقُل لِّعِبَادِي يَقُولُوا الَّتِي هِيَ أَحْسَنُ إِنَّ الشَّيْطَانَ يَنزَغُ بَيْنَهُمْ إِنَّ الشَّيْطَانَ كَانَ لِلْإِنسَانِ عَدُوًّا مُّبِينًا ﴾ [الإسراء : ٥٣] .

والنزغ : هو الوسوسة لفعل الشر ، ومحاولة صرف المرء عن الخير ، وقال جل شأنه : ﴿ وَإِمَّا يَنزَغَنَّكَ مِنَ الشَّيْطَانِ نَزْغٌ فَاسْتَعِذْ بِاللَّهِ إِنَّهُ هُوَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ ﴾ (١) [فصلت : ٣٦] .

والاستعاذة : هي طلب الحماية والنجدة والنصرة من الله وحده ، ، فهو سبحانه الذى يقدر على كف أذى الشيطان ويحبط كيده ، فالشيطان الجني لا يقبل رشوة ، ولا يؤثر فيه جميل ، ولا يقبل مصانعة ولا إحسانا ؛ لأنه شرير بطبعه شديد العداوة لبني آدم .

بخلاف الشيطان الإنسي فإن المرء قد يصانعه أو يحسن إليه فيستميله ، وقد يصبح وليا حميما كما قال تعالى : ﴿ ادْفَعْ بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ فَإِذَا الَّذِي بَيْنَكَ وَبَيْنَهُ عَدَاوَةٌ كَأَنَّهُ وَلِيٌّ حَمِيمٌ ﴾ [فصلت : ٣٤]

وقد تحول كثير من أعداء الإسلام قديما وحديثا إلى أولياء لله ورسوله ، ونحن في حياتنا العامة نشاهد أعداء الأمس أصدقاء اليوم .

(١) تكررت هذه الآية في سورة الأعراف ولكن كان ختامها : ﴿ إِنَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ ﴾ الآية رقم ٢٠٠ .

حكم الاستعاذة :

ساق الإمام ابن كثير أقوال العلماء فى حكم الاستعاذة فقال :

وجمهور العلماء على أن الاستعاذة مستحبة ليست بمتحتمة يأثم تاركها . وحكى الرازى عن عطاء بن أبى رباح وجوبها فى الصلاة وخارجها كلما أراد القراءة ، وقال ابن سيرين : إذا تعوذ مرة واحدة فى عمره فقد كفى فى إسقاط الوجوب .

واحتج الرازى لعطاء بظاهر الآية : ﴿ فَاسْتَعِذْ ﴾ ، وهو أمر ظاهره الوجوب ، وبمواظبة النبى ﷺ عليها ؛ ولأنها تدرأ شر الشيطان ، وما لا يتم الواجب إلا به فهو واجب ؛ ولأن الاستعاذة أحوط ، وهو أحد مسالك الوجوب .

وقال بعضهم : كانت واجبة على النبى ﷺ دون أمته ، وحكى عن مالك : أنه لا يتعوذ فى المكتوبة ، ويتعوذ لقيام رمضان فى أول ليلة منه .

كيفية الاستعاذة :

بيّن ابن كثير هذه الكيفية فذكر أن الإمام الشافعى قال فى الإملاء : يجهر بالتعوذ ، وإن أسر فلا يضر .

وقال فى الأم بالتخيير؛ لأنه أسر ابن عمر ، وجهر أبو هريرة ، واختلف قول الشافعى فيما عدا الركعة الأولى : هل يستحب التعوذ فيها ؟ على قولين ، ورجح عدم الاستحباب .

وإذا قال المستعيذ : أعوذ بالله من الشيطان الرجيم ، كفى ذلك عند الشافعى وأبى حنيفة .

وزاد بعضهم : أعوذ بالله السميع العليم .

وقال آخرون : بل يقول : أعوذ بالله من الشيطان الرجيم ، إن الله هو السميع العليم. قاله الثورى والأوزاعى .

وحكى عن بعضهم أنه يقول : أستعيذ بالله من الشيطان الرجيم ، لمطابقة أمر الآية ولحديث الضحاك عن ابن عباس ـ وفيه انقطاع وضعف ـ قال : أول ما نزل جبريل على محمد ﷺ قال : يا محمد استعذ ، قال : « أستعيذ بالله السميع العليم من الشيطان الرجيم » ، ثم قال : قل : بسم الله الرحمن الرحيم ، ثم قال : ﴿ اقْرَأْ بِاسْمِ رَبِّكَ الَّذِي خَلَقَ ﴾ [العلق : ١] .

وعلق الإمام ابن كثير قائلا : والأحاديث الصحيحة أولى بالاتباع من هذا فهو يرجح أن يقول المرء : أعوذ بالله ، بدلا من : أستعيذ بالله .

موقع الاستعاذة من القراءة :

تعددت آراء العلماء في هذا الموقع ، والمشهور الذى عليه الجمهور أن الاستعاذة إنما تكون قبل التلاوة لدفع الشيطان عنها ، ومعنى الآية الكريمة : ﴿ فَإِذَا قَرَأْتَ الْقُرْآنَ فَاسْتَعِذْ بِاللَّهِ مِنَ الشَّيْطَانِ الرَّجِيمِ ﴾ [النحل : ٩٨] . أى إذا أردت القراءة ، على حد قوله تعالى : ﴿ إِذَا قُمْتُمْ إِلَى الصَّلَاةِ فَاغْسِلُوا وُجُوهَكُمْ وَأَيْدِيَكُمْ إِلَى الْمَرَافِقِ . . . ﴾ [المائدة : ٦] أى إذا أردتم القيام إلى الصلاة فتوضؤوا .

وفعل النبى ﷺ يؤكد هذا الرأى .

وذهبت طائفة من العلماء إلى أن الاستعاذة إنما تكون بعد القراءة ، وأعقدوا على ظاهر سياق الآية الذى رتب الاستعاذة على الانتهاء من القراءة ، وعللوا ذلك بدفع الإعجاب بعد فراغ العبادة .

وممن قال ذلك مالك وإبراهيم النخعى وداود الظاهرى ، وقال به من القراء حمزة ، ونقل عن أبى هريرة .

وهناك قول ثالث : وهو الاستعاذة قبل القراءة وبعدها جمعا بين الدليلين ، والله أعلم[١] .

---

(١) راجع تفسير ابن كثير ١ / ١٤ ، ١٥ .

ذكر الله والصلاة

الصلاة رباط روحى وثيق ، يشد المسلم إلى آفاق الملأ الأعلى ، ويدفع به إلى الخيرات كلها .

بالصلاة يستفتح المسلم يومه فيكون فى ذمة الله محفوظا ، فقد أخرج مسلم فى صحيحه بسنده عن جندب بن سفيان قال : قال رسول الله ﷺ : « **من صلى الصبح فهو فى ذمة الله ، فانظر يا ابن آدم لا يطلبنك الله من ذمته بشىء** » .

وبالصلاة يختتم المسلم يومه ليسلم روحه إلى الله إن شاء حبسها ورحمها ، وإن شاء أرسلها وحفظها . ففى صحيح البخارى عن البراء بن عازب رضي الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ : « **إذا أتيت مضجعك فتوضأ وضوءك للصلاة ، ثم اضطجع على شقك الأيمن ، وقل: اللهم أسلمت نفسى إليك ، ووجهت وجهى إليك ، وفوضت أمرى إليك ، وألجأت ظهرى إليك ، رغبة ورهبة إليك ، لا ملجأ ولا منجى منك إلا إليك ، آمنت بكتابك الذى أنزلت ، وبنبيك الذى أرسلت** » .

والمسلم بين يقظته ونومه يقف بين يدى ربه طاهرا متطهرا مرات عدة ؛ ليؤدى الصلاة مفروضة ومسنونة فينشرح صدره وتقوى عزيمة إيمانه فينتصر على الشيطان والنفس الأمارة .

ففى صحيح الحديث عن أبى هريرة قال : سمعت رسول الله ﷺ يقول : « **أرأيتم لو أن نهرا بباب أحدكم يغتسل منه كل يوم خمس مرات ، هل يبقى من درنه شىء؟ قالوا : لا يبقى من درنه شىء ، قال : فذلك مثل الصلوات الخمس يمحو الله بهن الخطايا** » .

ولهذه الأهمية الكبرى الصلاة يسعى الشيطان لحرمان المسلم من بركاتها بصرفه عنها أو عدم الخشوع فيها .

وعلى سبيل المثال فإن الشيطان يحرص على أن يظل الإنسان نائما لا يقوم لصلاة الصبح ، ويحكم قبضته عليه يعقد ثلاث عقد على قافيته ؛ لأن القافية أطوع للشيطان وأسرع للإجابة .

فإذا حاول المرء أن يقوم من نومه ويقاوم خدعه الشيطان ، وقال له : عليك ليل طويل فارقد .

فإذا صدقت عزيمة المسلم واستيقظ وذكر الله انحلت عقدة من عقد الشيطان الثلاث ، فإذا توضأ وتطهر انحلت العقدة الثانية ، فإذا صلى انحلت العقدة الثالثة واستقبل يومه بخير

ونشاط وأصبح طيب النفس منشرح الصدر ، وإلا انتابته الهموم من كل جانب ، وتكالبت عليه الفتن وأسلمته إلى الشيطان .

وفى هذا يقول النبى ﷺ ـ كما فى صحيح البخارى :

« يعقد الشيطان على قافية رأس أحدكم إذا هو نام ثلاث عقد ، يضرب على مكان كل عقدة : عليك ليل طويل فارقد ، فإن استيقظ فذكر الله انحلت عقدة ، فإن توضأ انحلت عقدة ، فإن صلى انحلت عقدة فأصبح نشيطا طيب النفس ، وإلا أصبح خبيث النفس كسلان » .

ومثل هذا الشخص النؤوم الذى يفوت على نفسه الصلاة قد وصفه الرسول ﷺ وصفا آخر أشد تنفيرا ، وهو أن الشيطان يبول فى أذنه ، ويحجب عنه سماع الأذان ، ويسلب منه الانتفاع بنعمة السمع فلا يسمع خيرا .

وناهيك عن البول وبول الشيطان ، وما فيه من قذر ونجس . **ففى صحيح البخارى : أن رجلا ذكر عند النبى ﷺ فقيل : مازال نائما حتى أصبح ما قام إلى الصلاة ، فقال عليه الصلاة والسلام : « بال الشيطان فى أذنه ... » .**

ولا تقتصر محاولات الشيطان على النوم بل تتواصل أثناء العبادة ليفسدها على المرء ، فإذا قام المسلم للصلاة فعليه أن يتم الصف الأول فالأول ولا يدع فرجة للشيطان يتخلل منها بين الصفوف . **ففى حديث رواه أبو داود بإسناد صحيح عن ابن عمر رضي الله عنهما أن رسول الله ﷺ قال: « أقيموا الصفوف ، وحاذوا بين المناكب ، وسدوا الخلل ، ولينوا بأيدى إخوانكم ، ولا تذروا فرجات للشيطان ، ومن وصل صفا وصله الله ، ومن قطع صفا قطعه الله » .**

وإذا دخل المسلم فى الصلاة فالتفت يمنة أو يسرة فقد حرمه الشيطان من نعمة الخشوع بين يدى الله ، وفوت عليه خيرا كثيرا .

ففى صحيح البخارى : أن السيدة عائشة رضي الله عنها ، سألت رسول الله ﷺ عن الالتفات فى الصلاة ، فقال : **« هو اختلاس يختلسه الشيطان من صلاة العبد »** .

وإذا لم يتأمل المرء صلاته ، ولم يمعن التفكير فى قراءته وتسبيحاته ، فقد أصبح أسيرا للشيطان يعبث بفكره ووعيه ، ويصرفه عن ثواب الله وفضله .

ففى صحيح البخارى بسنده عن أبى هريرة قال : قال رسول الله ﷺ : « إذا نودى للصلاة أدبر الشيطان وله ضراط ، حتى لا يسمع التأذين ، فإذا قضى النداء أقبل ، حتى إذا ثوب بالصلاة أدبر ، حتى إذا قضى التثويب أقبل حتى يخطر بين المرء ونفسه ، يقول : اذكر كذا ، اذكر كذا ، لما لم يكن يذكر ، حتى يظل الرجل لا يدرى كم صلى » .

وإنما كان للشيطان ضراط عند سماع الأذان ؛ لشدة الهول والفزع ؛ ولخطر الأذان على مخططات الشيطان .

فالمؤذنون أطول الناس أعناقا يوم القيامة .

وإنه لا يسمع مدى صوت المؤذن جن ولا إنس ولا شيء إلا شهد له يوم القيامة .

هكذا أخبر الصادق المصدوق ﷺ .

« ثم إن لكل مسلم مغفرة لذنوبه عندما يقول حين يسمع المؤذن : أشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له ، وأن محمدا عبده ورسوله ، رضيت بالله ربا وبمحمد رسولا وبالإسلام دينا » .

ومن سمع النداء ثم قال :

« اللهم رب هذه الدعوة التامة والصلاة القائمة ، آت محمدا الوسيلة والفضيلة ، وابعثه مقاما محمودا الذى وعدته ... » .

من قال ذلك حلت له شفاعة النبى ﷺ يوم القيامة .. ثم إن المسلمين يجتمعون فور سماع الأذان لصلاة جماعة لها من الثواب والفضل ما يزيد على صلاة الفرد بسبع وعشرين درجة أليس ذلك كله يجعل الشيطان له ضراط .

وبهذا تتأكد أهمية الصلاة فى طرد الشيطان ومقاومته .

تلاوة القرآن

حياة المسلم مرتبطة بالقرآن حفظا وتحفيظا ، فهما ومدارسة ، حكما وتطبيقا ، ومدارسة القرآن والاجتماع حول تلاوته هدى نبوى كريم ، وفى صحيح الحديث أن النبى ﷺ قال : « ما اجتمع قوم فى بيت من بيوت الله يتلون كتاب الله ويتدارسونه بينهم إلا تنزلت عليهم السكينة وغشيتهم الرحمة وحفتهم الملائكة ، وذكرهم الله فيمن عنده » .

وحيث تتنزل الملائكة لا تتواجد الشياطين ؛ ولهذا حسن أن يقرأ المسلم القرآن فى بيته ، ويجعل لأهله نصيبا من الوقت يلتقى معهم حول مائدة القرآن ؛ ليكثر خير المنزل وينأى عنه الشيطان ، فلا تسمع فيه صخبا ولا فحشا ولا مقتا ، وحتى ينشأ ناشئ الفتيان على حب القرآن وحسن تلاوته وأدب الخشوع له .

وفى صحيح مسلم بسنده عن أبى هريرة قال : قال رسول الله ﷺ : « لا تجعلوا بيوتكم مقابر ، إن الشيطان ينفر من البيت الذى تقرأ فيه سورة البقرة » .

وهناك موقف طريف أخرجه البخارى حكاية عن أبى هريرة قال : وكلنى رسول الله ﷺ بحفظ زكاة رمضان ، فأتانى آت ، فجعل يحثو من الطعام ، فأخذته ، فقلت : لأرفعنك إلى رسول الله ﷺ قال : إنى محتاج ، وعلىّ عيال ، وبى حاجة شديدة ، فخليت عنه ، فأصبحت ، فقال رسول الله ﷺ :

« يا أبا هريرة ، ما فعل أسيرك الليلة ؟ »

قلت : يا رسول الله ، شكا حاجة وعيالاً فرحمته فخليت سبيله فقال : « أما إنه قد كذبك وسيعود » .

فعرفت أنه سيعود لقول رسول الله ﷺ فرصدته ، فجاء يحثو من الطعام ، فقلت : لأرفعنك إلى رسول الله ﷺ ، قال : دعنى فإنى محتاج ، وعلىّ عيال ، لا أعود ، فرحمته فخليت سبيله ، فأصبحت ، فقال لى رسول الله ﷺ : « يا أبا هريرة ، ما فعل أسيرك البارحة ؟» .

قلت : يا رسول الله ، شكا حاجة وعيالاً فرحمته فخليت سبيله . فقال : « إنه قد كذبك وسيعود » .

فرصدته الثالثة ، فجاء يحثو من الطعام فأخذته ،فقلت : لأرفعنك إلى رسول الله ﷺ ، وهذا آخر ثلاث أنك تزعم أنك لا تعود ثم تعود .

فقال دعني فإني أعلمك كلمات ينفعك الله بها .

قلت : ما هن ؟

قال : إذا أويت إلى فراشك فاقرأ آية الكرسي ، فإنه لن يزال عليك من الله حافظ ، ولا يقربك شيطان حتى تصبح .

فخليت سبيله فأصبحت ، فقال لي رسول الله ﷺ : « ما فعل أسيرك البارحة ؟» .

قلت : يا رسول الله ، زعم أنه يعلمني كلمات ينفعني الله بها ، فخليت سبيله .

قال : « ما هي ؟ » .

قلت : قال لي : إذا أويت إلى فراشك فاقرأ آية الكرسي من أولها حتى تختم الآية ﴿ اللَّهُ لا إِلَهَ إِلاَّ هُوَ الْحَيُّ الْقَيُّوم ﴾ ، وقال لي : لا يزال عليك من الله حافظ ، ولن يقربك شيطان حتى تصبح . فقال النبي ﷺ : « أما إنه قد صدقك وهو كذوب » . تعلم من تخاطب منذ ثلاث يا أبا هريرة ؟! » .

قلت : لا . قال : « ذاك شيطان » .

فقراءة القرآن والمحافظة على تلاوته مطردة للشيطان . ولتلاوة القرآن آداب ، فقد أخرج الإمام أحمد أن ناسا ذُكروا لعائشة ﷺ يقرؤون القرآن في الليل مرة أو مرتين فقالت : أولئك قرؤوا ولم يقرؤوا ، كنت أقوم مع النبي ﷺ ليلة التمام ، فكان يقرأ سورة البقرة وآل عمران والنساء ، فلا يمر بآية فيها تخوف إلا دعا الله واستعاذ ، ولا يمر بآية فيها استبشار إلا دعا الله ورغب إليه .

وعند عمق التأمل في التلاوة يبكي المسلم ويقشعر بدنه ، وذات يوم قال الرسول ﷺ لعبد الله بن مسعود : « اقرأ عليّ » فقال عبد الله : يا رسول الله ، أقرأ عليك وعليك أنزل ؟!

قال : « نعم » ، وفي رواية : « إني أشتهي أن أسمعه من غيري » فقرأ ابن مسعود سورة النساء حتى أتى هذه الآية ﴿ فَكَيْفَ إِذَا جِئْنَا مِن كُلِّ أُمَّةٍ بِشَهِيدٍ وَجِئْنَا بِكَ عَلَىٰ هَؤُلاءِ شَهِيداً ﴾ [النساء : ٤١]

فقال له رسول الله ﷺ : « حسبك الآن » .

فالتفت إليه ابن مسعود فإذا عيناه تذرفان .

ومن قصد السنة وهدى رسول الله أن يعاود المسلم ختم المصحف كل شهر كحد أقصى ، أو كل أسبوع كحد أدنى ، فهذا أدعى لائتلاف القلب ، واجتماع الشعور ، ووعى

القراءة ، وحسن التأمل .

وقد ثبت فى الصحيح أن النبى ﷺ عرض على ابن عمرو بن العاص رضي الله عنه أن يقرأ القرآن كل شهر مرة ، فلما قال له : إنى أجد قوة ، قال عليه الصلاة والسلام : « فاقرأه فى سبع ولا تزد على ذلك » .

وقد فهم العلماء أن النهى هنا ليس للتحريم ، وأن الأمر ليس للوجوب وإنما هو للإرشاد.

وقالوا : إن ذلك يختلف باختلاف الأشخاص فمن كان له بدقيق الفكر لطائف ومعارف ، فليقتصر على قدر يحصل له كمال فهم ما يقرأه .

وكذا من كان مشغولا بنشر العلم وغيره من مهمات الدين ومصالح المسلمين العامة فليقتصر على قدر ، لا يحصل بسببه إخلال بما هو مرصد له . . وإن لم يكن من هؤلاء فليستكثر ما أمكنه من غير خروج إلى حد الملل .

فالشعار العام قول الرسول ﷺ : « اقرؤوا القرآن ما ائتلفت عليه قلوبكم فإذا اختلفتم فقوموا عنه » .

ودوام القراءة هى ديدن المسلم استجابة لقول رسول الله : « إنما مثل صاحب القرآن كمثل صاحب الإبل المعقلة ، إن عاهد عليها أمسكها وإن أطلقها ذهبت » .

وفى رواية لأبى موسى الأشعرى : « تعاهدوا هذا القرآن فو الذى نفس محمد بيده لهو أشد تفلتا من الإبل فى عقلها » .

وطالما كان المسلم مكبا على تلاوة القرآن ، فإن الحسنات تتوالى عليه كما قال عليه الصلاة والسلام: « من قرأ حرفا من كتاب الله فله حسنة ، والحسنة بعشر أمثالها ، لا أقول : ألم حرف ، ولكن ألف حرف ولام حرف وميم حرف » .

وإن الملائكة تدنو منه تسدد خطاه وتتولى حفظه ، فيظل قلبه موصولا بالله ، ولسانه رطبا بذكر الله ، وجوارحه فى طاعة الله ، وعندئذ ينأى عنه الشيطان وتتراجع همزاته ويحبط كيده .

الزواج المبكر

يتكلم البعض كلاما آثما حول الزواج ، ويروج لفكرة العزوف عنه ، متعللا بأن الزواج تقييد للحرية الشخصية ، أو الزواج تبعات ومسؤولية لا يريد أن يخوض غمارها .

وهذا باب من أبواب الشيطان ، يصد الناس عن الحياة الشريفة ، ويدفعهم إلى الرذيلة ويسوقهم إلى الهاوية .

وإنى لأعجب أشد العجب ممن يقبلون على الأفلام الهابطة والأغانى الخليعة ، والتمثيليات المحمومة ، والقصص الفاضح ، والشواطئ العارية ، ونوادى المنكر ، والرحلات المختلطة الداعرة .. ثم يرفضون الزواج المبكر ، ويحسبونه هما وغما وكربا .

وإن هناك آباء وأمهات يتركون بنيهم وبناتهم للهو الفاجر ، ويمدونهم بالأموال الزائدة، ثم لا يفكرون فى زواجهم وإعفافهم فى ظل الأسرة الشريفة . والأمر الإلهى بالزواج للمستطيع واضح جلى فى قوله تعالى : ﴿ وَأَنكِحُوا الأَيَامَىٰ مِنكُمْ وَالصَّالِحِينَ مِنْ عِبَادِكُمْ وَإِمَائِكُمْ إِن يَكُونُوا فُقَرَاءَ يُغْنِهِمُ اللَّهُ مِن فَضْلِهِ وَاللَّهُ وَاسِعٌ عَلِيمٌ ﴾ [النور : ٣٢] .

والأمر هنا موجه إلى رب الأسرة وإلى ولى أمر المسلمين .

فرب الأسرة يسعى جهده لتزويج أولاده من الصالحين ، وولى الأمر العام يشجع على الزواج ويمنح القروض والمعونات ويبنى المساكن ويكرم الحياة الزوجية .

والزواج كله خير وكله رشد للفرد والمجتمع ، فالمواطن العفيف هو أساس المجتمع الطاهر ، وقد قال عليه الصلاة والسلام: « **يا معشر الشباب من استطاع منكم الباءة فليتزوج ، فإنه أغض للبصر وأحصن للفرج ، ومن لم يستطع فعليه بالصوم فإنه له وجاء** » .

والمعنى أن الإنسان بزواجه يعف نفسه ويحافظ على طهارة عرضه ويلبى غريزته فى إطار كلمة الله وأمانته ، ويغلق عن نفسه كثيرا من فتن الشيطان .

والزواج تعتريه أحكام ، فهو فى الأصل مندوب إليه ومستحب إذ هو الفطرة السوية القائمة على التلاقى بين الذكر والأنثى فى إطار شرع الله ، وقد قال عليه الصلاة والسلام لنفر من الشباب أرادوا الغلو فى الدين : « **إنى لأخشاكم لله وأتقاكم له ، ولكنى أصوم وأفطر ، وأصلى وأرقد ، وأتزوج النساء ، فمن رغب عن سنتى فليس منى** » .

وقد يكون الزواج واجبا عند القدرة وخوف العنت ، وقد يكون مكروها عند عدم

الاستطاعة ، وقد يكون حراما عند العجز الكلى عن المعاشرة ، وعند وجود بعض الأمراض المنفرة .

وليست الأسرة شركة تجارية أو تجمعا اقتصاديا أو ملهى ليليا ، وإنما قوام الأسرة هو الدين والأخلاق ، والإسلام لا يعرف الوأد الجنسى وليس من أنصار التسول الجنسى .

والإسلام حريص على أن يلتقى الناس على الدين ويتعايشوا به ، فهو صمام الأمان للنفس الإنسانية ، فكل من الشاب والفتاة مطالب أن يحرص على الدين والخلق عند اختياره لشريك حياته ، وبغير الدين لن تكون هناك روابط مقدسة ، ولن تستقر الحياة الزوجية ؛ لأن الأهواء مختلفة .

قال تعالى : ﴿ فَالصَّالِحَاتُ قَانِتَاتٌ حَافِظَاتٌ لِّلْغَيْبِ بِمَا حَفِظَ اللَّهُ ﴾ [النساء : ٣٤] .

فصلاح المرأة يتحقق بشيئين :

١ ـ طاعتها لزوجها ، فإنها من طاعة الله ما لم يأمر بمعصية .

٢ ـ صيانتها لعرضها عن الفاحشة وحفظها لمال زوجها عن الضياع . وقد أوصانا الرسول ﷺ بالحرص على المرأة المؤمنة التى تعرف حق الله ، وتسلك مسالك الفضيلة ، وتتقى الشبهات فقال : « تنكح المرأة لأربع ، لمالها وجمالها ولحسبها ولدينها ، فاظفر بذات الدين تربت يداك » .

فهذا الحديث يبين اتجاهات الناس حين يطلبون الزوجة ، فمنهم من يطلب المال ، ومنهم من يرغب فى الجمال ، ومنهم من يهتم بالحسب والجاه ، ومنهم من يبحث عن الدين والأخلاق .

والإسلام يرجح جانب الدين ، ويأمر المؤمنين بالولاء له والاستمساك به ، فخير الأزواج من كان مؤمنا تقيا نقيا .

ولا حرج شرعا أن يكون مع الدين الجمال والمال والحسب فيكون قد جمع الحسنات كلها ، لكن إذا وقف الإنسان موقف الاختيار فلا شىء يعلو على الدين ، فالجمال إلى ذبول، والمال إلى فناء ، والجاه إلى زوال ، والحياة كلها إلى موت .

ولا ينمو على مر الزمن ، ولا يزداد تألقا إلا الدين والخلق ، وإن الجمال والمال والجاه فى غيبة الدين وبال وفساد وطغيان .

ولهذا قال تعالى :﴿ وَلا تَنكِحُوا الْمُشْرِكَاتِ حَتَّىٰ يُؤْمِنَّ وَلأَمَةٌ مُّؤْمِنَةٌ خَيْرٌ مِّن مُّشْرِكَةٍ وَلَوْ أَعْجَبَتْكُمْ وَلا تُنكِحُوا الْمُشْرِكِينَ حَتَّىٰ يُؤْمِنُوا وَلَعَبْدٌ مُّؤْمِنٌ خَيْرٌ مِّن مُّشْرِكٍ وَلَوْ أَعْجَبَكُمْ أُولَٰئِكَ يَدْعُونَ إِلَى النَّارِ وَاللَّهُ يَدْعُو إِلَى الْجَنَّةِ وَالْمَغْفِرَةِ بِإِذْنِهِ وَيُبَيِّنُ آيَاتِهِ لِلنَّاسِ لَعَلَّهُمْ يَتَذَكَّرُونَ ﴾ [البقرة : ٢٢١] .

إن القيمة الكبرى للأسرة هي في المودة والرحمة ، والسكن الروحي والسكينة النفسية والنقاء العاطفي ، قال تعالى : ﴿ وَمِنْ آيَاتِهِ أَنْ خَلَقَ لَكُم مِّنْ أَنفُسِكُمْ أَزْوَاجًا لِّتَسْكُنُوا إِلَيْهَا وَجَعَلَ بَيْنَكُم مَّوَدَّةً وَرَحْمَةً إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِّقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ ﴾ [الروم : ٢١] .

وفي حديث عبد الله بن عمرو عند ابن ماجة رفعه قال : « **لا تزوجوا النساء لحسنهن، فعسى حسنهن أن يرديهن ، ولا تزوجوهن لأموالهن ، فعسى أموالهن أن تطغيهن ، ولكن تزوجوهن على الدين ، ولأمة سوداء ذات دين أفضل** » .

وهذا المعنى موجه للرجال والنساء جميعا حتى نحسن الاختيار وتحقق السعادة .

إن عبدة الشيطان يعيشون حياة الغاب ، ويعيدون سيرة الجاهلية الأولى ، ويجدون من سياسة الدول الكبرى وسير الزعماء وحياة المشاهير ، ما يدفعهم إلى حمأة الرذيلة ومستنقع الفاحشة ، ومن غرائب الطبيعة ما نشرته الصحف ، أن « مانديلا » رئيس جمهورية جنوب أفريقيا ، وقع في حب أرملة رئيس جمهورية موزمبيق ، وأنها تقضي معه أسبوعين كل شهر في قصره .

وصرح مصدر مسؤول في رئاسة الجمهورية : أن « مانديلا » لا ينوي الزواج بها ؛ لأن طبيعة سنه (٧٨) لا تسمح له بذلك وأنه سيبقى على صداقته معها فقط [١] .

يا سبحان الله ، الزواج غير مناسب ، أما الزنا والفاحشة واتخاذ الأخدان فهو الشيء الطبيعي . . !!

---

(١) صحيفة الأهرام بتاريخ ٢/٩/١٩٩٦م .

بناء الإنسان

خلق الله الإنسان بطبيعة غير طبيعة الملك وغير طبيعة الحيوان الأعجم ، فالملك مفطور على الطاعة ، والحيوان الأعجم خارج عن دائرة التكليف ، والإنسان وحده هو حامل أمانة التكليف ومسؤولية تطبيق الشريعة الإلهية .

والتكليف هو إلزام ما فيه كلفة ومشقة ، وهو قائم على الأمر والنهى ، ولولا أن الإنسان مستطيع للفعل والترك ، وجائز عليه الخطأ والصواب لما صح تكليفه شرعا ، ولما تعاقبت عليه الرسالات الإلهية تضيء له الطريق وتنقذه مما قد يتردى فيه .

وصدق الله العظيم حيث يقول : ﴿ وَنَفْسٍ وَمَا سَوَّاهَا . فَأَلْهَمَهَا فُجُورَهَا وَتَقْوَاهَا . قَدْ أَفْلَحَ مَن زَكَّاهَا . وَقَدْ خَابَ مَن دَسَّاهَا ﴾ [الشمس : ٧ ـ ١٠] .

وبناء الإنسان فى الإسلام له مجموعة أركان هى :

١ ـ جانب تربوى قائم على الترغيب والترهيب ، وتأصيل حب الخير فى النفس ، ومراقبة الله عز وجل مراقبة تنبع من داخل النفس الإنسانية ، حتى يتحقق معنى قوله تعالى: ﴿ أَلَمْ يَعْلَم بِأَنَّ اللَّهَ يَرَى ﴾ [العلق : ١٤] .

٢ ـ دعوة المرء إلى التوبة والاستغفار بالندم على ما فرط منه فى جنب الله تعالى ، والإقلاع عن المعصية فلا يقيم عليها ، والعزم على عدم العود إلى ما يغضب الله سبحانه ، ورد الحقوق لأصحابها إن كانت المعصية تتعلق بحق من حقوق العباد ، والإكثار من العمل الصالح وطيبات السلوك والإقبال على الله بكنه الهمة ، وكامل العزيمة ، وصدق التوجه .

وليس فى دين الله معصية لا تقبل التوبة منها ، ولا ذنب لا يغفره الله لمستغفر ، فالكافر يسلم: قال تعالى : ﴿ قُل لِّلَّذِينَ كَفَرُوا إِن يَنتَهُوا يُغْفَرْ لَهُم مَّا قَدْ سَلَفَ ﴾ [الأنفال : ٣٨].

والعاصى يتوب : قال تعالى : ﴿ وَتُوبُوا إِلَى اللَّهِ جَمِيعًا أَيُّهَا الْمُؤْمِنُونَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ ﴾ [النور : ٣١] ، ولا يدع الله مذنبا على يأس ، ولا عاصيا على قنوط ، بل النداء العام الخالد الذى رفعه القرآن هو: ﴿ قُلْ يَا عِبَادِيَ الَّذِينَ أَسْرَفُوا عَلَىٰ أَنفُسِهِمْ لَا تَقْنَطُوا مِن رَّحْمَةِ اللَّهِ ﴾ [الزمر:٥٣]

وفى الحديث الشريف عن أنس ﷺ قال : سمعت رسول الله ﷺ يقول : « قال الله تعالى : يابن آدم،إنك ما دعوتنى ورجوتنى غفرت لك على ما كان منك ولا أبالى،يابن آدم ،

لو بلغت ذنوبك عنان السماء ثم استغفرتني غفرت لك ، يابن آدم ، إنك لو أتيتني بقراب الأرض خطايا ثم لقيتني لا تشرك بي شيئا لأتيتك بقرابها مغفرة » رواه الترمذي وقال : « حسن صحيح » .

٣ ـ مطاردة شواذ المجتمع عن طريق الحدود والتعزيرات ، فمن سرق قطعت يده ، ومن زنا جلد مائة جلدة إن كان غير محصن ، أو رجم إن كان محصنا ، ومن قتل بغير حق قُتل ، ومن قطع الطريق وروع الآمنين قتل أو صلب أو قطعت يده ورجله من خلاف أو نفي من الأرض . والحدود زواجر تمنع انتشار الجريمة وتستأصل بذورها الفاسدة ، ثم هي كفارات تجبر الذنب وتصلح حال النفس ، والله تعالى أكرم من أن يضاعف العقوبة على عبده في الآخرة .

ومن الملاحظ : أن الحدود التي أقيمت على بعض الناس في العهد الأول للإسلام ، كانت قائمة على اعتراف بادر إليه صاحب الذنب تطهيرا لبدنه ، وتكفيرا لخطيئته حتى يلقى الله طاهرا مطهرا .

وفي صحيح مسلم بسنده عن عمران بن حصين أن امرأة من جهينة أتت نبي الله ﷺ وهي حبلى من الزنا فقالت : يا نبي الله ، أصبت حدا فأقمه عليّ .

فدعا نبي الله ﷺ وليها فقال : « أحسن إليها فإذا وضعت فائتني بها » ، ففعل ، فأمر نبي الله ﷺ فشكت [1] عليها ثيابها ، ثم أمر بها فرجمت ، فصلى عليها .

فقال له عمر : تصلي عليها يا نبي الله وقد زنت .

فقال : « لقد تابت توبة لو قسمت بين سبعين من أهل المدينة لوسعتهم ، وهل وجدت توبة أفضل من أن جادت بنفسها لله تعالى ؟! » .

ومتى حقق المسلم الاستقامة والتقوى ولازم التوبة والاستغفار فقد انتصر على الشيطان .

وإن معاودة الذنب لا يمنع من تكرار التوبة . . ففي صحيح مسلم بسنده عن أبي هريرة عن النبي ﷺ فيما يحكيه عن ربه عز وجل قال :

« أذنب عبد ذنبا فقال : اللهم اغفر لي ذنبي ، فقال تبارك وتعالى : أذنب عبدي ذنبا فعلم أن له ربا يغفر الذنب ويأخذ بالذنب .

ثم عاد فأذنب فقال : أي رب ، اغفر لي ذنبي ، فقال تبارك وتعالى : أذنب عبدي ذنبا فعلم أن له ربا يغفر الذنب ويأخذ بالذنب .

ثم عاد فأذنب فقال : أي رب ، اغفر لي ذنبي ، فقال تبارك وتعالى : أذنب عبدي ذنبا

---

(١) جمع عليها ثيابها ، وشدت حتى لا تتكشف عورتها .

فعلم أن له ربا يغفر الذنب ويأخذ بالذنب ، اعمل ماشئت فقد غفرت لك » .

قال الراوي : لا أدرى أقال فى الثالثة أو الرابعة : اعمل ما شئت .

وقد وهم بعض الناس فظنوا أن مثل هذا الحديث دعوة إلى استمراء المعصية والإقامة عليها ، ولكن الحقيقة أن الحديث دعوة إلى التطهر المستمر ، والندم المتواصل حتى لا يظل الشيطان قابعا فى عقل المرء وقلبه ، فإن البديـل للتـوبة المتجددة هـو سبيل المعصية الدائمة . . !!

ولهذا قيل للحسن : ألا يستحى أحدنا من ربه ، يستغفر من ذنوبه ثم يعود ، ثم يستغفر ثم يعود ؟!

فقال : ودّ الشيطان لو ظفر منكم بهذه ، فلا تملوا من الاستغفار .

التعليم ومناهج التربية الإسلامية

إن مهمة التعليم فى المقام الأول هى الحفاظ على الهوية الشخصية للأمة الإسلامية ، فلا يكفى مجرد التعليم العام بل يجب أن يكون للتربية الإسلامية دور نشط فى العلم والعمل فى جميع مراحل التعليم .

وليست المدارس والجامعات مجرد أبنية للمعامل والمختبرات ، وإنما هى ـ قبل ذلك وبعده ـ دور لتربية المواطن الصالح ، وتقديم ما ينفعه فى الدنيا والآخرة ، ويعلى سلوكه ويحفظ شرف إنسانيته .

ومن المفارقات : أن يخرج علينا وزير التعليم بمفاهيم جديدة للتعليم لا تغنى من الحق شيئا ، ولا تلبى طموحات أمتنا ، وتنحصر فى أمور سطحية وأحيانا وهمية لا وجود لها إلا فى مخيلة المفتونين بالحداثة والمعاصرة .

لقد حدد وزير التعليم المفاهيم الجديدة بأنها [1]:

١ ـ الأمن القومى .
٢ ـ محاربة الإرهاب والتطرف .
٣ ـ الوحدة الوطنية .
٤ ـ التربية الديمقراطية .
٥ ـ مبادئ حقوق الإنسان .
٦ ـ حقوق الطفل .
٧ ـ مفاهيم سكانية .
٨ ـ المساواة بين الجنسين .
٩ ـ البيئة والحفاظ عليها .
١٠ ـ الموارد الطبيعية والحفاظ عليها .
١١ ـ السياحة .
١٢ ـ قواعد المرور .
١٣ ـ المفاهيم الصحية الأساسية .
١٤ ـ التغذية السليمة .
١٥ ـ محاربة الإدمان .

وأقول فى غير مبالغة : إن المفاهيم الجديدة للتعليم فى مصر ـ كما شرحها وزير التعليم ـ هى حرث فى البحر ، وتضييع للوقت والجهد ، وإهدار للثروة ، وترديد لقوالب فكرية غامضة وجوفاء ، ولن ينهض بها التعليم ، ولن تحقق هدفا قوميا ، وستزيد من الضياع والتشرد الذى يعانى منه شباب الأمة ..!!

أيها السادة : إن كل الصيد فى جوف الفرا .

---

(١) نشرتها صحيفة الأهرام بتاريخ ٩/٤/١٩٩٧ م .

فإذا أردتم الأمن ، والوحدة الوطنية ، وحقوق الإنسان ، والحفاظ على البيئة والموارد الطبيعية ، والسلامة البدنية فلن يكون ذلك فى غيبة التربية الإسلامية .

إن المواطن المتدين هو المواطن المكافح الأمين الشريف ؛ لأن الحفاظ على قدسية الله هو مقدمة الحفاظ على حقوق الإنسان ؛ ولأن الوفاء بعهد الله هو بداية الوفاء لعهود البشر .

ولن نحسن الانتفاع بالبيئة والموارد الطبيعية ما لم ندرك أنها من صنع الله الذى أتقن كل شىء ، ومن آثار نعمائه التى لا تعد ولا تحصى . . !!

إن مراقبة الله تعالى والإخلاص لوجهه الكريم والحرص على مرضاته ، هو أساس القيم ، وأصل الفضائل ، ومنطلق الخير كله ، وقد قال الله تعالى : ﴿ **لَن يَنَالَ اللَّهَ لُحُومُهَا وَلَا دِمَاؤُهَا وَلَكِن يَنَالُهُ التَّقْوَىٰ مِنكُمْ** ﴾ [الحج : ٣٧] .

وقال عليه الصلاة والسلام فى صحيح الحديث : « **إنما الأعمال بالنيات وإنما لكل امرئ ما نوى** » .

وإذا كانت التربية الإسلامية مطلوبة فى المراحل الأولى للتعليم ضمانا لحسن التربية والنشأة ، فإنها فى المراحل الأخيرة للتعليم أشد ضرورة وألزم مطلبا ، فإن مرحلة الشباب تفرز تساؤلات وتحيط بها مشكلات وتلفها إغراءات لا حل لها إلا فى ظلال الدين ، ومن خلال هدى القرآن والسنة .

والتربية الإسلامية تقوم على أمرين فى غاية الأهمية هما :

١ ـ المعلم الذى يجب أن يكون ذا ثقافة واسعة وعلم أمين وعمل صالح وقدوة حسنة .

٢ ـ المنهج الذى يبنى الشخصية الإسلامية السوية ويحافظ عليها .

ونحن نتصور منهج التربية الإسلامية على النحو التالى :

١ ـ حفظ القرآن وتجويده ودراسته :

وهذا الجانب هو الأصل للحياة الإسلامية بأجمعها ، فمن القرآن المجيد تستقى العقيدة ، وعليه تبنى الأخلاق ، وبه تصح العبادات ، وعلى ضوئه نعرف قصص الأنبياء وتاريخ الإنسان ، وتتحدد ملامح الأمة الإسلامية وحضارتها .

قال تعالى : ﴿ **فَاسْتَمْسِكْ بِالَّذِي أُوحِيَ إِلَيْكَ إِنَّكَ عَلَىٰ صِرَاطٍ مُّسْتَقِيمٍ . وَإِنَّهُ لَذِكْرٌ لَّكَ وَلِقَوْمِكَ وَسَوْفَ تُسْأَلُونَ** ﴾ [الزخرف : ٤٣ ، ٤٤] .

٢ ـ أصول الدين وعقيدة الإسلام :

فإن العقيدة هى مفتاح شخصية المسلم ، وعليها قبول الأعمال ، وبها تتمايز الأديان .

ويجب أن يقوم المنهج على ترسيخ عقيدة الإسلام بجلالها وشموخها وسماحتها ويسرها .

٣ ـ العبادات والأخلاق :

فالعبادات هى الترجمة الأمينة لعقيدة الإسلام ، والأخلاق هى الثمرة العليا ، وبذلك ينشرح الصدر وينبعث الأمل ويسود الأمن ، وينطلق الناس فى تنافس شريف وتعاون طيب لبناء الحياة والحضارة .

٤ ـ السيرة النبوية :

إن سيرة سيدنا محمد ﷺ هى النموذج الأكمل فى تاريخ البشر ، وهى مثال المثل فى فضائل الإنسان ، وهى الأسوة الحسنة لمن يريد معارج الرقى الروحى والأخلاقى والاجتماعى.

٥ ـ تاريخ الخلفاء الراشدين :

فإن عصر الخلفاء الراشدين أبى بكر الصديق ، وعمر الفاروق ، وعثمان ذى النورين، وعلى كرم الله وجهه هو العصر الذهبى للتطبيق الإسلامى ، فهم خير القرون ، ولهم من جلائل الأعمال ، وعظائم المكارم ما يجعلهم محل التكريم والاقتداء .

إن هذا الإطار لمنهج التربية الإسلامية يجب أن يكون عاما لجميع مراحل التعليم بلا استثناء ، وأن يقدم لكل مرحلة بما يتناسب معها ، وأن يتضمن فى كل جانب منه ما يثار حوله من شبهات أعداء الإسلام والرد عليها .

التعليم الأجنبى :

لوحظ أن أعضاء منظمة « عبدة الشيطان » من طلاب الجامعة الأمريكية والعائدين من دراساتهم بالخارج .

وهذا يحتاج إلى وقفة لوجه الله قبل أن يأتى الطوفان .

إن التعليم الأجنبى فى المجتمعات الإسلامية له رافدان :

١ ـ المدارس الأجنبية داخل بلاد المسلمين .

٢ـ الانبعاث للدراسة فى دول العالم الخارجى .

وكلا الرافدين له جوانب سلبية على تربية الشباب وتنشئة الأجيال ، فإن للمدارس

الأجنبية أهدافا غير معلنة تخدم مصالح أعداء الأمة ، وإن انبعاث أبنائنا إلى الدول الأجنبية يجعلهم يعيشون حياة لا تعرف قيما ولا تتمسك بآداب ، ولا تصون أعراضا نحن نعتز بها.

إن لغير المسلمين اليوم أخلاقا غير أخلاقنا ، ولهم عادات وتقاليد نمقتها وتتنافى مع شريعتنا .

فالمسألة تحتاج إلى حذر شديد وفطنة واعية .

نحن لدينا من الكفاءات الإسلامية والمناهج التربوية ما يأخذ بأيدينا إلى الرفعة والسؤدد ، ولسنا فى حاجة إلى مدارس أجنبية تقتحم علينا بيوتنا ، وتمسخ لدينا شبابنا وتقدم لهم معرفة موجهة تخدم مصالح الأعداء . ونحن نعد الانبعاث من باب الضرورات التى لا نلجأ إليها إلا بقدر الحاجة ﴿ غَيْرَ بَاغٍ وَلَا عَادٍ ﴾ [البقرة : ١٧٣].

وإن المسلم حيال الحضارة الحديثة لا يرفض كل شىء ولا يقبل كل شىء وإنما هو ينتقى ، فيأخذ ما يمثل تقدما حقيقيا فى البحث العلمى بكافة صوره ، ويرفض ما يمثل جاهلية حقيقية كسلوكيات الشذوذ والجنس والمسكرات .

إن للحضارة الحديثة وجها قبيحا يجب أن نبصر به شبابنا حتى لا نقع فيما وقعوا فيه من أمراض القلق وحياة الضياع وشعور الحسرة .

ونحن نقترح :

- وقف انبعاث الطالبات المسلمات إلى هذه البلاد الموبوءة فإن المرأة أضعف مقاومة وأسرع انحرافا .
- وقف الانبعاث فى فنون الموسيقى والرقص والتمثيل وكافة أشكال العفن الأخلاقى .
- وقف الانبعاث فى جوانب الاقتصاد المنزلى وإعداد الموائد والعلاقات العامة وكافة الألوان التافهة من الحياة .
- وضع ضوابط للشباب الذين نقذف بهم إلى هذه المجتمعات المفضوحة ، بما يمنحهم الحصانة ضد العدوى ، فنصنع لهم مناهج خاصة فى الثقافة الإسلامية يجب اجتيازها أولا ، ونعطيهم حق العودة إلى الوطن فى إجازات سنوية على حساب الدولة .
- تعيين ملحق دينى فى سفاراتنا لدى الدول الأجنبية لمتابعة هؤلاء الطلاب وإدارة الحوار معهم . **فلا قيمة للعلم من غير أخلاق ودين .**

الدعوة والدعاة

هناك تصور شائع يحسب أن كل أئمة المساجد دعاة .

ونحن نرفض هذا التصور ؛ لأن أئمة المساجد ـ في الأصل ـ موظفون لرعاية المساجد والإعلان بالصلاة وإمامة المسلمين في الأوقات الخمسة ، وهذه مهمة يكتفى فيها ـ لدى كثير من الدول الإسلامية ـ بقدر ضئيل من الثقافة الإسلامية ، أشبه ما يكون بمحو الأمية الدينية .

وكثير من هؤلاء إذا اعتلى المنبر لخطبة الجمعة يكون قد نسخها من بعض الكتب ، وقد لا يحسن قراءتها ، وتتحول خطبة الجمعة إلى حصة قراءة فاشلة .

وما هؤلاء بالدعاة ..!! ولا بهؤلاء تنهض الدعوة ..!!

إن الداعية رجل يحمل مؤهلات فطرية ومكتسبة ، ولديه مواهب فكرية ، وله بصيرة الحكيم ، وفراسة المؤمن ، ويعيش قضايا أمته وفكر عصره .

وهؤلاء الدعاة لا يقاسون بالكثرة ، وإنما يكفى فى كل منطقة عدد قليل ، يمثلون مدارس اجتهادية ، ويلتف حولهم الناس لعلمهم وعملهم وإخلاصهم وحكمتهم .

وقد يكون هؤلاء الدعاة أئمة فى مساجد ، أو أساتذة في جامعات أو مسؤولين فى الإعلام المقروء والمسموع والمرئى ، أو أطباء فى مستشفى ، أو مهندسين فى مصنع ، أو سفراء لبلادهم فى دول العالم .

ولا ننسى أن الذين نشروا الإسلام فى أقصى بلاد الدنيا كانوا تجارا يعيشون بأخلاق الإسلام .

وقد قال رسول الله ﷺ ـ فى صحيح الحديث ـ : « **لا يزال من أمتى أمة قائمة بأمر الله، لا يضرهم من خذلهم ولا من خالفهم حتى يأتى أمر الله وهم على ذلك** » .

وجاء فى حديث رواه أبو داود قول رسول الله ﷺ : « **إن الله يبعث لهذه الأمة على رأس كل مائة سنة من يجدد لها دينها** » .

والمراد بالبعث ليس بعث النبوة بأن النبوة قد خُتمت بسيدنا محمد ﷺ ، وإنما البعث بعث إيجاد وتدبير وعناية .

وإذا أراد الله أمرا يسر له أسبابه .

والمسلمون اليوم مطالبون بإعداد الدعاة ، ويتحقق ذلك على المستوى العالمى بما يلى :

١ ـ إقامة معاهد العلم والجامعات فى بلاد المسلمين المحرومة من التعليم .

٢ ـ زيادة المنح الدراسية لأبناء الجاليات الإسلامية ليتفقهوا فى الدين ، ولينذروا قومهم إذا رجعوا إليهم .

٣ ـ إنشاء مراكز البحوث والترجمة لملاحقة ما يقال عن الإسلام ورد الشبهات .

٤ ـ العناية بطباعة المصحف الشريف وترجمة معانيه إلى كل لغات العالم .

٥ ـ إحياء الأوقاف الإسلامية ، وتوجيه الاستثمارات الإسلامية إلى تنمية المجتمعات الإسلامية الفقيرة ، والنهوض بأبنائها وبناتها حتى لا تتلقفهم الأيدى الصليبية الحاقدة .

وعلى المستوى الإقليمى والمحلى بما يلى :

١ ـ ربط المسلم بالمسجد : فإن لذلك أهمية تربوية كبرى ، فالمسجد فى الإسلام هو الجامع والجامعة ، وكل بقعة تتحول إلى مسجد تصبح بيتا طاهرا لله يهرب منها الشيطان .

٢ ـ احترام العالم وتبجيله : أحد عوامل تربية الشباب ، فاحترام العالم هو احترام للدين نفسه ، وللعلم الذى يحمل أمانته ، وللرسالة التى يؤديها .

٣ ـ إقامة حلقات تحفيظ القرآن الكريم فى المساجد للصغار والكبار ،للرجال والنساء ؛ لأنّ القرآن هو حياة المسلم وشرفه وعرضه ومناط عزه وسعادته فى الدنيا والآخرة .

٤ ـ إقامة المحاضرات والندوات الدائمة فى المساجد ، وتعاقب العلماء عليها فى مواقيت ثابتة حتى تصبح المساجد مراكز إشعاع فكرى وثقافى .

٥ ـ الحرص على بناء المسجد الجامع ذى المرافق المتعددة ، فيختار فى كل منطقة مسجد جامع تؤدى فيه الجمعة ،ويلقى فيه الخطبة إمام له مواهب خاصة ، ويلحق بالمسجد المستشفى ودار اليتيم والتأهيل المهنى ومقر الزكاة،بحيث يكون المسجد مستقلا فى مبناه المعد للصلاة ، ليس فوقه ولا تحته شىء ، وبجواره هذه المرافق العامة التى تساعد فى النهضة الاقتصادية والاجتماعية للحى .

إصلاح الإعلام

إن الغزو الإعلامى خطير جدا ، ولابد للمسؤولين عن الإعلام فى الدول الإسلامية أن يتفقوا على خطة شاملة لمواجهة هذا الشر المستطير ،ولنبدأ بأنفسنا ولنصحح مسيرة إعلامنا ، ولننقذه من القابعين فى أركانه من عملاء الصهيونية والصليبية وأعداء الأمة .

وإن الحفاظ على جوهر الشخصية الإسلامية هو الطود الأشم الذى يصد كافة موجات الغزو الفكرى والإعلامى .

إن تصورى لإصلاح الإعلام يقوم على مجموعة محاور هى :

١ ـ أن يكون هدف الإعلام هو التمكين للدعوة الإسلامية ، وبناء المواطن المسلم ، وتقديم الحياة الإسلامية الصحيحة .

٢ ـ أن يعد رجل الإعلام ليكون رجل دعوة ، يمثل سمو الهدف ويقدم صورة مشرفة لرجل الإسلام .

٣ ـ أن يهتم الإعلام بتقديم وقائع الحياة الإسلامية المعاصرة من منظور إسلامى .

٤ ـ أن يبرز نماذج الكفاح الإسلامى المعاصر اقتصاديا وسياسيا وعلميا وعسكريا .

٥ ـ أن ينحو منحى تربويا يسعى إلى الارتقاء بالذوق والفكر والسلوك ، وليس يسعى إلى مسايرة أهواء الناس وشهواتهم .

إن أمتنا تملك اليوم عشرات القنوات الفضائية ، وتبث مئات الساعات الإذاعية يوميا ، وتملك قدرات إعلامية كبيرة .

لكنها مع الأسف لا تخدم قضايا الأمة ، ولا تعلى من شأن قيمها ، ولا تحافظ على ثوابتها .

ونحن لا نخشى الإعلام الخارجى ، وإنما يعنينا فى المقام الأول ماذا نقدم لأنفسنا ولأمتنا؟!

ولو أحسنا صياغة الإعلام وضبط إيقاعه وتحديد مسؤولياته لكان ذلك خيرا كثيرا .

معرفة الأعداء

إن معرفة العدو تيسر الوقاية منه ، وتدفع إلى الحذر والحيطة فى التعامل معه ، وتجعل المرء دائما فى يقظة لمكره وخداعه .

وقد كشف القرآن كثيرا من الأعداء ، وأحبط خططهم ، وفضح أساليبهم فقال : ﴿يَحْذَرُ الْمُنَافِقُونَ أَن تُنَزَّلَ عَلَيْهِمْ سُورَةٌ تُنَبِّئُهُم بِمَا فِي قُلُوبِهِمْ قُلِ اسْتَهْزِءُوا إِنَّ اللَّهَ مُخْرِجٌ مَّا تَحْذَرُونَ﴾ [التوبة : ٦٤]

ونبه القرآن إلى ضرورة معرفة العدو فقال : ﴿ وَإِذَا رَأَيْتَهُمْ تُعْجِبُكَ أَجْسَامُهُمْ وَإِن يَقُولُوا تَسْمَعْ لِقَوْلِهِمْ كَأَنَّهُمْ خُشُبٌ مُّسَنَّدَةٌ يَحْسَبُونَ كُلَّ صَيْحَةٍ عَلَيْهِمْ هُمُ الْعَدُوُّ فَاحْذَرْهُمْ قَاتَلَهُمُ اللَّهُ أَنَّىٰ يُؤْفَكُونَ﴾ [المنافقون : ٤] .

وأعداء المسلم هم :

١ ـ الشيطان

٢ ـ النفس الأمارة بالسوء

٣ ـ بعض الأولاد والأزواج

٤ ـ رفقاء السوء

٥ ـ الكافر المحارب

ولكل واحد من هؤلاء لون من التعامل وكيفية للمواجهة .

فالشيطان يواجه بطاعة الله ، والاستقامة على الشرع ، والتوبة من المعصية والإكثار من العمل الصالح .

قال الله تعالى : ﴿ إِنَّمَا يُرِيدُ الشَّيْطَانُ أَن يُوقِعَ بَيْنَكُمُ الْعَدَاوَةَ وَالْبَغْضَاءَ فِي الْخَمْرِ وَالْمَيْسِرِ وَيَصُدَّكُمْ عَن ذِكْرِ اللَّهِ وَعَنِ الصَّلَاةِ فَهَلْ أَنتُم مُّنتَهُونَ . وَأَطِيعُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ وَاحْذَرُوا فَإِن تَوَلَّيْتُمْ فَاعْلَمُوا أَنَّمَا عَلَىٰ رَسُولِنَا الْبَلَاغُ الْمُبِينُ﴾ [المائدة : ٩١ ، ٩٢] .

والنفس الأمارة بالسوء تواجه بالنفس المطمئنة التى اطمأنت إلى ربها ، فتوكلت عليه واستسلمت له ، وسلمت لحكمه ، وأحبته الحب كله ، وتحقق لها الرضا بالله والرضا عن الله .

قال تعالى : ﴿ يَا أَيَّتُهَا النَّفْسُ الْمُطْمَئِنَّةُ . ارْجِعِي إِلَىٰ رَبِّكِ رَاضِيَةً مَّرْضِيَّةً . فَادْخُلِي فِي عِبَادِي . وَادْخُلِي جَنَّتِي ﴾ [الفجر : ٢٧ - ٣٠] .

وعداوة الولد والزوج تواجه بتقوى الله والصفح عنهم وتربيتهم التربية الصحيحة ، والنصح لهم والدعاء .

قال تعالى : ﴿ وَالَّذِي قَالَ لِوَالِدَيْهِ أُفٍّ لَّكُمَا أَتَعِدَانِنِي أَنْ أُخْرَجَ وَقَدْ خَلَتِ الْقُرُونُ مِن قَبْلِي وَهُمَا يَسْتَغِيثَانِ اللَّهَ وَيْلَكَ آمِنْ إِنَّ وَعْدَ اللَّهِ حَقٌّ فَيَقُولُ مَا هَٰذَا إِلَّا أَسَاطِيرُ الْأَوَّلِينَ ﴾ [الأحقاف : ١٧] .

وقال جل شأنه : ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِنَّ مِنْ أَزْوَاجِكُمْ وَأَوْلَادِكُمْ عَدُوًّا لَّكُمْ فَاحْذَرُوهُمْ وَإِن تَعْفُوا وَتَصْفَحُوا وَتَغْفِرُوا فَإِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴾ [التغابن : ١٤] .

ورفقاء السوء يواجهون بالبعد عنهم ومجانبتهم ، والأمر بالمعروف والنهى عن المنكر ، قال تعالى : ﴿ وَقَدْ نَزَّلَ عَلَيْكُمْ فِي الْكِتَابِ أَنْ إِذَا سَمِعْتُمْ آيَاتِ اللَّهِ يُكْفَرُ بِهَا وَيُسْتَهْزَأُ بِهَا فَلَا تَقْعُدُوا مَعَهُمْ حَتَّىٰ يَخُوضُوا فِي حَدِيثٍ غَيْرِهِ إِنَّكُمْ إِذًا مِّثْلُهُمْ إِنَّ اللَّهَ جَامِعُ الْمُنَافِقِينَ وَالْكَافِرِينَ فِي جَهَنَّمَ جَمِيعًا ﴾ [النساء : ١٤٠] .

والكافر المحارب يواجه بالجهاد وإعداد العدة وبذل النفس والنفيس فى قمعه وكبته . . قال تعالى : ﴿ انفِرُوا خِفَافًا وَثِقَالًا وَجَاهِدُوا بِأَمْوَالِكُمْ وَأَنفُسِكُمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ ذَٰلِكُمْ خَيْرٌ لَّكُمْ إِن كُنتُمْ تَعْلَمُونَ ﴾ [التوبة : ٤١] .

هذا ، وتواجه الامة الإسلامية اليوم خطرا أكبر تسانده الدول الكبرى ، وتمده بأسباب البغى والفساد ، وتقف وراءه بكل قوة وعتاد .

إنه خطر الاستيطان الإسرائيلى فى فلسطين ، الذى ابتلع الأرض ، وشرد الشعب ، ودنس المقدسات .

وغريب الأمر وعجيبه أن الخطر الصهيونى لن يقف عند حدود فلسطين ، ولن يرضى بالنيل إلى الفرات ، ولكنه خطر ماحق لكل أثر إنسانى ومدمر لكل قيمة عرفها البشر ، ويسعى للسيطرة الكاملة على العالم أجمع ، ومسخ كل بنى الإنسان واستئصال شأفة الأميين (غير بنى إسرائيل) . وقد سجل التاريخ فى مراحله كلها أن اليهود قوم لا عهد لهم ولا ميثاق ، وأنه لا يحلو لهم العيش إلا بتأجيج الصراع وإشعال نار الفتنة ، وتلك صفتهم وطبيعة نفوسهم التى جبلوا عليها منذ كانوا وإلى أن يرث الله الأرض ومن عليها .

فاليهود هم قتلة الأنبياء :

قال تعالى : ﴿ وَضُرِبَتْ عَلَيْهِمُ الذِّلَّةُ وَالْمَسْكَنَةُ وَبَاءُوا بِغَضَبٍ مِّنَ اللَّهِ ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمْ كَانُوا

يكفرون بآيات الله ويقتلون النبيين بغير الحق ذلك بما عصوا وكانوا يعتدون ﴾ [البقرة : ٦١] .

واليهود هم السفهاء :

قال تعالى : ﴿ سيقول السفهاء من الناس ما ولاهم عن قبلتهم التي كانوا عليها قل لله المشرق والمغرب يهدي من يشاء إلى صراط مستقيم ﴾ [البقرة : ١٤٢] .

واليهود هم المنافقون :

قال تعالى : ﴿ وإذا لقوا الذين آمنوا قالوا آمنا وإذا خلا بعضهم إلى بعض قالوا أتحدثونهم بما فتح الله عليكم ليحاجوكم به عند ربكم أفلا تعقلون ﴾ [البقرة . ٧٦] .

واليهود هم الخائنون :

قال تعالى : ﴿ أو كلما عاهدوا عهدا نبذه فريق منهم بل أكثرهم لا يؤمنون ﴾ [البقرة : ١٠٠] .

واليهود هم المفسدون وأرباب الفتنة :

قال تعالى : ﴿ كلما أوقدوا نارا للحرب أطفأها الله ويسعون في الأرض فسادا والله لا يحب المفسدين ﴾ [المائدة : ٦٤] .

واليهود أحرص الناس على المادة :

قال تعالى : ﴿ ولتجدنهم أحرص الناس على حياة ومن الذين أشركوا يود أحدهم لو يعمر ألف سنة وما هو بمزحزحه من العذاب أن يعمر والله بصير بما يعملون ﴾ [البقرة : ٩٦] .

واليهود أشد الناس عداوة للمؤمنين :

قال تعالى : ﴿ لتجدن أشد الناس عداوة للذين آمنوا اليهود والذين أشركوا ﴾ [المائدة : ٨٢] .

إن اليهود اليوم كما كانوا بالأمس ، يقفون وراء الشيطان ، بل هم الصورة البشعة لشياطين الإنس ، ولهم من وسائل الكيد والمكر والخداع ما يخفى على إبليس نفسه .

وإن بروتوكولات حكماء صهيون قد دخلت حيز التنفيذ منذ وقت بعيد ، وتطبق الآن بحذافيرها حتى تقوم إسرائيل الكبرى ويعاد بناء الهيكل المزعوم .

إن من أبرز أهداف حكماء صهيون :

انتزاع فكرة التدين ،وحصر اهتمام الناس فى المادة وحساباتها ،وإطلاق سعار الشهوة ، وتيسير سبل الرذيلة ، وتوفير كافة وسائل الترفيه ، وترويج المخدرات ، وتدمير الأسرة ، وإفساد مناهج التربية ، وتعميق الفوضى فى أرجاء المجتمع .

إن تنظيم « عبدة الشيطان » صورة من صور كثيرة يتبناها اليهود لوأد مستقبل البشرية

مثلا فى شبابها .

﴿ يُرِيدُونَ لِيُطْفِئُوا نُورَ اللَّهِ بِأَفْوَاهِهِمْ وَاللَّهُ مُتِمُّ نُورِهِ وَلَوْ كَرِهَ الْكَافِرُونَ . هُوَ الَّذِي أَرْسَلَ رَسُولَهُ بِالْهُدَىٰ وَدِينِ الْحَقِّ لِيُظْهِرَهُ عَلَى الدِّينِ كُلِّهِ وَلَوْ كَرِهَ الْمُشْرِكُونَ ﴾ [الصف : ٨ ، ٩] .

الخاتمة : هيا نرجم الشيطان

بعد هذه الدراسات التى بحثت عن الشيطان فى دروب التاريخ وتعقبته فى مسالكه ، وفضحت خطواته قديما وحديثا ، وكشفت مكره وكيده ، وأولياءه وجنده . فقد تأكدت مجموعة حقائق .

أولا : إن إبليس أبو الجن وأصلهم ، كما أن آدم ﷺ أبو البشر وأصلهم .

وأن الجن مكلفون كالبشر ، منهم المؤمنون وأكثرهم الفاسقون .

وأن الشيطان هو كل متمرد فاسد مفسد ، سواء كان من الجن أو الإنس .

وأن أعتى المستكبرين هو إبليس اللعين ، فهو الشيطان الأول والأكبر .

ثانيا : قامت البشرية فى عهدها الأول على عقيدة التوحيد الخالص لله تعالى ، فى إطار الأسرة الواحدة التى نشأت فيها .

ومع كثرة التناسل ، وانتشار الذرية ، والتباعد عن الأصل ، والتفرق فى الأرض طرأ الشرك والكفر ، وقام إبليس اللعين بتنفيذ خطته التى أعلنها ـ بلا استحياء ـ أمام الله تعالى :

﴿ لأَقْعُدَنَّ لَهُمْ صِرَاطَكَ الْمُسْتَقِيمَ ﴾ [الأعراف : ١٦] .

ثالثا : إن مظاهر عبادة الشيطان تتمثل فى جانبين :

أ ـ **الانحراف العقدى :** مثل الغلو فى الأنبياء والصالحين ، وعبادة الملوك والكهنة ، وعبادة الأصنام ،وعبادة النجوم والكواكب، والسحر والكهانة والتنجيم . . . إلخ .

ب ـ **الانحراف السلوكى :** مثل الزنا والشذوذ ونكاح المحارم وشرب الخمر وأكل الميتة والخبائث . . . إلخ .

رابعا : إن لعبادة الشيطان صورا معاصرة تعيشها المجتمعات الغربية ، فالأمهات العذارى ، والأطفال بلا أسر ، واتخاذ الأخدان على فراش الزوجية ، ونوادى العراة ، وحقوق الشواذ . . كل ذلك يحميه القانون الجاهلى فى أوربا وأمريكا ، وتشرف عليه جمعيات وجامعات ، وتتبناه الدول الكبرى ، وتطوع له أجهزة الأمم المتحدة .

وقد بدأت هذه الصور الشيطانية تسرى فى حياة المسلمين ، فأنشئت النوادى الليلية وقاعات الرقص ، وتبث أجهزة الإعلام الإسلامية ما يتنافى مع الدين والأخلاق ، ويتحاكم

المجتمع فى كثير من قضاياه إلى قوانين وضعية بديلا عن الوحى المنزل .

خامسا : إن أخطر الصور الشيطانية اليوم ، هى اقتحام العابثين من الباحثين للجنس البشرى لإنتاج سلالات جديدة بما يسمى هندسة الوراثة والاستنساخ .

إن الانحراف الذى يحدث باسم العلم فى الجنس البشرى لا يختلف كثيرا عن الانحراف الأخلاقى الذى مارسه الإنسان ضد الفطرة .

فإذا كان الطفل قد يأتى إلى الحياة عن طريق الزنا مخالفا المنهج الشرعى فى الزواج ، فلا فرق بين ذلك وبين مجىء الطفل باسم العلم مخالفا السنة السوية فى لقاء الرجل بالمرأة .

فكلاهما عدوان على الفطرة ، وتمرد على الدين ، وإهدار لكرامة الإنسان .

سادسا : إن الجدل الشيطانى يتمسك بالباطل ، ويريد أن يسود بالقوة ، ويقوم على الكبرياء والغرور .

وقد بدأ الجدل الشيطانى بإبليس اللعين عندما تمرد على الأمر الإلهى بالسجود لآدم ﷺ ثم توالت بعد ذلك كل شبهة وقعت لبنى آدم فى الألوهية أو النبوة أو البعث .. فهى كلها من وحى الشيطان للسفهاء من الناس والمفسدين فى الأرض .

ويدور اليوم جدل شيطانى حول التنوير والحريات وحقوق الإنسان وكرامة المرأة ، بعيدا عن منهج الشرع والعقل ، وغزوا للأمة فى أخلاقها ،وزحفا لفكر أسود .

سابعا : إن هناك أديانا ومذاهب تعبد الشيطان ، وتتخذ من الفحشاء والمنكر منهجا لحياتها الفاشلة وسبيلا للقربى إلى معبوداتها المصطنعة .

ويقف وراءها ـ قديما وحديثا ـ اليهود ، فهم شياطين الإنس .

* * *

إن هذا التاريخ الطويل لعبادة الشيطان ، ألا يستحق منا أن نتنادى جميعا لرجم الشيطان اللعين ، ونتعقب جنود إبليس أجمعين ... ؟!

نعم ، هيا بنا نرجم الشيطان .. !!

إن الحجاج المسلمين يقفون كل عام على الجبل المبارك من أرض عرفات يوم التاسع من ذى الحجة فى مشهد عظيم .

ففى صحيح مسلم بسنده عن عائشة رضي الله عنها أن النبى ﷺ قال : **« ما من يوم أكثر من أن يعتق الله فيه عبيدا من النار من يوم عرفة ، وإنه ليدنو ثم يباهى بهم الملائكة ، فيقول : ما**

أراد هؤلاء ؟!» .

وفى مسند أحمد أن النبى ﷺ قال :

« إن الله يباهى ملائكته عشية عرفة بأهل عرفة ، فيقول : انظروا إلى عبادى أتونى شعثا غبرا ... » .

وقد وردت آثار تفيد أنه ما رؤى الشيطان فى يوم هو فيه أدحر ، ولا أصغر ، ولا أحقر منه فى يوم عرفة ، إلا ما رؤى يوم بدر ، وذلك لما يرى من فضل الله على عباده وإحسانه إليهم ومغفرته لهم .

وعقب غروب الشمس يدفع الحجاج إلى المشعر الحرام بمزدلفة ، وهناك يذكرون الله ويجمعون الحصى ، ثم يذهبون فى صبيحة يوم الأضحى إلى منى فيرمون جمرة العقبة (١) الكبرى بسبع حصيات .

ثم يتوالى رمى الجمرات فى اليوم الحادى عشر والثانى عشر والثالث عشر ، يبدأ الرمى بالجمرة الصغرى ثم الوسطى ثم الكبرى ، كل واحدة بسبع حصيات ، يرميها الحاج وهو يسمى الله ويكبره ، ويدعو على الشيطان بالتحقير والمهانة والذلة ، ويتذكر الحاج موقف إبراهيم الخليل عليه السلام عندما همَّ بذبح ولده إسماعيل تصديقا للرؤيا ؛ فحاول إبليس اللعين صرف إبراهيم الخليل عن الاستجابة لوحى الرؤيا .

ولكن إبراهيم وإسماعيل أسلما أمرهما لله تعالى واستسلما لقضائه ، فكان الفداء العظيم .. قال جل شأنه :

﴿ وَقَالَ إِنِّي ذَاهِبٌ إِلَىٰ رَبِّي سَيَهْدِينِ . رَبِّ هَبْ لِي مِنَ الصَّالِحِينَ . فَبَشَّرْنَاهُ بِغُلَامٍ حَلِيمٍ . فَلَمَّا بَلَغَ مَعَهُ السَّعْيَ قَالَ يَا بُنَيَّ إِنِّي أَرَىٰ فِي الْمَنَامِ أَنِّي أَذْبَحُكَ فَانظُرْ مَاذَا تَرَىٰ قَالَ يَا أَبَتِ افْعَلْ مَا تُؤْمَرُ سَتَجِدُنِي إِن شَاءَ اللَّهُ مِنَ الصَّابِرِينَ . فَلَمَّا أَسْلَمَا وَتَلَّهُ لِلْجَبِينِ . وَنَادَيْنَاهُ أَن يَا إِبْرَاهِيمُ . قَدْ صَدَّقْتَ الرُّؤْيَا إِنَّا كَذَٰلِكَ نَجْزِي الْمُحْسِنِينَ . إِنَّ هَٰذَا لَهُوَ الْبَلَاءُ الْمُبِينُ . وَفَدَيْنَاهُ بِذِبْحٍ عَظِيمٍ . وَتَرَكْنَا عَلَيْهِ فِي الْآخِرِينَ . سَلَامٌ عَلَىٰ إِبْرَاهِيمَ ... ﴾ [الصافات : ٩٩ - ١٠٩] .

إن المسلم يتوافد إلى تلك الأرض المباركة ويرجم الشيطان فى أيام الله المباركات ليظل متذكرا للعداوة مع إبليس اللعين ، ومتنبها لخطوات الشيطان ، ومتعاليا على نزغاته ، ومقتديا بهدى المصطفين الأخيار من عباد الله الصالحين .

والحمد لله الذى بنعمته تتم الصالحات وصلى الله على سيدنا محمد ، وعلى آله الأطهار ، وصحابته الأخيار ، والتابعين لهم بإحسان .

---

(١) العقبة : جبل صغير كان بهذا المكان .

المؤلف في سطور

د . محمد سيد أحمد المسير

ـ أستاذ العقيدة والفلسفة بكلية أصول الدين ـ جامعة الأزهر بالقاهرة .

ـ عمل أستاذا مشاركاً ثم رئيساً لقسم اللغة العربية والدراسات الإسلامية فى كلية التربية ـ فرع جامعة الملك عبد العزيز بالمدينة المنورة ١٩٨٣ ـ ١٩٨٧م .

ـ أعير أستاذاً فى كلية الدعوة وأصول الدين ـ جامعة أم القرى بمكة المكرمة من سنة ١٩٩٣م .

ـ عمل عميداً لمعهد الإمامة للدراسات الإسلامية التابع للجمعية الشرعية بالمطرية .

ـ عضو المجلس الأعلى للشؤون الإسلامية بوزارة الأوقاف .

ـ عضو جمعية الدراسات الإسلامية بالزمالك .

ـ عضو الجمعية الفلسفية المصرية .

ـ يكتب المقالات فى المجلات والصحف الإسلامية فى مصر والعالم الإسلامى .

ـ يشارك فى البرامج الدينية الإذاعية والتليفزيونية لمصر والعالم الإسلامى .

ـ كان الأول على طلاب الجمهورية فى الشهادة الإعدادية الأزهرية عام ١٣٨٤هـ ـ ١٩٦٤م من معهد شبين الكوم الدينى .

ـ كان السادس عشر على طلاب الجمهورية فى الثانوية الأزهرية عام ١٣٨٩هـ ـ ١٩٦٩م ، وكانت المرحلة الثانوية يومئذ خمس سنوات .

ـ حصل على تقدير ممتاز مع مرتبة الشرف فى الشهادة العالية من قسم العقيدة والفلسفة بكلية أصول الدين بالقاهرة عام ١٣٩٣هـ ـ ١٩٧٣م .

ـ حصل على الدكتوراة بمرتبة الشرف الأولى من جامعة الأزهر عام ١٣٩٨هـ ـ ١٩٧٨م .

ـ شارك فى المؤتمرات والملتقيات الفكرية مثل :

* المؤتمر الحادى عشر لمجمع البحوث الإسلامية بالأزهر فى رجب ١٤٠٨هـ .

* ندوة الفقه الإسلامى فى سلطنة عمان فى شعبان ١٤٠٨هـ .

* الموسم الثقافى لشهر رمضان فى دولة الكويت ١٤٠٩هـ .

* الندوة القومية لمواجهة الدس الشعوبي في بغداد من ٢٢ ـ ٢٤ لشهر جمادى الأولى ١٤١٠هـ .
* المؤتمر الإسلامي العالمي لمناصرة العراق المنعقد في بغداد في شهر ذي القعدة ١٤١٠هـ (قبل الغزو) .
* المؤتمر القومي الذي نظمه المركز العربي للإعلام بالقاهرة تحت عنوان « الإدمان قضية العصر » من ١٨ ـ ٢٠ من فبراير ١٩٩٠م .
* المؤتمر الإسلامي العالمي لمناقشة أزمة الخليج الذي نظمته رابطة العالم الإسلامي بمكة المكرمة من ٢١ ـ ٢٣ من صفر ١٤١١هـ .
* الندوة العالمية لمناقشة حقوق الإنسان بين الإسلام والغرب في طهران بتاريخ ٩ ـ ١٢ من سبتمبر ١٩٩١ م .
* المهرجان الإسلامي العالمي في الكويت للإفراج عن الأسرى والمحتجزين في سجون العراق من ١٩ ـ ٢١ يناير ١٩٩٢م .
* الموسم الثقافي لشهر رمضان في دولة الإمارات العربية المتحدة ١٤١٢هـ .
* ندوة الإعلام الإسلامي بين تحديات الواقع وطموحات المستقبل ، التي نظمتها مؤسسة اقرأ الخيرية بالتعاون مع جامعة الأزهر في ذي القعدة ١٤١٢هـ ـ مايو ١٩٩٢م .
* سافر مع وزير الأوقاف المصري ضمن وفد رسمي لزيارة دول الكومنولث الإسلامية بتاريخ ١٣ ـ ٢٥ سبتمبر ١٩٩٢م .
* المؤتمر الثاني عشر لمجمع البحوث الإسلامية بالأزهر من ٢ ـ ٥ لشهر جمادى الأولى سنة ١٤١٣هـ .
* مؤتمر التوجيه الإسلامي للعلوم الذي نظمته رابطة الجامعات الإسلامية بالاشتراك مع جامعة الأزهر سنة ١٤١٣هـ .

كتب للمؤلف

فى العقيدة :

١ ـ فى نور العقيدة الإسلامية .

٢ ـ أدب الحديث عن الله .

٣ ـ علم التوحيد للشهادة الإعدادية الأزهرية .

فى الفلسفة :

٤ ـ الروح فى دراسات المتكلمين والفلاسفة .

٥ ـ المجتمع المثالى فى الفكر الفلسفى وموقف الإسلام منه .

فى الأديان :

٦ ـ المدخل لدراسة الأديان .

٧ ـ أصول النصرانية فى الميزان .

٨ ـ أوربا والنصرانية .

٩ ـ المسيح ورسالته فى القرآن .

١٠ ـ عبادة الشيطان فى البيان القرآنى والتاريخ الإنسانى .

فى الفرق الإسلامية :

١١ ـ قضية التكفير فى الفكر الإسلامى .

١٢ ـ الحوار بين الجماعات الإسلامية .

١٣ ـ مقدمة فى دراسة الفرق الإسلامية .

فى السيرة النبوية :

١٤ ـ الرسول فى رمضان .

١٥ ـ الرسول حول الكعبة .

١٦ ـ الرسول والوحى .

١٧ ـ الرسول وقضايا المجتمع .

١٨ ـ الرسول والموافقات .

فى الشريعة الإسلامية :

١٩ ـ محاورة تطبيق الشريعة .

٢٠ ـ نحو دستور إسلامى .

٢١ ـ أخلاق الأسرة المسلمة .

تحقيق مؤلفات فضيلة الدكتور سيد أحمد رمضان المسير ـ رحمه الله تعالى :

٢٢ ـ السنة مع القرآن .

٢٣ ـ السنة المطهرة .

٢٤ ـ إلزام القرآن للماديين والمليين .

٢٥ ـ دراسات قرآنية .

الفهرس

هــذا الكتـاب

* قامت البشرية فى عهدها الأول على عقيدة التوحيد الخالص لله تعالى ، ومع كثرة التناسل وانتشار الذرية والتباعد عن الأصل ــ طرأ الشرك والكفر ، وقام إبليس اللعين بتنفيذ خطته التى أعلنها أمام الله تعالى .

* ولعبادة الشيطان صور معاصرة تعيشها المجتمعات الغربية ، فنوادى العراة، واتخاذ الأخدان على فراش الزوجية ،وحقوق الشواذ ، والأطفال بلا أسـر . . . كل ذلك يحميه القانون الجاهلى فى أوربا وأمريكا .

* وقد بدأت هذه الصور الشيطانية تسرى فى حياة المسلمين ، فأنشئت النوادى الليلية ، وقاعات الرقص ،وتبث أجهزة الإعلام الإسلامية ما يتنافى مع الدين والأخلاق ، وتحتضن وزارات التعليم فى بنائها التربوى معاهد للرقص والباليه والغناء !

* وجاءت فكرة هذا الكتاب مع اكتشاف تنظيم « **عبدة الشيطان** » بمصر خلال شهر رمضان سنة ١٤١٧ هـ . . استتبعها بحث دؤوب ــ كما أشار المؤلف ــ عن عبادة الشيطان فى نشأتها وأشكالها وتطورها والوقاية منها ، فكان هذا الكتاب الذى ألقى الضوء على النقاط التالية :

ــ قراءة فى ملف القضية . ــ عقيدتنا فى الجن .
ــ مظاهر عبادة الشيطان. ــ صور معاصرة لعبادة الشيطان.
ــ الجدل الشيطانى. ــ أديان ومذاهب تعبد الشيطان.
ــ الوقاية والعلاج .

* و**دار الوفــاء** يسرها أن تقدم هذا الكتاب إلى القراء الكرام ، سائلة الله أن يعم به النفع .

الناشر


دار الوفاء للطباعة والنشر والتوزيع - ج.م.ع - المنصورة
الإدارة : ش الإمام محمد عبده المواجه لكلية الآداب ص . ب ٢٣٠
ت : ٣٤٢٧٢١/ ٣٥٦٢٢٠/ ٣٥٦٢٣٠ فاكس ٣٥٩٧٧٨
المكتبة : أمام كلية الطب ت ٣٤٧٤٢٣